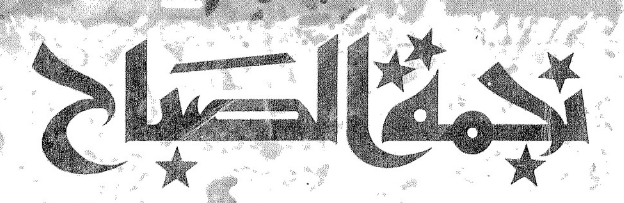


نجمة الصباح

تأليف :

هنري رايدر هاجارد

ترجمة :

مختار السويفي

كتاب اليوم

أسسه

مصطفى أمين وعلى أمين

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الادارة

سعيد سنبل

العدد ٣١٣ صفر ١٤١١ هـ

سبتمبر ١٩٩٠ م

أيلول

الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس دولى ٩٢٢١٥ ـ محلى ٩٢٢٨٢

الاشتراكات

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٦ جنيه مصرى

البريد الجوى

دول اتحاد البريد ١٥ جنيه مصرى

العربى والافريقى ٢٠ دولار امريكى اوما يعادله

باقى دول العالم واوربا ٢٠ جنيه مصرى

والامريكتين واسيا واستراليا ١٨ دولار امريكى اوما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٦ ش الصحافة القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

أسعار كتاب اليوم

المغرب ٣٠ درهم
لبنان ٨٠٠ ليرة
الأردن ١٢٠٠ فلس
العراق ١٠ دينار
الكويت ٧٥٠ فلس
السعودية ٧ ريال
السودان ١٢ جنيه . س
تونس ١٤٠٠ مليما
الجزائر ١٧٥٠ سنتيما
سوريا ١٤٠٠ ق س
الحبشة ٦٠٠ سنت
البحرين ٨٥٠ فلس
مسقط ٨٠٠ بيسه
غزة ١٥٠ سنت
ج اليمنة ١٠ ريالات
الصومال بحيريا ٨٠ بنى
السنغال ٦٠ فرنك
الامارات ٨ درهم
قطر ٨ ريالات
انجلترا ١٧٥ بنى
فرنسا ١٠ فرنك
المانيا ٥ مارك

فى الخارج

ايطاليا ٢٠٠٠ ليرة
هولندا ٥ فلورين
باكستان ٣٥ روبية
سويسرا ٤ فرنك
اليونان ١٠٠ دراخمة
النمسا ٤٠ شلن
الدنمارك ١٥ كرونات
السويد ١٥ كرون
الهند ٣٥٠ سنتا
كندا امريكا ٣٠٠ سنت
البرازيل ٤٠٠ كرويزو
نيويورك وانسطن ٣٥٠ سنتا
لوس انجلوس ٤٠٠ سنت
استراليا ٤٠٠ سنت

● الغلاف : محمود الهندى ● الماكيت : محمد عفت

نجم الصباح

تأليف : هنرى رايدر هاجارد
ترجمة : مختار السويفى

■ المشرف على التحرير : جمال الغيطانى



● العدد ٣١٣ ● سبتمبر ١٩٩٠ ●

كتاب اليوم

أسسه

مصطفى أمين وعلى أمين

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الادارة

سعيد سنبل

العدد ٣١٣ صفر ١٤١١ هـ

سبتمبر ١٩٩٠ م

أيلول

الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس دولى ٩٢٢١٥ ـ محلى ٩٢٢٨٢

الاشـــتراكات

جمهورية مصر العربيه

قيمة الاشتراك السنوى ١٢ جنيه مصرى

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى والافريقى ١٥ دولار امريكى اوما يعادله

باقى دول العالم واوربا والامريكتين واسيا واستراليا ٢٠ دولار امريكى اوما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

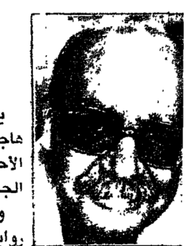
● ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٦ ش الصحافة القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

أسعار كتاب اليوم

البلد	السعر
المغرب	٣٠ درهم
لبنان	٨٠٠ ليرة
الأردن	١٢٠٠ فلس
العراق	١٠ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس
السعودية	٧ ريال
السودان	١٢ جنيه . س
سوريا	١٤٠٠ ق س
الحبشة	٦٠٠ سنت
البحرين	٨٥٠ فلس
اليمن	٨ ريالات
الصومال بيجيريا	٨٠ بنى
السنغال	٦٠ فرنك
انجلترا	١٧٥ بنى
فرنسا	١٠ فرنك
المانيا	٥ مارك

فى الخارج

البلد	السعر
إيطاليا	٢٠٠٠ ليرة
هولندا	٥ فلورين
باكستان	٣٥ روبية
سويسرا	٤ [illegible]
اليونان	١٠٠ دراخمة
النمسا	٤٠ شلن
الدنمارك	١٥ كرونات
السويد	١٥ كرون
الهند	٣٥ [illegible]
البرازيل	٤٠٠ كروزيرو
نيويورك والشطن	٣٥٠ سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠ سنت
استراليا	٤٠٠ سنت



مقدمة المترجم

يتميز الأديب الانجليزى العظيم « سير هنرى رايدر هاجارد » بالخيال الخصب والقدرة الفائقة على نسج الأحداث المثيرة ، وخلق الشخصيات الروائية ذات الجاذبية الشديدة .

وإذا بدأ القارىء فى قراءة السطور الأولى من أية رواية من رواياته الشهيرة فلا يستطيع أن يبعد عينيه عن السطور التاليه ، ولا يستطيع أن يؤجل القراءة إلى وقت آخر ، أو يتوقف عند فصل معين .. ولا يملك إلا أن يواصل القراءة الممتعة حتى آخر كلمة ، مسحورا بالأسلوب البسيط الآسر ، وبالأحداث المتلاحقة المبهرة التى تأخذ الألباب .

وقد فطنت السينما العالمية الى تلك الخاصية الديناميكية التى يتميز بها « الحدث » فى أعمال هذا الأديب القدير ، فأخرجت معظم رواياته فى أفلام ضخمة حازت شهرة عالمية . ومازالت تلقى نفس الرواج والاقبال الذى لاقته منذ انتاجها لأول مرة منذ عشرات السنين .

ولد هنرى رايدر هاجارد فى برادنهام هول بمدينة نورفولك بانجلترا فى ٢٢ يونيو ١٨٥٦ ، ومات فى لندن فى ١٤ مايو ١٩٢٥ عن عمر يناهز السبعين عاما قضاها فى حياة حافلة بشتى المشاغل والهوايات .. فمن ممارسة مهنة المحاماة الى تقلد الوظائف الحكومية إلى ممارسة حرفة الزراعة التى ألف فيها كتبا .. إلى أن أدركته حرفة الأدب فمارسها كهواية أبدع فيها مجموعة من الروايات الشهيرة التى صدرت منها عشرات الطبعات . وأغلب الظن أنها ستجد طريقها إلى المطابع مرات أخرى ومرات لتصدر بمختلف اللغات التى ترجمت إليها فى الماضى وستترجم إليها فى المستقبل

وقد عمل هنرى رايدر هاجارد فترة طويلة من حياته بالادارة القانونية لإقليم الترنسفال بجنوب أفريقيا حين كان هذا الاقليم خاضعا للاستعمار البريطانى . ولذلك فلم يكن من الغريب أن نرى معظم رواياته الإدبية تدور أحداثها فى افريقيا ولم يكن غريبا أيضا أن يؤلف كتابا عن أساليب وتاريخ الاستعمار فى افريقيا وقد منح لقب « سير » فى عام ١٩١٢ تقديرا لخدماته للامبراطورية البريطانية

ولعل أشهر رواياته التى يعرفها قراء الأدب وأحبابه فى مختلف أنحاء العالم روايات « الفجر » ١٨٨٤ .. و « كنوز الملك سليمان » ١٨٨٥ .. و « هى أو عائشة » ١٨٨٧ .. بالاضافة الى رواياته وكتبه الأخرى الأقل شهرة مثل « كيتويو وجيرانه البيض » ١٨٨٢ ، و إيريك برايتيس » ١٨٨٣ ، و « ابنة مونتزوما » ١٨٩٣ ، و « شعب الضباب » ١٨٩٤ ، و « سوالو » ١٨٩٨ ، و « ابن العاطفة » ١٩٠٣ ، و « آلان العجوز » ١٩٢٠ ، و « هى و آلان » ١٩٢١ .. فضلا عن مؤلفاته الزراعية والتاريخية والسياسية مثل « انجلترا والزراعة » ١٩٠٢ ، و « الدنمارك والزراعة » ١٩١١ ، وكتاب « الفقير والأرض » وكتاب « أيام حياتى » الذى سجل فيه ذكرياته وتفاصيل حياته الحافلة ، وقد صدر هذا الكتاب الأخير سنة ١٩٢٦ أى بعد نحو عام من وفاته .

■ ■ ■

وحين كتب هنرى رايدر هاجارد تلك المجموعة من الأعمال الأدبية والروايات الخيالية التى اتخذ من افريقيا مسرحا لأحداثها ، كانت القارة تعيش بأكملها فى حقبة زمنية سوداء تسمى فى التاريخ السياسى « عصر التكالب الاستعمارى على افريقيا » .. وهو عصر اندفعت فيه الجيوش الأوربية كالوحوش الضارية تنهش وتتخاطف الأجزاء والمناطق من جسم القارة ، وتسيطر على كل ما فيها من ثروات معدنية وحيوانية ونباتية ، وتخضع كل من كان يعيش على أرضها من قبائل وشعوب شتى .

وكانت معظم الشعوب الافريقية السوداء التى تعيش جنوبى الصحراء الكبرى تمارس حياتها البسيطة التقليدية التى اعتادت عليها من آلاف السنين .. ولم تكن تعرف من الأسلحة الهجومية أو الدفاعية سوى السهام والرماح والحراب والسيوف والخناجر .. فى الوقت الذى كانت فيه الجيوش الاستعمارية مسلحة بكل أنواع أسلحة القهر النارية من قنابل وبنادق ومسدسات ومدافع رشاشة .

لذلك فقد استسلم الأفريقيون أمام تلك القوى الغاشمة ، وبالتالى فقد أصبحت ثرواتهم المعدنية وخيرات بلادهم الزراعية نهبا وغنيمة للدول الاستعمارية بل وكانت بعض تلك الدول الاستعمارية تقوم بقنص واصطياد الافريقيين لتبيعهم كالعبيد فى أسواق النخاسة فى أوربا وأمريكا .

وقد انعكست هذه الأحوال العامة لافريقيا والافريقيين على معظم الأعمال الأدبية التى كتبها الأدباء الأوربيون والتى اتخذت من البيئة الافريقية مسرحا للأحداث ، أو اتخذت من الشخصيات الافريقية أبطالا لما تضمنته هذه الروايات والأعمال الأدبية من مغامرات ووقائع وأحداث .

وبطبيعة الحال فقد كانت مضامين معظم هذه الأعمال تبرز تفوق الرجل الأوربي الأبيض على الافريقيين السود ، وتحاول في نفس الوقت أن تبرز الدور الحضاري الذى كان يدعيه الرجل الأبيض من أنه قد جاء الى هذه القارة السوداء لتعميرها واخراج أهلها من ظلمات الجهل الى عالم الحضارة والنور

■ ■ ■

أما رواية « نجمة الصباح » التي كتبها هنرى رايدر هاجارد والتى نقدمها الآن مترجمة الى اللغة العربية ، فقد اتخذت افريقيا أيضا مسرحا لأحداثها .. ولكن افريقيا في تلك الرواية كانت متمثلة في ركنها الشمالي الشرقي في مصر وشمال السودان .. وهو الركن الذى كان يشع منذ آلاف السنين بالحضارة الراقية التي حققتها مصر القديمة ، حين كانت أوربا تعيش في عالم الظلمات ، وكان أغلب القبائل والشعوب الأوربية يعيشون في الكهوف .

وسيلمس قارىء الرواية على الفور أن مؤلفها كان على دراية واسعة بمعالم الحضارة المصرية القديمة ، وبطرق الحياة اليومية التى كان يعيشها المصريون القدماء . بل وعلى علم أيضا بالديانات والعقائد التى كان يعتنقها قدماء المصريين وفلسفتهم في دراسة النفس الانسانية ومقوماتها ، والتى اعتقدوا فيها أن لكل إنسان « قرين » روحى يماثله تماما في كل شيء ويسمى الـ « كا » .

ومن المعروف أن قدماء المصريين كانوا أول من بحث واثبت الجانب الروحى فى حياة البشر ، وكانوا يعتقدون فى أن للإنسان عدة مقومات طبيعية ومكتسبة أهمها سبع مقومات هى : الجسم المادى « خت » والقلب المدرك « إب » والنفس أو الطاقة الفاعلة أو القرين « كا » واسم معنوى « رن » وظل ملازم « شوت » وروح خالدة تسرى فى الظاهر والباطن « با » والذات النورانية الشفافة « آخ » .

وكان من الشائع فى الفكر العقائدى بمصر القديمة أن الحياة الانسانية تتكون من ثلاثة عناصر أساسية هى البدن أو الجسم المادى « خت » الذى يتكون من الأجزاء والأطراف والأعضاء الظاهرة والباطنة من جسم الانسان ، والروح الخالدة « با » باعتبارها نفحة الآلهة وبدونها لا يمكن للانسان أن يعيش وهى تخرج من الجسم البشرى لحظة الموت . أما العنصر الأساسى الثالث فهو القرين « كا » الذى يعيش بداخل جسم الانسان وينمو معه ، ويمثل نفس أو نفسية الانسان وذاتيته ، وتكمن فيه الطاقة المادية والمعنوية الفعالة ، كما يكفل للشخصية الانسانية الحماية من الأخطار واستمرار الحياة والبقاء والصحة .

ويقوم البناء الدرامى لرواية « نجمة الصباح » ـ وهى من الابداع الخيالى البحت ـ على فكرة العلاقة بين الجسم الإنسانى المادى لاحدى

الملكات المصريات والـ « كا » الخاصة بتلك الملكة .

وتدور أحداث الرواية وسط حياة حافلة بكل ألوان السحر والمغامرات المثيرة والمؤامرات التى كان يدبرها بعض حكام الأقاليم وأعضاء البلاط الملكى فى سبيل الاستيلاء على عرش مصر ولو بمخالفة القوانين والقواعد والتقليدية التى كانت تحكم نظام توارث العرش فى مصر القديمة .

ولا أريد الخوض أكثر من ذلك فى تفاصيل هذه الرواية الأدبية الرائعة حتى لا أفسد على القارىء فرصة التمتع بكل ما تتضمنه من جوانب الاثارة وعناصر التشويق .. ويكفى هنا أن أشير الى أن اسم أو مصطلح « **نجمة الصباح** » يطلق عادة على أحد الكواكب السيارة التابعة للمجموعة الشمسية الذى يظهر على صفحة الأفق الشرقى للسماء قبيل شروق الشمس بقليل . وهذه الكواكب هى على وجه التحديد : المشترى أو چوبيتر ، والمريخ ، وزحل أو ساتورن ، وعطارد ، وكوكب الزهرة أو ڤينوس .

وأترك القارىء الآن ، ليبدأ رحلته الممتعة الشائقة فى الزمان والمكان ..

مختار السويفى

كورنيش النيل : فى ٤ مارس ١٩٩٠

O—O

الفصــــل الأول

ماذا قالت النجوم للأمير آبى .. ؟ !

المكان : فى مصر القديمة .

الزمان : منذ آلاف السنين .

قبيل الغروب بقليل ، وصلت السفينة التى تقل الأمير آبى - حاكم منف - إلى مشارف أسوار مدينة طيبة العظيمة التى تقع فى جنوب البلاد ..

كان الأمير آبى أسمر البشرة وله جسم ضخم .. وكانت أمه من سلالة الهكسوس الغزاة الذين جاءوا من خارج مصر وحكموها .. وقد استطاع أحد افراد أسرة هذا الأمير ان يعتلى عرش مصر ذات يوم واصبح فرعونا .

فى تلك اللحظات ، كان الأمير آبى جالسا على سطح السفينة ، وحوله من الجهتين اليمنى واليسرى ، تقف جاريتان تمسك كل منهما بمروحة كبيرة من ريش النعام ، تهزها بانتظام لتجدد الهواء على وجه الأمير .

ولكن إحدى هاتين الجاريتين لمست بريش مروحتها رأس الأمير .. فغضب الأمير غضبا شديدا ، وهب واقفا ودفع الجارية دفعة قوية حتى سقطت على الأرض ، وصاح صارخا فى وجهها :

— أيتها القطة المهملة .. لو فعلت ذلك مرة أخرى فسوف أجلدك !

وتوسلت الجارية المسكينة إليه وهى تبكى قائلة :

— اغفر لى يا سيدى العظيم .. لقد حدث ذلك دون قصد .. لقد هب الهواء فجأة على مروحتى .. !

وصاح الأمير ثانية :

— كفى عن البكاء يا مريت رع .. وعليك أن تكونى أكثر عناية وتأخذى حذرك .. هيا أسرعى بالنهوض واذهبى لتحضرى الفلكى المنجم كاكو إلى هنا .. اذهبا أنتما الاثنتان معا .. هيا .. !

وبينما كانت الجاريتان ذاهبتين إلى الجزء السفلى من السفينة حيث توجد حجرة الفلكى المنجم كاكو ، قالت مريت رع لزميلتها الجارية الأخرى :

— تصورى ! .. لقد شتمنى ووصفنى بالقطة المهملة !

فقالت الجارية الثانية :

— لقد شتمنى فى إحدى المرات ووصفنى بالقبيحة .. كم أتمنى لو أن التمساح المقدس يلتهمه ويأكله .. !

فحذرتها مريت رع قائلة بصوت منخفض :

— هش .. لقد اقتربنا من حجرة الفلكى المنجم كاكو .. إنى أرى الغضب فى ملامح وجهه .

وقفت الجاريتان قبالة الفلكى رجل العلم ، وقد أمسكت كل منهما بيد الأخرى .. وانحنت الاثنتان معا فى خشوع واحترام . وقالت مريت رع :

— يا سيد النجوم .. إننا نحمل رسالة إليك .. لا يا سيدى .. لا تنظر إلى خدى هكذا .. فهذه العلامات التى تراها على خدى كانت بسبب أن الأمير آبى ضربنى على وجهى .. لقد تركتها أصابع يده حين صفعنى ..

وسألها الفلكى عن السبب الذى دفع الأمير إلى ضربها ، فشرحت له الحكاية .. وحاول الفلكى كاكو أن يسترضيها فقال :

— أوه .. انه لأمر سيىء جدا أن يضرب فتاة جميلة مثلك !

وقالت مريت رع :

— شكرا لك يا سيد العلم .. ولكن هل يمكن أن تدلنا على

ما سوف يحدث لنا في المستقبل .. ان ذلك في استطاعتك دون شك .. ولكننا لا نملك شيئا يمكن أن نعطيه لك ..

فقال الفلكى كاكو :

— طبعا طبعا .. ولكنى فهمت منكما أن الأمير في حالة غضب الآن .. أليس كذلك ؟ !

سمعت مريت رع صوتا في الممر العلوى ، فهمست قائلة :

— انصت يا كاكو .. !

عندئذ وصلهم صوت الأمير آبى وهو يصيح غاضبا :

— أين هذا الفلكى الملعون .. ؟!

فواصلت مريت رع همسها لكاكو :

— أرأيت كيف انه غاضب إلى أى حد .. دعك من جمع بقية أوراقك .. واذهب إليه فورا .. !

وبينما كان كاكو يذهب متجها إلى الممر الذى يؤدى إلى السطح العلوى للسفينة حيث يوجد الأمير آبى ، قال هامسا لمريت رع :

— المشكلة هى كيف سيتقبل الأمير آبى ماجاء بهذه الأوراق بالنسبة له .. وماذا سيكون وقع ذلك عليه .. ؟ !

فقالت مريت رع :

— أتمنى لك الحظ الحسن .. انك تحتاج فعلا إلى حسن الحظ !

وعندما وصل الفلكى كاكو إلى حضرة الأمير انحنى راكعا .. وزاد انحناؤه حتى سقط غطاء رأسه على الأرض . ومع ذلك فقد صاح به الأمير :

لماذا تأخرت هكذا في المجىء .. ؟

فأجاب الفلكى :

— أيها الابن الملكى لإله الشمس .. لقد كانت الجاريتان تبحثان عنى بينما كنت أواصل عملى في حجرتى ..

فقال الأمير :

— لقد سمعتك وانت تضحك معهما .. ولكن لماذا دعوتني بلقب الابن الملكي لإله الشمس .. إن هذا لقب فرعون .. بماذا أخبرتك النجوم عن مستقبلي ؟ .. إن مصيري الآن في مفترق الطرق .. هل سأعتلي العرش وأصبح فرعونا على مصر العليا ومصر السفلي ، أو اظل أميرا حاكما على مدينة .. ؟ !

قال الفلكي بوقار :

— لو أن « جلالتك » قد سأل خادمك المطيع ماتريد معرفته على وجه التحديد فمن المحتمل أن أكون قادرا على إجابة هذا السؤال .

فقال الأمير مندهشا :

— جلالتك ؟ ! .. أريد أن أعرف لماذا تخاطبني بلقب « جلالتك » .. أنا لست ملكا لتخاطبني بهذا اللقب .. أنا مجرد أمير ولا أحكم سوى مدينة منف .. فهل أخبرتك النجوم بشيء جديد .. هل أنبأتك النجوم بمستقبلي .. ؟ !

قال كاكو :

— طبعا طبعا .. لقد رصدت النجوم طوال ليلة أمس .. وظللت طوال اليوم أتدارس هذا الرصد حتى أعرف النتيجة .. ولكن دراساتي لم تنته بعد .. ومع ذلك يمكن أن تسألني وأجيبك على ما تريد ..

عندئذ قال الأمير آبي وهو يشير إلى الشمس الغاربة التي كانت تلامس خط الأفق في الغرب :

— أنظر .. إن الشمس تغرب خلف مقابر الملوك في الغرب .. هذه علامة سيئة عن مستقبلي .. أنا أريد أن أصل إلى مدينة طيبة في الصباح المبكر .. حين تكون النجوم في مواقع أفضل .. ولكن يبدو أن الرياح تعاكسني .. والآن أخبرني .. أريد أن أعرف هل سأدفن في وادي الملوك بعد موتي .. ؟

— أظن ذلك ايها الأمير آبي .. إن النجوم تدل على أنك ستدفن هناك .

ونظر الأمير متأملا فى وجه كاكو وقـال :

— يبدو أنك تخفى شيئا عنى .. هل سيتم دفنى فى مقبرة ملكية .. ؟

فقال الفلكى المنجم :

— لا أستطيع أن أقول ذلك .. فهناك قوى أخرى ليست فى صالحك وتعمل ضدك .. هناك نجم يمر فى طريق يقطع طريقك .

وتساءل الأمير فى لهفة :

— أى نجم هذا .. ؟ !

— انه نجم آمون أبو الآلهة .

وازدادت دهشة الأمير آبى فقال حائرا :

— وكيف يتسنى للإنسان أن يصارع إلها .. ؟

فجاءه رد الفلكى على الفور :

— بل إلهين .. فمع نجم الإله آمون .. يسير نجم الإلهة حتحور .. إلهة الحب .. أنظر بنفسك !

أشار الفلكى بيده تجاه أفق الشرق الذى مازالت تضيئه انعكاسات من شفق الغروب وإن كان قد أوشك أن يدخل فى العتمة .. وهناك على صفحة السماء شاهدا نجما جميلا ساطعا .. وبالقرب منه شاهدا نجما ساطعا آخر .. وملأ بريق النجمين صفحة السماء لعدة دقائق .. ثم اختفيا .. وعندئذ قال الفلكى :

— انه نجم الإله آمون يتبعه نجم الإلهة حتحور ..

وقال الأمير آبى :

— ولكنهما كانا بعيدين عن نجمى .. ثم انهما اختفيا من صفحة السماء ..

فقال الفلكى يفسر له الأمر :

— نعم يا سيدى الأمير .. لقد اختفيا .. ولكنهما بعد عشرين عاما سيكونان بالقرب من نجمك .. وسيصبحان أكثر قوة . وسوف

يهزمانك فوق وادى الملوك .. ولكن فى خلال هذه السنوات العشرين سوف يسطع نجمك وحده .. !

ازداد الأمير غضبا .. وأمسك ببعض أوراق الفلكى وألقاها أرضا وصاح قائلا :

— أيها الغبى .. هل تظن انك سوف ترهبنى بهذا الكلام الفارغ الذى تقوله النجوم ؟ .. إذا كنت تريد أن تعرف نجمى الحقيقى فها هو .. !!

قال ذلك واخرج سيفه من غمده الذى يعلقه بجانبه ، وشهر السيف فوق رأس الفلكى ، واستمر فى تهديده :

— هذا هو نجم الأمير آبى .. هذا هو نجمى !

تماسك الفلكى وقال :

— لقد ذكرت لك الحقيقة كما رأيتها .. وإذا كنت ترغب فى سماع أشياء تسرك فما أسهل ذلك بالنسبة لى .. ولكنى آثرت أن أذكر لك الحقيقة .. ومع ذلك فإن مستقبلك ليس شرا إلى هذا الحد .. فسوف تهنأ بعشرين عاما من القوة والسلطة .. وإذا جاءت المتاعب بعد ذلك فماذا يهمك ؟ !

هدأ الأمير بعد سماع هذا الكلام وقال :

— هذا صحيح ! .. إنى معتل المزاج طوال هذا اليوم .. وسوف أمنحك ملء وعاء من الذهب مكافأة لك على عملك .. ويجب عليك أن تخبرنى بالحقيقة دائما !

انحنى كاكو شاكرا .. وجمع أوراقه وشرع فى الانصراف . وفى هذه اللحظة شاهد بعض الرجال الذين يركبون الخيول يركضون على أرض الشاطىء وقادمين نحو السفينة . وعندئذ قال الأمير :

— إنه رئيس الحرس وبعض أتباعى .. إنه يحمل إلى رسالة من الفرعون .. فلا تذهب يا كاكو .. انتظر حتى نسمع ماجاء فى رد الملك .. وتعطينى النصيحة ..

O—O

الفصل الثانى

مؤامرة ضد الفرعون

وقف رئيس الحرس أمام الأمير أبى ، وحياه التحية الواجبة . وسأله الأمير قائلاً :

— هاه .. بماذا أجاب الفرعون على رسالتى .. ؟

فقال رئيس الحرس :

— قال إنه لا مانع عنده من استقبالك ، بالرغم من انه لم يرسل لحضورك أو يستدعيك لمقابلته . وقال ان حضورك غير ضرورى .. وانه قد سمع بالنصر الذى حققته ضد سكان الصحراء .. وانه لا يريد أن يرى رؤوس قادة هؤلاء السكان التى أحضرتها معك لتقدمها إليه .

قال الأمير هازئا :

— ان هذا الفرعون يتصرف كالنساء أمام مثل هذه الأمور .. كان يجب أن يبدى شكره لأن لديه جنودا وقادة يعرفون كيف تدار الحروب .. سوف أذهب لمقابلته غدا .

وعندئذ قال رئيس الحرس :

— سيدى الأمير .. ليس هذا كل ما قاله الفرعون .. لقد قال أيضا أنه سمع أنك قد جئت ومعك ثلاثمائة من الجنود كحرس لك .. وهو لن يسمح لهؤلاء الجنود بالدخول من بوابات المدينة .. وقال انه لن يسمح إلا بدخول خمسة جنود فقط ليصحبوك عند الحضور إلى القصر .

وتساءل الأمير :

— هل يتصور الفرعون انى سأعتقله وأهزم جيشه وأستولى على

العاصمة بثلاثمائة من الجنود فقط .. ؟

فأجاب رئيس الحرس :

— لا يا سيدى الأمير .. ولكنى أظن انه يخاف منك ، ويخشى أن تقتله وتعلن نفسك ملكا على البلاد ، لأنك التالى له فى ولاية العرش ، حيث أنه لم ينجب وريثا للعرش يخلفه .

استغرق الأمير فى التفكير بعد سماع هذا الكلام .. وتمشى قليلا حتى وصل إلى مقدمة السفينة ..

كان الليل قد أرخى أستار الظلام ،، وبزغ القمر يفيض بنوره الفضى فوق ربى الصحراء وسفوح وقمم الجبال وفوق المدينة بكل بيوتها ومعابدها وقصورها وكل مبانيها .. وانبعثت من الشوارع والحدائق أنغام الموسيقى .. وكان الحراس الواقفون فوق أسوار المدينة يعلنون الوقت بين حين وآخر .

أخذ هذا المنظر الجميل بلب الأمير ، وبدأ قلبه يدق عنيفا بداخل صدره وهو يشاهد كل هذا الجمال وتلك الروعة .

هناك خلف هذه الأسوار تكمن الثروة والقوة والسلطة .. هناك قصر الفرعون الذى لم ينجب ولدا يخلفه على العرش .. وهو ليس بالملك القوى ..

الصعوبة الوحيدة التى تواجه الأمير آبى هى انه يعرف جيدا أن الفرعون محبوب من الكهنة ومن الشعب كله .. بينما الجميع يكرهونه هو ويخافونه ويخشون بأسه ..

ومع ذلك .. لماذا ينتظر ؟ .. لماذا لا يجرب حظه . .. إن لديه ثلاثمائة من الجنود الشجعان .. واليوم يوم عيد .. وبوابات المدينة ليست محروسة جيدا .. فلماذا لا يتسلل بجنوده إلى قصر الفرعون ويقتله .. وفى الصباح يعلن نفسه ملكا ويجلس على عرش الفرعون .

وعاد الأمير إلى حيث يقف رئيس الحرس والفلكى كاكو .. وقال لهما :

— إنى أفكر فى أن أوجه ضربتى القاصمة .. سوف نتسلل إلى المدينة ومعنا الجنود لنكسب تاجا .. فإذا كسبناه فسوف أعينك قائدا لجيشى .. وسوف تصبح يا كاكو وزيرى الأول .. سوف تصبحان أهم رجلين فى الدولة بعد الملك .. !

نظر رئيس الحرس والفلكى إلى بعضهما فى دهشة بالغة ، وقال رئيس الحرس للأمير :

— هذا أمر خطير يا سيدى الأمير .. ومقابل هذا المنصب العظيم الذى عرضته على ، فإنى أجسر على قبول هذه المخاطرة .. ولكن الأمر صعب للغاية بالنسبة للجنود .. إذ لابد أن نشرح لهم الخطة بكل تفاصيلها .. وقد يرفض بعضهم أو يخافون من الاشتراك فى هذه العملية .. ومن يدرى .. ربما قام جندى أو جنديان منهم بإبلاغ المسئولين فى المدينة بهذا الأمر .

وقال الفلكى كاكو :

— سيدى الأمير .. ابعد هذه الأفكار عن ذهنك .. فانك إذا ضربت ضربتك الآن ، فلن تحصل إلا على تاج من العار أو على قبر بلا اسم .. إن الآلهة نفسها سوف تحارب ضدنا .. !

اقتنع الأمير بوجهة نظر الرجلين وقال :

— إنى أقبل رأيكما عن طيب خاطر .. فالأمر خطير بالفعل .. ولندع الفرعون يعيش .. إلى أن نكون مستعدين غاية الاستعداد ..

وهنا تنفس رئيس الحرس والفلكى الصعداء بعد أن تخلى الأمير عن فكرته . وقال رئيس الحرس :

— اطمئن أيها الأمير ونم جيدا .. هناك وقت تكون الحكمة فيه أفضل من الشجاعة .. ان الفرعون سوف يستقبلك بعد ساعتين من شروق الشمس .. هل تسمح لنا بالانصراف .. ؟

قال الأمير أبنى :

— نعم .. ولكن على كل منكما أن يقسم أمامى بأنه لن ينطق بكلمة واحدة من هذا الموضوع الذى تحدثنا فيه .

وأقسم الاثنان على ذلك . وبعد أن اطمأن الأمير قال لرئيس الحرس :

— إنك تخدمنى بطريقة جيدة .. ولذلك فسوف أضاعف راتبك من الآن .. ومازلت عند وعدى بأن أوليك قيادة الجيش عندما أصبح ملكا ..

ثم نظر الأمير إلى الفلكى كاكو وقال :

— أما أنت يا كاكو .. فسوف أكافئك بملء إناء من الذهب .. وأن ألبى أية رغبة لك أو أى طلب تطلبه ..

وانتهز كاكو الفرصة السانحة وقال :

— أرجو أن تهبنى جاريتك مريت رع .. !

فقال الأمير على الفور :

— هى لك .. !

وعندما ذهبوا ليخبروا مريت رع بوضعها الجديد .. لم يجدوها فى أى مكان بالسفينة ..

لقد اختفت مريت رع .. !

O—O

الفصـــل الثــالث

الأمير آبى يقابل الفرعون

أشرقت الشمس على طيبة .. وظهرت المدينة بكل بهائها وجمالها .. وفى أحد القوارب الكبيرة الفخمة ، وقف الأمير آبى وقد ارتدى أجمل وأفخر ثيابه .. وكان معه فى نفس القارب رئيس حرسه والفلكى كاكو وثلاثة من ضباطه .

وفى قارب آخر مجاور ، كان هناك بعض الجنود ومعهم بعض الأسرى من سكان الصحراء الذين تم أسرهم أثناء الحرب .

كان القاربان يشقان طريقهما فوق صفحة النيل وسط صفين من السفن الحربية التابعة للدولة .. وكانت كل سفينة من هذا الأسطول الضخم مزدحمة بما عليها من جنود ومحاربين .

وعندما شاهد الأمير آبى تلك السفن قال لنفسه : ان كاكو كان حكيماً عندما نصحنى بعدم محاولة الهجوم على الفرعون .. فمن الواضح أن الفرعون قد استعد جيدا لمثل هذه المفاجآت

وعندما وصل الأمير إلى الشاطىء .. شاهد فرقا غفيرة من الجنود المشاة والفرسان .. كما شاهد أيضا مئات من الحراس الواقفين فوق أسوار المدينة .. وفى الطريق إلى بوابات المدينة شاهد الكثيرين من الضباط والقادة والكهنة ..

وفتح الحراس الباب النحاسى الضخم للقصر الملكى ، ودخل الأمير آبى .. وسار فى حديقة القصر بين صفين من الأشجار الجميلة حتى وصل إلى باب القاعة الكبرى ..

وبالرغم من فيض الضوء الذى يسطع فى الخارج ، كانت القاعة الكبرى تبدو معتمة ، إلا من شعاع من نور الشمس يسقط من طاقة فى أعلى السقف ، ويضىء المكان الذى يجلس فيه الفرعون والملكة أحورع زوجته .

وحول الملك والملكة كان يقف المستشارون وقادة الجيوش .. وفى الخلف اصطفت مجموعة كبيرة من الخدم .. وبين الأعمدة الضخمة التى تحمل سقف القاعة ، انتشر نحو مائتين من الجنود النوبيين المشهورين بالشجاعة وبإخلاصهم للملك .

وكان الفرعون الجالس على عرشه ضئيل الجسم .. فى نحو الأربعين من عمره .. وله وجه قلق وإن كان يبدو ذا ملامح طيبة .. وينوء رأسه تحت ثقل التاج الذى يلبسه .. أما يداه فقد كانتا نحيفتين ويداعب بأصابعهما الطويلة حواف ثوبه الذهبى ..

وبالرغم من الضعف الواضح فى جسم الفرعون إذا قورن بالضخامة والقوة الواضحتين فى جسم الأمير آبى ، إلا أن جلال الملك كان يضفى على الفرعون كل مظاهر الرهبة والاحترام . لذلك فما أن وقف الأمير قبالة الملك حتى خر راكعا على ركبتيه . وقال الفرعون بصوت هادئ :

— مرحبا بالأمير آبى .. لقد اختلفنا مع بعضنا منذ زمن طويل .. ولكن الزمن كفيل بشفاء كل الجروح .

وقال الأمير آبى بصوت عميق وقوى :

— إنى أحييك ياصاحب الجلالة .. ولك كل الصحة والعافية .. !

فرد الفرعون بصوته الطيب :

— شكرا لك .. فأنا أحتاج فعلا إلى الصحة والعافية .. ولكن خبرنى أولا .. لماذا تركت مقر حكمك فى مدينة منف دون أن تحصل منى على إذن بذلك .. ولماذا جئت لتزورنى هنا .. ؟ !

فقال الأمير على الفور :

— لا تغضب منى يا صاحب الجلالة .. لقد قمت منذ فترة بالهجوم على سكان الصحراء الذين كانوا يهددون مملكتك .. لقد فاجأتهم بالهجوم .. وقتلت منهم عدة آلاف .. وقمت بأخذ ملوكهم أسرى .. وجئت بهؤلاء الملوك معى لكى تقتلهم بنفسك .. وأحضرت معى أيضا عدة مئات من رؤوس قادتهم .. وبذلك فقد جعلت الحدود الشمالية لمملكتك آمنة لسنوات كثيرة مقبلة .

وقال الفرعون :

— لا أرغب في مشاهدة الرؤوس المقطوعة .. فإني اكره منظر الموت .. وقل لي ماهي المكافأة التي تريدها مقابل هذه الخدمات .. ؟

فقال الأمير بخبث :

— يا صاحب الجلالة .. إني أرى هنا صاحبة الجلالة الملكة وأرى خدمك وأتباعك .. ولكني لا أرى الأمراء والأميرات من أبنائك الملكيين .. فهل تأمر بإحضارهم إلى هنا لكي أراهم بنفسي واتمتع بجمالهم حتى أحكي عنهم لأولادي وبناتي .. ؟ !

وهنا ظهر الغضب في ملامح وجه الملكة الجميلة آحورع .وقال الفرعون بهدوء :

— ولكنك تعلم أيها الأمير آبي إني لم أنجب أولادا حتى الآن ..

فقال الأمير :

— لقد سمعت الناس يقولون ذلك .. ولكني لم أصدق هذا القول .. لذلك فقد سألت سؤالي حتى أتأكد بنفسي قبل أن أتقدم إليك برغبتي .. فهل ترغب جلالتك في أن أتكلم علنا وسط كل هذا الجمع أم تريد أن نتحدث على انفراد .. ؟

فقال الفرعون :

— لا .. استمر في كلامك !

واستمر الأمير آبي في الحديث الذي بدأه وقال :

— لقد أخبرتني يا صاحب الجلالة بأنك لم تنجب أولادا .. ولو كان لك ابن واحد أو حتى بنتا واحدة لما كنت قد بدأت كلامي هذا من الأصل .. ويبدو يا صاحب الجلالة أن الآلهة قد قررت أن يسطع نورك وحدك تماما مثل نور القمر حين يكون بدرا فيبدد ظلمة الليل .. ولا يشترك مع نورك أي نور آخر من أي نجم في السماء .

ولم تتمالك الملكة آحورع غضبها فقالت بصوت مرتفع غاضب :

— ومن يدريك أيها الأمير أبى .. ان الفرعون مازال يحيا ومازلت أنا أيضا أعيش .. وسوف نرزق بوريث يكون له الحق فى الجلوس على عرش مصر !

وقال الأمير متمهلا :

— إن ذلك أمر محتمل .. وفى الحقيقة انى أصلى من أجلكما حتى تتحقق رغبتكما فى الإنجاب .. فإذا أنجبتما ولدا أو بنتا .. فسوف أسحب كلماتى هذه .. وسوف أناديك يا صاحبة الجلالة باللقب الذى تحملينه دون حق .. وهو « الملكة الأم » .. !

وازدادت الملكة أحورع غضبا وشرعت فى الرد على الأمير ، إلا ان الفرعون وضع يده على ركبتها ومنعها عن الكلام ، والتفت إلى الأمير وقال :

— هاه .. أكمل كلامك أيها الأمير .. لقد حدثتنى حتى الآن عما أعرفه وهو انى لم أنجب وريثا للعرش .. فحدثنى عما لا أعرفه حتى الآن .. ماهى رغباتك .. ؟ !

وعندئذ قال الأمير بجرأة :

— يا سيدى الفرعون .. انك تزداد ضعفا يوما بعد يوم .. وأصبحت روحك أقرب إلى السماء منها إلى الأرض .. وأعداء البلاد يهددون مصر من الشمال ومن الجنوب .. وإذا جاءك الموت فجأة دون أن تخلف وريثا للعرش ، فسوف يتنازع الإقطاعيون وكبار ملاك الأرض وحكام الأقاليم ليحل أحدهم مكانك .. وأنا جندى قوى شجاع .. ولدى أبناء كثيرون .. والجيش يثق فى .. والشعب يحبنى .. لذلك فأنا أطلب منك ان تسمح بمشاركتى لك فى الحكم .. وأن توصى بأن يؤول إلى العرش بعدك .. فتضمن بذلك أن تعيش بقية أيامك فى سلام !

سرت همهمة بين جميع الموجودين فى القاعة الكبرى لدى سماعهم هذا الكلام الجسور ، وصاروا يتهامسون ، واشتعلت أعصاب الملكة بغضب جامح فألقت بالزهرة التى كانت فى يدها على

الأرض .. الفرعون وجده هو الذى ظل ثابتا وأحنى رأسه على صدره وأغلق عينيه كما لو كان قد استغرق فى صلاة خاصة .. وظل على هذا الوضع نحو دقيقة ، ثم فتح عينيه ونظر تجاه الأمير آبى وقال مبتسما :

— اسمع يا آبى .. انك لو كنت قد تفوهت بمثل هذه الكلمات أمام أى واحد من الفراعنة السابقين لى ، لكان قد أصدر أوامره فورا بقتلك وقتل كل أفراد عائلتك .. ولكنى أعفو عنك لأنك صارحتنى بأفكارك .. ولكنك لم تصارحنى بكل هذه الأفكار .. أليس كذلك ؟

وحل صمت عميق بكل أرجاء القاعة الكبرى وواصل الفرعون كلامه :

— إنك مثلا لم تصارحنى بما دار فى ذهنك من أفكار فى الليلة الماضية .. ألم تفكر يا آبى فى إمكانية قيامك باقتحام قصرى أنت وحراسك وجنودك لتقتلنى وتعلن نفسك فرعونا .. ؟ !

حدث صياح وارتفعت أصوات غاضبة ، واستل جميع الضباط والقادة سيوفهم واتجهوا نحو الأمير .. ولكن الفرعون أشار إليهم بيده فتوقفوا .. وهنا صاح الأمير وهو ينظر إلى كل من رئيس حرسه والفلكى كاكو وقال :

— من ذا الذى تجاسر وقال مثل هذه الأكاذيب ؟

فقال الفرعون بهدوء :

— لا تسىء الظن برجالك ! .. إنهم أبرياء ولم يقولوا شيئا .. وأنا أشكر تابعك الفلكى الذى نصحك بألا تقوم بهذه المغامرة .. وسوف أمنح الفلكى كاكو هدية بدلا من الجارية التى أهديت إليه !

وهنا أدرك كاكو أن الجارية مريت رع قد سمعت الحديث الذى دار بالأمس وأبلغت الفرعون به .. وبالرغم من كل شىء ، قال الفرعون الطيب :

— ومع ذلك فأنا أغفر لك هذا الخطأ .. أما بالنسبة لطلبك فإنى أقول أنك بالفعل أقوى رجل فى أرض مصر .. وأن لك الحق فى أن

تعتلى عرش البلاد بعد موتى لأنك جندى شجاع وجسور ولأنك من عنصر عريق من جهة أبيك .. ولكنى يا أبى مازلت حيا أعيش ، وقد أنجب طفلا فى المستقبل .. ولذلك فلك أن تختار بين أمرين .. إما أن تصبح سجينا فى قصرى إلى أن أموت .. أو تقسم بأسماء جميع الآلهة بألا ترفع يدك أو تتآمر ضدى بأى شكل من الأشكال ..

وبطبيعة الحال فقد اختار الأمير آبى أن يقسم بأسماء جميع الآلهة بألا يتآمر مرة أخرى ضد الملك ..

O—O

الفصل الرابع

وعد من الإله

كان الوقت ليلا ..

وكان تمثال الإله آمون كبير الآلهة يقف شامخا بمكانه المقدس داخل معبد الكرنك العظيم .. وكان الفرعون وزوجته أحو رع مرتديين ملابس عادية ويقفان خاشعين أمام التمثال وقد استغرقا في صلاة عميقة صادقة تخللتها دموع التوسل والخضوع .

كان المعبد معتما إلا من شعاع ضئيل من نور مصباح صغير معلق بأعلى الجدار .. وبصوت خفيض كأنه الهمس ، حكى الملكان للإله ما يجثم على صدريهما من هموم ثقال .. وأخبراه بالكلمات الساخرة التى قالها آبى حين عايرهما بأنهما لم ينجبا طفلا .. وباحا له بالألم الذى يعتصر قلبيهما لأن الشعب يريد أن يعرف من ذا الذى سيخلف فرعون على عرش البلاد ..

ومسحت الملكة أحو رع جبهتها على قدمى تمثال الإله .. وبللتهما بدموع عينيها الباكيتين .. وتوسلت إلى الإله الصامت وقالت فى خضوع :

— يا إلهى .. لا تدعهم يسخرون منى .. امنحنى طفلا يخلف الفرعون على عرش مصر .. وخذ حياتى مكافأة لك ..

ولكن الإله الصامت لم يجب بشىء ..

ونذر الملكان للإله المزيد من العطايا والقرابين ، ومع ذلك ظل تمثال الإله صامتا ..

وواصل الملكان صلاتهما من جديد إلى أن حل بهما التعب والإجهاد ، فقاما متمهلين .. وانصرفا يائسين ..

وعند باب المعبد قابلا الكاهن الأعلى الذى كان ينتظرهما خارج الحرم المقدس للإله .. وكان الكاهن الأعلى رجلا عجوزا ضئيل الجسم .. قال له الفرعون يائسا :

— لم يعطنا الإله أية علامة .. ولم يجب بشىء .. !

وشعر الكاهن الأعلى بالنبرات الحزينة فى صوت الفرعون ، كما شاهد الدموع تتلألأ فى عينى الملكة .. فقال الكاهن يطمئنهما :

— حين كنت أنتظركما خارج الحرم المقدس .. تسلل إلى أذنى صوت مقدس قال بعض الكلمات .. ولكنى لا أستطيع أن أخبركما بما قال .. فعودا إلى قصركما يا صاحبى الجلالة .. واهجعا إلى النوم ..وستأتيكما علامة فى شكل رؤيا أو حلم .. وستعرفان بوضوح ما سوف تقولانه للأمير آبى ردا على سخريته ..

ووضعت الملكة ذراعها فى ذراع الملك .. وعبرا القاعة الكبرى للمعبد إلى أن وصلا إلى باب سرى يؤدى إلى ممر سرى يصل بين المعبد والقصر الملكى .

وبعد منتصف الليل .. كان الظلام والصمت يلفان مدينة طيبة برداء ثقيل .. ولا صوت يسمع إلا نباح كلب أو كلبين بين حين وحين .. ووقع أقدام الجنود حراس الليل وهم يتحركون فوق أسوار المدينة .

وقبيل الفجر ، هبت الملكة من نومها وأمسكت بذراع فرعون وأيقظته قائلة فى لهفة :

— استيقظ وتنبه .. لدى شىء أريد أن أخبرك به .. !

قام الفرعون من نومه على الفور بعد أن أحس بشىء غريب فى نبرات صوت الملكة .. وجلس الفرعون على حافة السرير ، وقال مستفهما :

— ماذا حدث .. ؟ !

قالت الملكة بفرح واهتمام زائد :

— لقد رأيت حلما يا مليكى .. رأيت مكانا مظلما لاح فيه شكل

نوراني ، ناداني بصوت عميق وطيب : أيتها الملكة آحو رع .. أنا الروح التي صليت أنت وزوجك أمامها هذه الليلة .. وأنا أعرف أنك أنت وزوجك تثقان بي ثقة مقدسة .. وكنتما تصليان لي منذ سنوات طويلة صلوات طيبة وصادقة .. سوف تمنحان طفلة .. وسوف تحل روحي في تلك الطفلة التي ستكون أجمل الجميلات .. بل ستكون أجمل طفلة ولدت على ظهر الأرض .. وسوف تكون قوية وحكيمة .. وسيقدر لها أن تحكم مصر .. بل سوف تكون أعظم من أي ملك سبقها أو أي ملك يعتلي العرش بعدها .. وسوف تنجب أولادا سيخلفونها على العرش ويصبحون ملوكا .. وسيكون اسمها « نتر توا » .. وكبرهان على وعدي هذا ، سوف أضع علامة الحياة « عنخ » فوق صدرك .. وسوف أضعها أيضا على صدر الطفلة القادمة .. قومي الآن وأيقظي الفرعون واحكي له ما رأيت .. واكتبا كلماتي هذه بالنقوش المقدسة حتى لا يصيبها النسيان .. !

وبعد فترة صمت قصيرة ، واصلت الملكة حكاية الرؤيا الغريبة التي شاهدتها :

— وبعد ذلك .. رأيت يدا نورانية تمتد من أطباق الظلام .. وكانت اليد تحمل علامة الحياة .. وما أن وضعت هذه العلامة على صدري ، حتى سطع بريق كوهج النار المتأججة .. وعندئذ استيقظت وتنبهت إلى ما حولي فلم أجد شيئا سوى الظلام .. أطباقا كثيفة من الظلام .. !

امتلأ قلب فرعون بالسرور لدى سماعه هذه الرؤيا التي حلمت بها الملكة ، فقام بتقبيلها بكل فرح .. ونادى على الوصيفات اللاتي كن نائمات خارج الحجرة ، وأسرعت الوصيفات بتلبية النداء وهن يحملن المشاعل .. وعلى الضوء المنبعث من تلك المشاعل ، شاهد الفرعون بنفسه علامة حمراء اللون تشبه علامة الحياة « عنخ » كانت موسومة على صدر الملكة تحت رقبتها مباشرة .

وعندئذ أمر الفرعون باستدعاء الكاهن الأعلى للإله آمون من مقر إقامته بالمعبد ، وحضر الكاهن .. على عجل ، وحكى الفرعون له كل تفاصيل الحلم الذي رآته زوجته ، وطلب منه أن يقوم فورا بتدوين

الكلمات التى نطق بها الإله وسمعتها الملكة فى حلمها .

وبعد أن أشرق الصباح ، أمر الفرعون باستدعاء جميع أعضاء البلاط الملكى واستدعاء الأمير آبى ، وطلب أن يحضر الجميع أمامه لعقد اجتماع عاجل ، وقال الفرعون بكل ثقة :

— أيها الأمير آبى .. لقد درست طلبك ورغبتك أن تشاركنى فى الحكم والجلوس على العرش .. وأن تصبح أنت وأبناؤك فراعنة تتوارثون الحكم بعد موتى .. والآن أريد أن أخبرك أن طلبك هذا مرفوض .. لقد أنبأتنا الآلهة بأننا سنرزق بطفلة سيكون اسمها « نجمة الصباح » وهى التى ستتولى حكم البلاد بعد موتى .. وسيكون لها أبناء سيتوارثون العرش بعدها .. وعليك الآن أن تشاركنا البهجة والفرح .. وأن تعود بعد ذلك إلى مقر حكمك فى مدينة منف .. وأنصحك أيها الأمير بأن تكون سعيدا فى ظل محبتنا .. وأن تحمد الآلهة على النعم التى أعطتها لك .. !

حل الوجوم بالأمير آبى واعتراه الغضب .. وتصور أن كلام الفرعون مجرد خديعة . ولكنه تذكر النبوءة التى تنبأ بها الفلكى كاكو الذى قال له أن نجمة الصباح الخاصة بالإله آمون سوف تزيح نجمه من صفحة السماء .

وبعد فترة صمت قصيرة عاود الفرعون حديثه :

— يخيل إلى أيها الأمير أنك تعتقد أن كلامى هذا غير جاد وغير حقيقى .. وأنا أغفر لك هذا الذنب أيضا .. اذهب وانتظر .. وسوف تتأكد بنفسك أنى لم أقل سوى الحق والصدق .. وذلك عندما ترى البرهان على صحة قولى .. وأقولها لك من الآن .. أن الطفلة نترتوا أو نجمة الصباح التى ستولد لنا ، ستكون موسومة على صدرها بعلامة الحياة « عنخ » .. وعندئذ ستكون على يقين بأن الآلهة قد حدثتنا ..

وعندما انصرف الأمير آبى عائدا إلى مدينة منف .. هز الفلكى كاكو رأسه مؤكدا أن نجم نترتوا سيظهر ويسطع نوره على صفحة السماء .. !

الفصل الخامس

مولد الأميرة نتر توا

مرت فترة الحمل ووضعت الملكة آحو رع طفلة جميلة ذات وجه مشرق صبوح ، وملامح غاية في الجمال والرقة ، وشعر مجعد فاحم كسواد الليل ، وعينين زرقاوين بلون السماء في أمسيات الصيف . وكانت علامة الحياة ظاهرة بوضوح تام على صدر الطفلة الوليدة .

كاد الفرعون أن يجن من شدة الفرح .. وعم السرور كل الموجودين بالقصر الملكي .. وهلل الكهنة مستبشرين خيرا .. عدا فئة قليلة من رجال الدولة الذين كانوا يفضلون أن يكون وريث التاج الملكي الذى سيجلس على عرش مصر رجلا وليس امرأة .

وأصدر الفرعون أوامره بأن يضاف إلى اسم الملكة آحو رع لقب جديد هو « أم نجمة الصباح » وذلك على جميع نقوش جدران المعابد والمقابر والنصب التذكارية التى تحمل اسم الملكة ..

وأمر الفرعون أيضا بتشييد قاعة مقدسة كبرى في معبد الإله آمون .. على أن تنقش على جدران تلك القاعة قصة مجيء آبى إلى طيبة وقصة حلم الملكة الذى تحقق .

ولكن لم يقدر للملكة آحو رع أن ترى تلك القاعة المقدسة الجديدة التى شيدت فى معبد الإله آمون .. فمنذ ساعة الولادة ، دب في جسمها الضعف والهزال ، وأخذ ضعفها يزداد يوما بعد يوم .. وفى اليوم الرابع عشر بعد الولادة أمرت الملكة وصيفتها بأن تحضر الطفلة نجمة الصباح إليها .. وضمت الملكة طفلتها إلى صدرها بكل حنان وقبلتها وباركتها .

وكان المصريون القدماء يعتقدون أن لكل إنسان « كا » أو روح

أو قرين يماثل الإنسان الأصلى فى كل شىء لدرجة لا يمكن أن تكون هناك أية تفرقة أو اختلاف بين الإنسان وروحه أو قرينه . وكانوا يعتقدون أيضا أن الـ « كا» أو القرين يمكن أن يحل محل الإنسان الأصلى إذا واجهته الأخطار أو حاقت به الشرور ..

وعندما كانت الملكة أحو رع تحمل نجمة الصباح على ذراعيها وتضمها إلى صدرها ، أحست أنها إنما تحمل « كا » أو روح ابنتها بين يديها .. لقد تجلت لها « كا » نجمة الصباح بكل وضوح وإشراق .. لذلك توسلت إلى تلك الروح بأن تكون فى حماية نجمة الصباح طول حياتها ، وأن تبعد عنها كل الأخطار وكل الشرور ..

وسلمت الملكة طفلتها إلى الوصيفة ، وأغمضت عينيها نصف اغماضة ، ونظرت فى وهن وضعف شديد إلى كل من حولها ، وقالت بصوت متقطع خفيض أنها تسمع صوت الإله آمون يناديها .. لقد وعدت الإله أن تمنحه حياتها إذا منحها طفلا .. وها قد حان الآن موعد الوفاء بالوعد .. وابتسمت الملكة لزوجها الفرعون الذى كان واقفا بجانبها ، واكتسى وجهها بملامح سعادة هادئة غامرة .. وماتت فى سلام .. !

وبعد أن تم تحنيط موميائها وضعوها فى تابوت فخم وعبروا بها مجرى النيل إلى الشاطىء الغربى .. ودفنوها فى مقبرتها التى أعدت لها فى وادى الملكات .. وسدوا باب المقبرة بأحجار مبنية ، ثم أهالوا على المقبرة كميات ضخمة من الرمال حتى لا يعرف مكانها أحد .

وعندما أصبحت نتر توا أو نجمة الصباح فى الشهر السادس من عمرها ، أرسلوها إلى البيت الذى تعيش فيه كاهنات الإله آمون .

وكان رئيس حراس معبد الإله آمون ضابطا اسمه مرمس ، وكان متزوجا من امرأة تعمل ساحرة اسمها آستى .. وكان مرمس ينتمى إلى أسرة الفراعنة السابقين على فراعنة الأسرة التى ينتمى إليها الفرعون الحالى ، والتى أزاحت الأسرة السابقة عليها وانتزعت منها عرش مصر .

لذلك فقد قام بعض المستشارين بتوجيه النصح إلى فرعون بأن يقتل مرمس وزوجته آستى حتى لا يتآمرا عليه ويستوليا على العرش . ولكن الفرعون لم يأمر بقتل مرمس ، بل أمر باستدعائه للحضور أمامه .. وأخبره بكل شيء عن نصيحة هؤلاء المستشارين .

عندئذ ركع مرمس أمام الفرعون وقال :

— فرعون يا صاحب الجلالة .. لماذا نصحوك بأن تأمر بقتلى .. إن الآلهة رأت أن تحل أسرتك الملكية محل أسرتى الملكية .. تلك كانت مشيئة الآلهة .. وأنا قانع وراض تماما بما أنا عليه الآن كجندى فى جيشك .. دعنى أعيش فى سلام كخادم لك أمين ومخلص .. !

وعندما سمع الفرعون هذه الكلمات الطيبة ، قال :

— أنت رجل محترم يا مرمس .. والدماء التى تجرى فى عروقك مماثلة للدماء التى تجرى فى عروقى .. وأنا على يقين بأنك لن تفعل شيئا ضدى .. وبأنى لن إفعل شيئا ضدك .. ولذلك فسوف تصبح من الآن صديقى ومستشارى !

وأمر الفرعون بأن يقلد مرمس رتبة عالية وعدة وظائف رفيعة .. ولكن مرمس رفض قائلا :

— لا .. إن الأشجار الطويلة العالية هى التى تسقط أولا .. !

وعلى هذا أبقاه الفرعون فى منصبه كرئيس لحراس معبد الإله آمون .. لكن مرمس منذ تلك اللحظة أصبح صديقا لفرعون وواحدا من مستشاريه .

O—O

الفصل السادس

مولد رعمس

في نفس اليوم الذى ولدت فيه الأميرة نترتوا ، وضعت أستى زوجة مرمس ولدا .. ومنذ لحظة مولد هذا الطفل لوحظ أنه ذو ملامح جميلة وممتلىء بالصحة والعافية .. وله بشرة بيضاء وعينان سوداوان لهما بريق يشع بالذكاء .. وله رأس متناسقة التكوين .. وقالت أمه وهى تشير إلى رأس الوليد :

— ان هذا الرأس يستحق أن يلبس تاجا .. !

وأطلقت الأم على وليدها اسم رعمس ، لأن هذا الاسم كان فيما مضى لأحد أفراد العائلة الذى أصبح فى يوم ما ملكا على مصر ..

وتناهى هذا الخبر إلى بلاط الفرعون ، ونصح بعض المستشارين الفرعون بأن يصدر أمره بقتل هذا الغلام لأنه يحمل اسما ملكيا .. ولم يقبل الفرعون هذه النصيحة ، بل وقال لهؤلاء المستشارين :

— لقد ولد هذا الطفل فى نفس اليوم الذى ولدت فيه ابنتى .. وإذا عاش ربما يصبح فى يوم من الأيام صديقا ومساعدا لها .. دعوا الأمور تسير طبقا لما أرادته الآلهة .. وما أنا إلا إنسان ولا أريد أن أنصب نفسى إلها يزهق حياة خلقتها الآلهة !

وهكذا قدر لرعمس أن يعيش ..

وكان بيت مرمس بداخل المعبد الكبير للإله آمون ، ويقع مبنى هذا البيت قريبا من مبنى مقر كاهنات آمون الذى نقلت إليه الأميرة بعد وفاة الملكة أمها .

وتم اختيار آستى زوجة مرمس لتكون مرضعة ومربية للأميرة نتر توا .. وهكذا أصبحت الأميرة تشارك رعمس فى ثديى وذراعى أمه .. وهكذا نشأ الطفلان وتربيا معا .. وتعلما معا كيفية الكلام والمشى على الأقدام .

وبالرغم من أن رعمس أصبح ولدا جسورا وشجاعا ، إلا أن الأميرة الصغيرة كانت تبدو كسيدة له طول الوقت ، ليس باعتبارها الأميرة التى سترث التاج وستجلس على عرش مصر ، بل لأن الأميرة بالرغم من صغر سنها كانت قوية الشخصية .. ولهذا فقد كانت هى التى تقرر أى نوع من الألعاب يلعبانها معا .

وفى أحيان كثيرة كانت الأميرة تنفرد بنفسها وتعيش لحظات ـ قد تطول ـ من التأمل والصمت . وفى تلك اللحظات لم يكن مسموحا لأحد أن يقترب من الأميرة الصغيرة أو يقطع عليها صمتها وتأملها ..

وفى إحدى فترات الصمت والتأمل هذه .. كانت الأميرة تسير متمهلة وسط أعمدة المعبد الضخمة وحيث توجد تماثيل الآلهة .. واقترب منها رعمس وسألها :

ـــ ماذا ترين يا نجمة الصباح فى هذه الأعمدة وتماثيل الآلهة .. ان هذه التماثيل الحجرية أشياء غبية .. وتخيفنى ..

فأجابت الأميرة على الفور :

ـــ ليست أشياء غبية كما تقول .. وهى لا تخيفنى .. بل هى على العكس تحادثنى وتخاطبنى .. وأنا لا أستطيع أن أفهم كل ما يقولون .. ولكنى سعيدة بهم .. بهم جميعا .

وتساءل رعمس مندهشا :

ـــ يتكلمون ؟ ! .. كيف تتكلم هذه التماثيل الحجرية .. ؟ !

فقالت الأميرة :

ـــ لا أدرى كيف .. ولكنهم يتكلمون معى .. والآن عليك أن تلوذ بالصمت ، فهم يتحدثون معى .. !

وعندما بلغ رعمس السابعة من عمره ، أدخلوه إلى المدرسة الملحقة بالمعبد ليتعلم كيف يقرأ ويكتب .

وفي كل يوم كان رعمس يذهب إلى المدرسة .. وأصبحت الأميرة نترتوا أو نجمة الصباح تقضي فترة النهار وحيدة دون رفيق ..

O—O

الفصل السابع

الأميرة والتمساح

وفى أحد الأيام عاد رعمس من المدرسة . فوجد الأميرة نترتوا أو نجمة الصباح تقف وحدها . فسألها :

— لابد انك تشعرين بالوحدة بدونى.. أليس كذلك .. ؟ !

فقالت الأميرة على الفور :

— لا .. لم أشعر بالوحدة .. لقد كان معى شخص آخر ..

— شخص آخر ؟ .. من هو ؟ .. أرينى إياه وسوف أضربه ..

— انه شخص لا تستطيع أن تراه .. انه الـ « كا » .. روحى وقرينى !

— الـ « كا » ؟ ! .. أنا لا أومن بالأرواح .. ومع ذلك فكيف تبدو هذه الـ « كا » الخاصة بك .. ؟

— انها تبدو مثلى تماما .. ولكنها بلا ظل .. لقد كانت تحادثنى !!

— على أية حال فأنا لا أصدق وجود مثل هذه الأرواح ..

ولكن .. حدث بعد ذلك شىء جعل رعمس يغير فكرته تماما عن وجود « كا » أو روح قرين لكل إنسان ..

كانت هناك بحيرة عميقة فى وسط المعبد .. يعيش فيها تمساح مقدس . وكان رعمس ونترتوا قد سمعا كثيرا عن هذا التمساح وتمنيا أن يرياه .. ولكنهما كانا لا يستطيعان أن يصلا إليه ، لأن البحيرة يحيط بها سور من الحجر له باب واحد مغلق دائما .. ولا يفتح هذا الباب إلا كل ثمانية أيام حين يقوم أحد الكهنة بتقديم الطعام إلى التمساح .

وفي صباح أحد الأيام شاهد رعمس هذا الكاهن عائدا بعد أن قدم للتمساح طعامه وأغلق باب السور .. وعندما كان الكاهن يضع المفتاح فى جيبه لم يدخل المفتاح فى فتحة الجيب وسقط فوق الرمل ، ولم يشعر الكاهن بأنه فقد المفتاح .

وعلى الفور توجه رعمس إلى الأميرة نجمة الصباح وحياها وقال لها فرحا :

— يا نجمة الصباح .. عندما أعود من المدرسة عصر هذا اليوم سنذهب سويا إلى البحيرة لنرى التمساح المقدس .. انظرى .. لقد حصلت على المفتاح .. لقد سقط من الكاهن دون أن يشعر .

وفرحت الأميرة الصغيرة كثيرا بهذا الخبر ، فقد كانت تتوق دائما لرؤية هذا التمساح المقدس .

وعندما عاد رعمس من المدرسة عصر ذلك اليوم ، كان قد أحضر معه حمامة اشتراها بمقابل سكين صغير كان يملكه . وكان ينوى تقديم هذه الحمامة هدية للتمساح . ولكنه عندما ذهب إلى الأميرة ليصطحبها إلى البحيرة ، وجد الأميرة قد غيرت رأيها وقالت له :

— لا أعتقد اننا سنذهب لنرى هذا التمساح ..

وقال رعمس مندهشا :

— ولم لا .. إن أحدا لن يعرف .. وسيكون ذلك سرا ..

قالت نجمة الصباح :

— ان الـ « كا » .. روحى وقرينى حذرتنى من الذهاب إلى البحيرة لرؤية التمساح المقدس .. وأنذرتنى بأننا سنتعرض للخطر لو فعلنا ذلك .

عندئذ قال رعمس غاضبا :

— اللعنة .. أرينى هذه الـ « كا » لأتحدث معها .. !

وازداد غضب رعمس حين ذكر للأميرة أنه اضطر للتنازل عن سكينه الصغير فى مقابل تلك الحمامة التى سوف يقدمها إلى التمساح .. وقال للأميرة انه سوف لا يثق فيها بعد ذلك ..

وهنا قالت الأميرة نجمة الصباح :

— لا تغضب هكذا .. فأنا أعتقد أن روحى لن تمانع فى أن ألقى نظرة قصيرة خاطفة على التمساح .. فهيا بنا !

وهكذا انطلق الصغيران نحو حديقة المعبد .. واخترقا صفوف الأشجار الكثيفة حتى وصلا إلى السور الحجرى المحيط بالبحيرة .. وظلا يسيران فى ظل السور حتى وصلا إلى الباب .. ووضع رعمس المفتاح فى ثقب الباب وأداره .. فانفتح الباب قليلا ، ودلفا إلى الداخل .

وما أن وجد الصغيران نفسيهما أمام البحيرة ، حتى تمنى كل منهما أنه لم يحضر إلى هذا المكان المخيف .. الذى تصعد منه رائحة قوية غير طيبة جعلت الأميرة تشعر بالغثيان ..

كانت البحيرة واسعة ذات مياه تبدو سوداء .. وفى وسطها جزيرة تحيط بها هذه المياه من كل جانب .. وكان هناك طريق حجرى ضيق يمتد على طول حواف البحيرة .. وشاهدا قاربا صغيرا مربوطا على جانب من هذا الطريق .. ولم يكن هناك أى أثر للتمساح يمكن أن يرى .. وقالت الأميرة :

— ربما يكون التمساح نائما الآن فى مكان ما !

فقال رعمس :

— هيا نعود .. إنى لا أطيق هذه الرائحة .. !

وقالت الأميرة :

— يبدو أنك خائف .. ما دمنا قد جئنا إلى هنا ، فمن الغباء أن نعود دون أن نرى التمساح .

واضطر رعمس إلى أن يقول للأميرة :

— أنا لست خائفا !

ولكنه تحاشى أن يقول لها أن عودتهما إلى الخارج أصبحت مستحيلة لأن باب السور قد أغلق بعد دخولهما .. وأن الباب ليس به ثقب للمفتاح من جهة الداخل .

وسار الصغيران فوق الطريق الحجرى الضيق الذى يحيط بالبحيرة ، ولكنهما لم يجدا للتمساح أثرا .. وعندئذ قال رعمس :

— هيا بنا نركب هذا القارب الصغير لنبحث عن التمساح .. ربما يكون مختفيا فى تلك الجزيرة التى تتوسط البحيرة !

وقفزت الأميرة نجمة الصباح إلى القارب برشاقة ، وقفز رعمس وراءها ، وبدأ يجذف .. وسار القارب حول الجزيرة من كل جانب ، ومع ذلك لم يظهر للتمساح أى أثر . فقال رعمس :

— إنى لا أصدق أن هناك تمساحا فى هذه البحيرة .

وقالت الأميرة :

— جرب الحمامة ! .. قدمها إليه وسوف يظهر ليأخذها .. !

وألقى رعمس الحمامة فوق سطح الماء وقال :

— اظهر أيها التمساح لو كنت موجودا هنا حقا ..

وبطريقة مخيفة ظهر التمساح أمامهما فجأة .. وشاهدا جسمه الطويل الضخم وذيله وعينيه البراقتين وأسنانه المدببة اللامعة التى برزت من فكيه حين انقض على الحمامة والتهمها .. ثم اختفى التمساح مرة ثانية فى أعماق البحيرة .

وقال رعمس وهو يستجمع زمام شجاعته :

— ها هو التمساح الذى يعيش فى هذه البحيرة منذ مئات السنين .. لقد رأيناه !!

وقالت الأميرة نجمة الصباح :

— نعم لقد رأيناه .. ولكنى لا أريد أن أراه بعد ذلك أبدا .. هيا بنا نبعد عن هذا المكان .. أسرع !

وأمسك رعمس بالمجداف وبدأ يعود بالقارب نحو الشاطىء .. ولكن فجأة حدث شىء مخيف .. لقد ظهر التمساح فوق سطح الماء مرة ثانية واتجه فورا نحو مؤخرة القارب ، ورفع رأسه فوق حافة المؤخرة محاولا الانقضاض على رعمس والأميرة التى أخذت تصيح منادية « كا » روحها لكى تنقذها من هذا الخطر الداهم .

وقال رعمس مستحثا الأميرة :

— اطلبى منها أن تبعد عنا أذى هذا التمساح !

ولكن التمساح تمكن من وضع رأسه على الجزء الخلفى من القارب وبدأ يزحف ببقية جسمه نحو الفريستين وصرخت الأميرة قائلة :

— إنه يقترب .. سوف يأكلنا ونحن أحياء !!

وفى نفس اللحظة لمست مقدمة القارب شاطىء البحيرة ، وصعد التمساح بكل جسمه فوق القارب الذى امتلأ بالماء وبدأ يغرق . واستجمع رعمس كل قوته وشجاعته ودفع بالأميرة فوق الشاطىء وأمسك بالمجداف وأخذ يضرب التمساح ليبعده عنها . وعندما فتح التمساح فمه زج رعمس بالمجداف بين الفكين ومنع التمساح من الحركة .

وصاحت به الأميرة :

— هيا يارعمس .. اتركه ودعنا نجرى .. !

ولكن رعمس كان لا يستطيع أن يترك التمساح لأن ذلك معناه أن التمساح سيأكل الأميرة ويأكله هو أيضا ، فظل ممسكا بالمجداف ويزج به إلى داخل فم التمساح أكثر وأكثر ..

ولأن التمساح كان قويا فقد استطاع أن يحطم المجداف بين أسنانه ، ثم لفظ الجزء الذى دخل إلى فمه ، وبدأ يتقدم بسرعة نحو الفريستين فى هجوم شرس .. وهنا قفز رعمس فوق التمساح وأخذ يضربه فى عينيه .. ولكن التمساح استطاع فى النهاية أن يمسك بيد رعمس بين فكيه وبدأ يغوص فى ماء البحيرة ، ساحبا معه الغلام الصغير .. !

لم يصرخ رعمس ولم ينطق بكلمة .. ولكن الأميرة نجمة الصباح شاهدت الألم الفظيع الذى كان يتبدى فى ملامح وجهه .. فصرخت متضرعة :

— ساعدنى يا أمون !!

وبحركة تلقائية سريعة أمسكت بذراع رعمس محاولة منع

التمساح من سحبه إلى الأعماق .. وفى الوقت نفسه أمسكت بيدها الأخرى صخرة ناتئة من صخور الشاطىء .. ومع ذلك فقد ظل التمساح يسحب الاثنين معا بكل قوته ..

وفجأة انقطعت قوة الجذب مرة واحدة ، فقد انقطع الإصبع الصغير من يد رعمس بين أسنان التمساح الذى غاص واختفى فى ماء البحيرة .. وعندما شاهدت الأميرة نزيف الدم من إصبع رعمس المقطوع ، غشى عليها ولم تعد تتذكر شيئا سوى أصوات صياح وصرخات ودق عنيف على باب السور .. !

وعندما أفاقت الأميرة من غشيتها .. وجدت نفسها راقدة فى حجرتها ببيت مرمس ورأت السيدة آستى جالسة بالقرب منها والدموع تنهمر من عينيها . فسألتها الأميرة مندهشة :

— لماذا تبكين يا آستى ؟ .. ألا ترين أنى قد عدت إليكم سالمة .. ؟ !

فقالت آستى وقلبها يكاد أن ينفطر من شدة الحزن :

— إنى أبكى على ابنى رعمس !

فجزعت الأميرة وسألتها متلهفة :

— هل مات بسبب الجراح التى أصيب بها .. ؟ !

فردت آستى :

— لايا نجمة الصباح .. انه مازال حيا ، وهو يرقد الآن فى حجرته .. ولكن الفرعون سوف يأمر بقتله لأنه عرض حياتك لخطر عظيم وأنت الملكة التى ستجلس فى يوم ما على عرش مصر .. !

فقالت الأميرة بسرعة :

— انه لم يعرض حياتى للخطر .. بل هو الذى أنقذ حياتى من موت داهم كان يهددنى .. !

وفى تلك اللحظة فتح باب الحجرة ودخل فرعون .. وكان شاحب الوجه وينتفض من شدة الخوف .. ولكنه عندما رأى ابنته الأميرة نجمة الصباح مازالت حية وسالمة ولم يصبها أى أذى ، احتضنها

بين ذراعيه وامتلأ قلبه بالبهجة والسرور .. ثم خر الفرعون راكعا على ركبتيه حمداً للآلهة التى أنقذت ابنته الوحيدة .

وأخذت نجمة الصباح تقبل والدها شاكرة عطفه عليها وحبه لها ، وسألته بصوت حنون مطمئن :

— لماذا تخاف على إلى هذا الحد ؟ .. ألم يعد الإله الأكبر آمون بأن يحمينى من كل سوء .. وكذلك رعمس ..

وما أن سمع الفرعون اسم رعمس ينطق أمامه حتى اعتراه الغضب . وقال لابنته :

— لا تتحدثى إطلاقا عن هذا الولد .. سوف يعاقب بالضرب إلى أن يموت !

فقالت الأميرة الصغيرة :

— لا يا أبى .. لقد أنقذ رعمس حياتى .. بل لقد عرض نفسه لموت محقق لينقذ حياتى .. أرجوك أن تنصت لتسمع القصة كاملة .. !

واستمع الفرعون بدهشة وإعجاب إلى القصة التى روتها له الأميرة نجمة الصباح .. وعندئذ أمر الفرعون بإحضار رعمس أمامه ، وعندما دخل رعمس إلى الحجرة ، أسرع إليه الملك وانحنى وقبله فى جبهته .. وأمر بتكليف كبار الأطباء فى المملكة بعلاج رعمس ومداواة جروحه .

وعندما التأمت الجروح وشفى تماما أهدى إليه الفرعون سيفا له مقبض جميل على شكل تمساح ، ومنحه لقبا رفيعا هو « حامى السيدة الملكية » .. !

ولكن منذ ذلك الحين تغير الوضع بالنسبة لرعمس والأميرة نترتوا .. فلم يعد مسموحا لهما أن يلعبا سويا بمفردهما .. وتم تكليف مجموعة من الجنود والخدم بأن يكونوا فى معية وصحبة الأميرة بصفة دائمة ..

كذلك فقد وضع رعمس فى رعاية أحد الضباط المحاربين ليعلمه كيف يصبح جنديا يجيد القتال ..

وهكذا أصبح من النادر أن يلتقى رعمس ونجمة الصباح .. وبالرغم من ذلك فقد أصبح من الواضح أن كلا منهما قد وقع فى غرام الآخر ..

وفي كل صباح .. حين كانت الأميرة تؤدى صلواتها للإله آمون .. كانت تصلى من أجل أبيها فرعون مصر .. ومن أجل روح أمها الملكة آحو رع .. ثم تصلى من أجل رعمس .. !

O—O

الفصل الثامن

التوسل إلى آمون

وبمرور السنوات ، أصبحت الأميرة نترتوا أو نجمة الصباح شابة يانعة ، رائعة الحسن والجمال .. بل لم تكن هناك فى طول مصر وعرضها شابة تدانيها جمالا وذكاء ..

كانت عيناها زرقاوين بلون البحر .. وكان خداها حمراوين بلون الورد .. ويتوج رأسها شعر أسود جميل .

وكان أبوها الفرعون يعلمها كيف تمارس شئون الحكم .. وعندما اكتمل تعليمها وأصبحت ذات خبرة عظيمة ، أوكل إليها الفرعون كثيرا من الاختصاصات وقال لها :

— لقد تقدمت فى العمر يا ابنتى وأصبحت أزداد ضعفا يوما بعد يوم .. وأصبح التاج ثقيلا على رأسى .. ويجب عليك يا ابنتى أن تشاركينى فى حمل هذا التاج .. !

وهكذا أمر الفرعون بإعداد حفل عظيم لتتويج نجمة الصباح .. وفى اليوم الموعود أقام الكهنة والكاهنات صلوات خاصة من أجلها وأسبغوا عليها بركاتهم .. وقام الأمراء والنبلاء بتقديم الهدايا الثمينة .. وانحنى أمامها الملوك والأمراء والحكام الأجانب .. وفى حضور الجميع ، وضع الفرعون تاجا على رأسها .

وبينما كانت الملكة المتوجة الجديدة جالسة على عرشها الذهبى ، كان جميع الحاضرين يتطلعون إليها ويملأون عيونهم بمرأى جمالها وقوة شخصيتها وحسن منظرها .. أما هى ، فقد كانت تتجول بعينيها بين وجوه الحاضرين ، باحثة عن وجه معين تحب أن تراه .. وجه الضابط القوى الشجاع رعمس ..

والتقت العيون ، ودب السرور فى قلب كل من الضابط والملكة

وانتهى الحفل وحل الليل .. وجلست الملكة نتر توا وحيدة فى غرفتها .. وأخذت تفكر فى العظمة والجلال الذى أصبحت فيه باعتبارها ملكة على مصر .. ولكنها أخذت تفكر فى نفس الوقت فى مدى فائدة هذا كله .. هل هؤلاء الملايين الذين أصبحت تحكمهم والذين يعتبرونها إلهة يستطيعون أن يمنحوا قلبها ما تتطلع إليه من السعادة ؟ .. وهل هذا التاج بقادر على أن يزيح عن نفسها هموم وحزن الإنسان .. ؟ !

انها تريد أن تعرف الحقيقة .. تريد أن تعرف ما سوف يقع لها فى المستقبل .. وكيف ستواجهه. مهما كان سيئا ؟ !

عندئذ قامت من جلستها واتجهت نحو الباب ، وطلبت من إحدى خادماتها أن تذهب لاستدعاء السيدة آستى وتبلغها برغبة الملكة فى رؤيتها ..

ومر بعض الوقت حتى حضرت السيدة آستى .. كانت لم تزل ممشوقة القوام وذات مظهر نبيل .. وبالرغم من أن عمرها أصبح نحو الخمسين عاما ، إلا أن الشيب لم يتجاسر بعد أن يدب فى شعرها .. وقالت السيدة آستى معتذرة :

— لقد كنت فى المعبد حين جاءتنى خادمتك لاستدعائى .. وأرجو أن تغفرى لى يا صاحبة الجلالة هذا التأخير فى الحضور أمام جلالتك .. !

وركعت السيدة آستى أمام الملكة .. ولكن الملكة تقدمت إليها وانهضتها من ركوعها وقبلتها .. وقالت لها بحنان بالغ :

— ارجوك أن تحدثينى بدون كل هذه الألقاب الضخمة .. قولى لى يا نتر توا فقط كما كنت دائما تنادينى .. فأنت لى بمثابة أمى !

وبكل حنان الأم تساءلت السيدة آستى :

— ما هو الأمر الذى استدعيتنى من أجله ؟ .. هل بدأت تشكين من ثقل التاج على رأسك .. ؟ !

— نعم يا أمى لقد بدأت أعانى من هذا الثقل .. إنى قلقة ولا أستطيع النوم .. وأرجوك أن تخبرينى لماذا عقد الفرعون مجلس الحكم بعد انتهاء حفل تتويجى ؟ .. ولماذا لم أدع لحضور هذا الاجتماع .. ؟ !

فقالت السيدة آستى :

— لأن هذا الاجتماع قد عقد ليتناقشوا فى أمر زواجك !

اندهشت نترتوا وقالت على الفور :

— زواجى أنا ؟ ! .. ممن ؟ !

— كانت هناك سبعة من الأسماء .. من النبلاء العظام ومن أبناء الملوك الأجانب .. وأمير كوش ..

وعند سماع كل اسم كانت نترتوا تشيح بيدها دلالة على الرفض والامتعاض .. وتعلق بكلمات مثل : عجوز .. بدين وقبيح .. كلب أجنبى ..

وبعد أن انتهت السيدة آستى من ذكر هذه الأسماء توقفت عن الكلام ، فاستحثتها نترتوا أن تواصل الحديث قائلة فى ترقب وقلق :

هاه .. استمرى .. ألم تكن هناك أسماء أخرى .. ؟ !

ونظرت المرأتان كل منهما إلى الأخرى فى صمت .. وبعد لحظات قالت آستى بصراحة :

— من المستحيل أن يتحقق زواجك ممن تفكرين فيه .. إن هناك قانونا صدر منذ زمن طويل .. يمنع أى فرد من أسرتنا أن يجلس على عرش مصر .. فهل تريدين أن تتسببى فى قتل أبنى يا نترتوا .. ؟ !

فقالت نترتوا بحزم :

— عندما أصبح فرعونا وأحكم وحدى ، سوف يكون لى قانونى الخاص .. وإذا كان الناس لا يقبلون هذا القانون ، فليبحثوا لهم عن فرعون غيرى !

وقالت السيدة آستى متضرعة :

— أرجوك أن تبعدى عن ذهنك هذه الفكرة وأن تدفنى هذه الرغبة فى مجاهل النسيان .. وإلا فإنك سوف تحرمين رعمس من متعة النظر إليك وأنت جالسة وحدك على عرش مصر .. وصدقينى إنى أصبحت قلقة عليه .. وأخاف أن يدسوا له السم .. أو يصوب أحد إلى صدره حربة أو رمحا ويبدو الأمر كما لو تم مصادفة .. !

— لو فعل أحد ذلك فسوف أنتقم منه !

— وماذا يفيد الانتقام إذا مات رعمس وأغلق عليه القبر .. ؟ !

ومرت لحظات من الحزن قطعتها نترتوا قائلة :

— انهم يدعوننى نجمة الصباح .. ابنة آمون .. ولهذا فلابد أن الإله آمون يحبنى ويستجيب إلى صلواتى وليمنحنى القوة والقدرة على حماية أعزائى وأحبائى .. إنهم يقولون يا أمى أنك قادرة على فتح آذان الآلهة لتسمع وفتح أفواههم لينطقوا الكلام .. أرجوك يا أمى أن تستحضرى الإله آمون لأتحدث معه .. !

— ألا تخافين .. ؟ !

— ولم أخاف ؟ .. وهل تخاف البنت من أبيها ؟ .. مادام الإله آمون هو أبى .. فانى أتمنى أن يظهر أمامى وجها لوجه .

وعندئذ قالت السيدة آستى :

— إذن .. تعالى معى .. سوف أحاول .. وربما يستمع إلينا ويستجيب لنا .. ولكن اعلمى ان الإله آمون لو جاء إلينا ، فسوف نقوم أنا وأنت بدفع الثمن .. !

■ ■ ■

وذهبت الاثنتان معا إلى ركن قصى من أركان المعبد .. ودخلتا إلى دهاليز وممرات ضيقة .. ثم هبطتا إلى سلم سرى حتى وصلتا إلى باب غريب فى قلب الصخر .. وفتحت آستى هذا الباب . وأدخلت نترتوا ثم دخلت وراءها وأغلقت الباب خلفهما .. وتساءلت نترتوا :

— أين نحن .. وما هذا المكان ؟ !

وأجابت آستي :

— انه مدفن كاهنات آمون الكبريات .. يقولون أن الإله يراقب هذا المكان .. ولم يدخل أحد إلى هنا منذ ثلاثين عاما .. انظرى .. ها هى علامات أقدام الذين حملوا مومياء آخر كاهنة كبرى ماتت ودفنت فى هذه المقبرة ! .

وكانت آستى تحمل فى يدها مصباحا .. وعلى ضوء هذا المصباح رأت نتر توا أن المكان عبارة عن كهف صخرى ، رسمت على جدرانه صور الآلهة .. وتراصت على كل جانب من جوانبه صفوف من التوابيت التى تحتوى على مومياوات الكاهنات اللاتى تم دفنهن فى هذه المقبرة .. وفى آخر الكهف رأت مذبحا مبنيا من الحجر الأسود ..

وطلبت آستى من نتر توا أن تركع على الدرجة الحجرية المقامة أمام المذبح ، ثم ذهبت هى إلى حجرة جانبية وضعت فيها المصباح الذى كانت تحمله .. وهكذا غرق المذبح والراكعة أمامه فى ظلام أسود دامس ..

وسمعت نتر توا وقع خطوات آستى وهى تتقدم نحوها .. وأحست بها حين ركعت بجانبها على الدرجة الحجرية أمام المذبح .. وشعرت نتر توا بأن الـ « كا » الخاصة بكل كاهنة مدفونة بهذه المقبرة قد أخذت تنهض من التوابيت المرصوصة إلى اليمين وإلى اليسار .. وأن هذه « الكاءات » أو الأرواح قد أخذت تتجمع وتنصت وتراقب ..

لم تكن نتر توا ترى هذه الأرواح أو تسمعها .. ولكنها كانت على يقين من أن هذه الأرواح موجودة بالفعل .. بل وتستطيع أن تعرف عددهن الحقيقى فقد كن اثنتين وثلاثين روحا .. بل وتكاد أن تتخيل فى ذهنها الشكل الحقيقى لكل روح .وكانت كل روح تختلف عن الأخرى .. !

وسمعت نترتوا صوت آستى وهى تؤدى صلواتها الطويلة .. واستمرت هذه الصلوات دون أن تظهر لها أية استجابة .

وعندئذ نهضت آستى على قدميها واقفة وقالت :

— هيا بنا نعود قبل أن تغضب منا هذه الأرواح التى تراقبنا .. !

ونهضت نترتوا هى الأخرى واقفة على قدميها ، ووضعت يدها فى يد آستى .. وما أن سارت بضع خطوات حتى شعرت بخوف عميق ينتابها ، ووجدت نفسها تخر راكعة على ركبتيها .. لقد ظهر شعاع من النور بالقرب من باب الكهف المغلق .. وأخذ هذا الشعاع يتشكل وتتضح معالمه .. إلى أن أصبح فى شكل امرأة جميلة ترتدى الزى الخاص بملكات مصر ..

وقفت هذه الملكة النورانية أمامهما ، وقالت بصوت حلو خفيض منادية نترتوا :

— يا ملكة مصر .. يا بنت فرعون .. هل تخافين من النظر إلى أمك آحو رع .. إنك تريدين أن ترى الإله وجها لوجه .. ولو ظهر الإله أمامكما فسوف تموتان على الفور .. ولهذا فقد كان الإله رحيما بكما وأرسلنى إليكما نيابة عنه .

وهنا قالت نترتوا فى خشوع :

— أرجوك أن تطلبى من آمون أن يغفر لنا .. وأنا وحدى الملومة على ذلك .. ولم ترتكب آستى أى ذنب .. إن قلبى مملوء بالشكوك والمخاوف .. وأصبحت أخشى على نفسى وعلى شخص آخر .. أريد أن أعرف ما يخبئه المستقبل !

— أيتها الملكة نترتوا .. لماذا تريدين أن تعرفى المستقبل ؟ .. إذا أصبحت آلام الحياة والموت معروفة لدينا وواضحة أمامنا .. فمن ذا الذى يجسر على أن يستمر حيا .. ؟ !

— ولكنى أريد أن أعرف شيئا واحدا .. أريد أن أعرف أنى لن أعيش دون حب .. أريد أن أعرف أنى لن أعطى كزوجة لشخص اكرهه أريد أن أعرف ما إذا كان الإنسان الذى أحبه سيجعلنى

زوجته .. إن هذا الإنسان يتعرض لخطر عظيم .. وأطلب من آمون القوى أن يساعدنى ويساعده .. !

— إن إيمانك وإخلاصك هو الذى سيساعدك .. إن الكلمات التى نطق بها آمون قد سجلت كتابة .. ولن يضيع حبك عبثا ..!

— أخبرينى .. ممن أطلب المساعدة إذا واجهتنى المشاكل والصعاب وحاقت بى الأخطار .. ؟ !

— ان الـ « كا » روحك وقرينك التى بداخلك ستساعدك وتحميك .. إن هذه الروح القوية قد منحت لك منذ لحظة مولدك .. وتستطيع آستى أن تستدعيها .. والآن يا آستى .. أريد أن أقول لك شيئا قبل أن أرحل !

وهنا تقدمت آستى إلى حيث اقتربت من شعاع النور المتمثل فى هيئة الملكة آحو رع ، التى انحنت وهمست فى أذنها ببضع كلمات ..

وأخيرا رفعت الملكة آحو رع يديها ولوحت بهما تجاه ابنتها الملكة نترتوا كما لو كانت تباركها .. ثم اختفت .. !!

O—O

الفصـــل التـاسع

حفل استقبال الأمير أماتل

طوال شهر بأكمله أقيمت احتفالات عظمى بمدينة طيبة .. وكانت هذه الاحتفالات والولائم تقام بالقصر الملكى واحدة بعد أخرى .. وكان ضيف الشرف فى كل احتفال واحدا من النبلاء الذين تقدموا لخطبة نتر توا والزواج منها ..

وفى نهاية كل احتفال من هذه الاحتفالات كان الفرعون ورجال البلاط يتوجهون إلى حيث تجلس نتر توا ويسألونها عن رأيها فى العريس المرشح وعما إذا كانت توافق على الزواج منه ..

ولكن لأن نتر توا كانت ذكية وحكيمة .. فلم تعطهم إجابة مباشرة ، وإنما كانت تطلب منهم إحضار البردية التى دون فيها تسجيل كتابى للحلم الذى رأته أمها الملكة آحو رع .. وعندما كانوا يحضرون هذه البردية ويقرأونها أمامها ، كانت تشير إلى النص الذى وعدها فيه الإله آمون بحبيب من أصل ملكى .. وكانت تشير إليهم دائما بأن هؤلاء العرسان المرشحين للزواج منها ما هم إلا ضباط أو حكام أو رؤساء ولا يجرى فى عروقهم دم ملكى .. وفى هذا مخالفة صريحة لنبوءة الإله آمون .. !

ولم يعد باقيا من هؤلاء العرسان المرشحين للزواج من نتر توا سوى عريس واحد ، تعلم هى تماما أن أباها وكل رجال البلاط الملكى يرغبون فى أن توافق على الزواج منه .. إنه الأمير أماتل أمير كوش ...

كان هذا الأمير الابن الأكبر لملك كوش [1] التى تقع جنوب البلاد

---

(١) مملكة كوش هى مملكة النوبة القديمة . وكانت عاصمتها ـ فى زمن أحداث الرواية ـ مدينة عظيمة تسمى « نباتا » .

المصرية .. وقد استطاع بعض ملوك كوش فى الماضى أن يزحفوا بجيوشهم إلى الشمال ليحتلوا مصر ويحكمونها ويجلسون على عرش الفراعنة . وعندما استطاع المصريون أن يطردوا هؤلاء الملوك المغتصبين ، من بلادهم ، صدر قانون ملكى بمنع أى واحد من سلالة ملوك كوش الذين جلسوا على عرش مصر أن يحكم مصر مرة أخرى ، كما حرم عليهم إلى الأبد أن يضع أحدهم تاج مصر فوق رأسه .. وكان رعمس سليلا من أحفاد ملوك كوش الذين حكموا مصر فى الماضى .. !

وبعد أن طرد المصريون آخر ملوك كوش المغتصبين عادت أسرته الملكية إلى بلادها .. ولكن أهل كوش طردوا هذا الملك وأسرته ، وتولت عرش مملكة كوش أسرة ملكية جديدة .. وكان الأمير أماتل هو الابن الأكبر لآخر ملوك هذه الأسرة ومن المقرر أن يعتلى عرش كوش بعد موت أبيه ..

وكان الفرعون ورجال البلاط الملكى يأملون فى أن تنضم أراضى كوش إلى أراضى المملكة المصرية وتصبح تحت حكم التاج الملكى المصرى ، إذا تم الزواج بين أماتل أمير كوش ونتر توا ..

ولهذا السبب كان الاحتفال الذى أقيم لاستقبال أمير كوش هو أكبر وأفخم الاحتفالات التى أقيمت فى طيبة .. وكان هذا الأمير قد دعى فى الأصل لحضور حفل تتويج الملكة نتر توا ودبر مع رجال البلاط الملكى المصرى أن يتقدم بطلب الزواج من الملكة .

وبالرغم من جسامة الاستعدادات التى جرت فى القصر الملكى لإقامة هذا الاحتفال الفخم ، إلا أن نتر توا لم تهتم بالأمر وتظاهرت بأنها لا تعرف شيئا .

وعندما وصلت نتر توا إلى القاعة الكبرى التى أقيم فيها الاحتفال جلست إلى جوار والدها الفرعون ، وتساءلت مندهشة :

— من هو يا ترى الضيف الذى أقيم من أجله كل هذا الاحتفال الفخم .. ؟ !

فأجاب الفرعون :

— انه أمير كوش .. الابن الأكبر للملك الذى يعتبر إلها فى بلاده .. وهذا الأمير سوف يصبح ملكا على كوش فى يوم ما .

وتساءلت نترتوا مرة أخرى :

— كوش ؟ ! .. أعتقد أننا نطالب بأرض كوش باعتبارها جزءا من الديار المصرية .. ؟ !

فقال الفرعون :

— لقد كانت بلاد كوش تابعة لنا فيما مضى .. كما استولى بعض ملوك كوش على عرش مصر وحكموها فترة من الزمن إلى أن قام المصريون بطردهم جميعا من أرض الوطن .. ومع ذلك فقد بقى من سلالة وأحفاد هؤلاء الملوك أفراد ثلاثة فقط هم مرمس رئيس الحرس وزوجته آستى وابنهما رعمس الذى أنقذك من التمساح عندما كنت صغيرة .. أتذكرين .. ؟ !

— نعم أذكر ذلك جيدا .. ولكن لماذا لم يصبح مرمس ملكا على كوش .. ؟ !

— لان أهالى كوش أسقطوا أسرته الملكية .. وتولت عرش كوش أسرة ملكية أخرى هى الأسرة التى ينتمى إليها الأمير أماتل .

— أليس معنى ذلك أن ملك كوش الجالس على عرشها الآن ليس له حق شرعى فى الجلوس على هذا العرش .. ؟ !

فقال الفرعون محتدا :

— لا تقولى ذلك مرة أخرى .. لأن ذلك معناه عدم أحقيتى فى الجلوس على عرش مصر .. وأن مرمس هو صاحب الحق فى الجلوس مكانى !

ولزمت نترتوا الصمت ولم تقل شيئا ..

ولكن بعد فترة تساءلت دون اهتمام :

— وهل جاء أمير كوش هذا ليطلب الزواج منى .. ؟

فأجاب الفرعون فى حسم :

— نعم .. ألا تعرفين ذلك ؟ .. وعليك أن تكونى لطيفة معه فقد تقرر أن يكون هذا الأمير زوجا لك .. ها هو ذا .. !!

وهنا انطلق صوت موسيقى صاخبة .. ودخلت إلى القاعة فرقة من نافخى الأبواق وقارعى الطبول .. ودخل بعدهم عشرون من الجنود السود الأشداء وهم يحملون رماحهم ذات السنون العريضة اللامعة ويتدرعون بدروعهم الملونة ويلبسون ملابس من جلود الحيوانات المتوحشة ..

ثم دخل أمير كوش .. وكان شابا عريض الكتفين وله وجه بملامح ثقيلة .. وتتدلى من عنقه مجموعة كبيرة من السلاسل الذهبية والمجوهرات .. ويلبس على رأسه تاجا من ريش الطيور .. ويسير بجانبه حملة المراوح يهوون عليه .. ويحمل ذيل ثوبه من الخلف اثنان من الرجال الأقزام لا يزيد طولهما عن طول طفل صغير .. !

وما أن وقعت عينا نتر توا على هذا الأمير حتى شعرت نحوه بكراهية لم تشعر بمثلها ضد أحد من قبل .. ولشدة دهشتها لاحظت أن فرقة من جنود الحرس المصريين قد وضعت فى خدمة الأمير وكان قائد هذه الفرقة هو الضابط رعمس .. !

كان رعمس مرتديا زيه العسكرى الرسمى ، ويتدلى على جانبه سيف لامع له مقبض على شكل تمساح ، وهو السيف الذى أهداه إليه الفرعون .

وتساءلت نتر توا بينها وبين نفسها : لماذا اختاروا رعمس بالذات ليكون على رأس فرقة خصصت لخدمة الأمير أماتل .. لابد أن بعض رجال البلاط قد دبروا ذلك لإذلاله والحط من شأنه وقدره .. ولكن رعمس فى حقيقة الأمر ينتمى إلى أسرة ملكية أقدم وأعرق من أسرة الأمير أماتل .. وبالتالى فإن له حقا شرعيا فى اعتلاء عرش كوش أقوى من حق الأمير أماتل فى هذا العرش .

وقررت نتر توا انها سوف تحاسب رجال البلاط الذين وضعوا رعمس فى هذا الموقف الذليل وستجعلهم يدفعون الثمن غاليا ..

تقدم الأمير أماتل إلى حيث يجلس الفرعون وابنته الملكة

نتر توا .. وانحنى أمامهما فى خشوع واحترام وتبجيل .. فقام الاثنان وانحنيا أمامه ردا للتحية . وقال الفرعون خطبة قصيرة اختار كلماتها بعناية ليعبر بها عن ترحيبه بالأمير على أرض مصر .

ونظر الفرعون إلى نتر توا ليستحثها على أن تلقى خطبة مماثلة باعتبارها الملكة .. وكانت هذه الخطبة قد أعدت لها سلفا وكتبت على لفافة من البردى موضوعة إلى جانبها .. ومع ذلك فلم تقل نتر توا شيئا ولم ترحب بالأمير بكلمة واحدة ، بل استدارت نحو إحدى وصيفاتها وطلبت منها أن تحضر إليها مروحة !!

وبعد مرور فترة صمت .. بدأ الأمير أماتل فى إلقاء خطبته التى كان يحفظها عن ظهر قلب . وقال انه يشكر الملكة على الكلمات اللطيفة التى خرجت من شفتيها للترحيب به !

ولكن الملكة لم تخرج من شفتيها أية كلمة لطيفة ترحيبا بهذا الأمير .. وأخفت الملكة فمها بمروحتها وابتسمت ساخرة من غباء هذا الأمير .. وعندما وجهت عينيها نحو رعمس رأته يبتسم هو الآخر ابتسامة ساخرة .. وابتسم أيضا بعض كبار رجال البلاط وكبار الضيوف الذين كانوا يحضرون هذا الاحتفال .

واعترى الغضب وجه الأمير ، فأمر فى الحال بإدخال الهدايا التى أحضرها من بلاده ليقدمها إلى الفرعون والملكة .. فدخلت على الفور مجموعة من العبيد يحملون الأوانى الذهبية وكثيرا من تماثيل الأفيال والوحوش المصنوعة من الذهب . بالإضافة إلى صناديق ذهبية مملوءة بالمجوهرات والأحجار الكريمة .. وقدم كل هذه الهدايا إلى الفرعون معلنا أنها مهداة من والده ملك كوش إلى فرعون مصر .. ثم أردف الأمير قائلا :

— فى بلادى تعتبر هذه الأشياء من الأشياء الشائعة المعتادة .. وكان بودى أن أحضر أضعافا مضاعفة منها لولا ثقل حملها وطول الطريق ..

وشكره الفرعون على ذلك ..

ثم قام الأمير بتقديم هدايا أخرى إلى الملكة نتر توا .. وكانت

عقودا من المجوهرات ودبابيس وحليات صدرية مصنوعة من الذهب المرصع بالجواهر .. وآلة « هارب » موسيقية جميلة الصنع .. وجاريتين سوداوين مزينتين بالمصوغات والمجوهرات . وقال أنهما أحسن مغنيتين فى بلاد كوش .

وهمس الفرعون لابنته أن تلبس عقدا من العقود التى أهداها الأمير .. ولكنها لم تفعل ذلك . بل التفتت إلى الأمير وشكرته ببرود .. وطلبت من آستى التى كانت تقف وراءها أن تحمل هذه الهدايا بعيدا لأن رائحة العطور التى تخرج منها قوية للغاية .. وطلبت منها أن تترك آلة الهارب المهداة إليها وتضعها بالقرب منها ..

وبعد ذلك بدأ الحفل ، وامتدت موائد الطعام .. وشرب الأمير كؤوسا كثيرة من النبيذ .. وكلما كان يفرغ كأسا فى جوفه كان يأمر الضابط رعمس المعين لخدمته بملء كأس جديد .. وربما كان الأمير يفعل ذلك كمزيد من إذلال رعمس والحط من شأنه .. وإن كان لا يصح للأمير أن يجعل من أحد ضباط حرس الفرعون خادما ذليلا على هذا النحو ..

وبعد أن انتهى الجميع من تناول الطعام ، قام الخدم بتنظيف الموائد .. ودخلت فرقة من السحرة قدمت عروضا مدهشة .. ثم فرقة من المغنين والراقصات .. ومع ذلك لم يلتفت الأمير إلى أى عرض من العروض الفنية التى كانت تقدم أمامه .. كان يبحلق فى نترتوا طول الوقت .. وتضايقت نترتوا من نظراته .. وقالت :

— دعونا نستمع إلى الجاريتين المغنيتين اللتين قيل أن صوتيهما من أحلى الأصوات !

وقامت الجاريتان بالغناء بصوت جميل عذب ... وبعد أن انتهيتا من الغناء قالت لهما الملكة :

— لقد أدخلتما السرور إلى قلوبنا .. وفى مقابل ذلك فإنى أمنحكما الحرية .. ومن الآن فصاعدا .. فسوف تشدوان بغنائكما أمام البلاط الملكى .. ولكن باعتباركما من السيدات الأحرار .

وغضب الأمير أماتل وقال :

ـــ قد يكون من الأفضل أن يمتلك البعض هاتين الجاريتين المغنيتين صاحبتى أجمل صوت فى العالم !

وعندئذ قالت نترتوا :

ـــ تقول أن صوتهما أجمل صوت فى العالم ؟ ! . إذن .. فلتسمعنى الآن يا أماتل .. سوف أغنى لتعرف حقيقة ما تقول .. !!

O—O

الفصـــل العاشـــر

معركة بين رعمس والأمير أماتل

وأمسكت الملكة نترتوا بآلة الهارب ، ولمست أوتارها بأناملها الرقيقة .. ولكن الفرعون حاول أن يمنعها عن الغناء وقال :

— لا يا ابنتى .. ليس من اللائق أن تقوم ملكة مصر بالغناء أمام هذا الحشد من الناس .. !

فقالت نترتوا :

— ولم لا يا أبى .. إننا نحتفل جميعا باستقبال أمير كوش .. وقد قبلنا هداياه .. ووضعنا في خدمته ضابطاً تجرى فى عروقه دماء ملكية أعرق وأقدم من دمائه .. وجعلنا هذا الضابط خادماً يملأ له كؤوس شرابه .. فلماذا لاتقوم ملكة مصر بإدخال السرور إلى قلب الأمير مقابل كل الهدايا التى منحها لها .. ؟!

وحل صمت عميق فى أعقاب هذا الكلام الجرىء .. ووقفت نترتوا وبدأت تعزف على آلة الهارب . وكان للنغمات وقع ساحر فى قلوب الجميع .. بدأت بنغمات رقيقة ناعمة .. ثم أخذت النغمات تعلو رويدا حتى ملأت أصداؤها أرجاء القاعة الكبرى من أقصاها إلى أقصاها .. ثم بدأت تغنى أغنية عذبة ، ولكنها تعبر بحزن عن قصة شاب وقع فى غرام إحدى كاهنات الإلهة حتحور .. فكان مصيره الموت على يد الإلهة ..

وبعد أن توقفت نترتوا عن الغناء ، جلست على كرسيها وهى فى غاية التأثر ، وكان وجهها شاحباً ولكن عينيها كانتا تبرقان ببريق كضوء النجوم المتلألئة فى السماء ..

وحل صمت مطبق على جميع الموجودين بقاعة الاحتفالات الكبرى .. ولم يجسر أحد على التصفيق .. لأنهم يعلمون جميعا أن هذه الملكة الصغيرة هى ابنة للإله آمون .. وانهم فى حقيقة الأمر

كانوا لايسمعون غناء سيدة ملكية فقط ، وإنما كانوا يسمعون غناء إلهة مقدسة !

وران السكون فى كل أرجاء القاعة ، ولم يستطع أحد أن يفتح فمه وينطق ولو بكلمة واحدة .. ولزم الجميع أماكنهم دون حركة .. ولكن عيونهم كانت مفتوحة وتحملق فى وجه الملكة كما لوكانت منجذبة نحو بريق النجوم الذى يشع من عينيها .

وفعل الأمير أماتل مثلما فعل الآخرون ، فقد جلس صامتا ويحملق هو الآخر فى وجه الملكة .. ولكن الملكة لم تنظر إليه أو تعره التفاتا .. كانت كل نظراتها مصوبة نحو شخص آخر كان يقف خلف الأمير ..

والتفت الأمير وراءه ليعرف من هو الشخص الذى تنظر إليه الملكة .. فرأى ضابط الحرس الذى خصص لخدمته .. هذا الشخص الذى يقولون عنه أن دماءه الملكية أعرق من دمائه .

كان رعمس فى تلك اللحظة واقفا خلف مقعد الأمير .. وكان يحمل فى يده كأساً طويلة من الذهب مملوءة بالنبيذ .. ودفع الأمير بمقعده إلى الوراء فجأة ، فانخبط طرف ظهر المقعد بالكأس التى كان يحملها رعمس فى يده .. وبالتالى فقد انسكب كل مافيها من نبيذ أحمر فوق رأس الأمير ..

هب الأمير واقفا وهو ينتفض من شدة الغضب والهياج وصرخ فى وجه رعمس بسباب لايليق :

— يا ابن الكلب .. يا أخا الخنزير .. هل هذه هى الطريقة التى تخدمنى بها .. !!

وألقى الأمير بكأسه فى وجه رعمس .. ثم سحب سيفه وهجم عليه يريد أن يقتله ولكن رعمس تراجع إلى الخلف بسرعة ليتقى ضربة السيف التى صوبها إليه الأمير ، وسحب رعمس سيفه وبدأ يدافع عن نفسه ضد هجوم الأمير الذى ظل يواصل سبابه وشتائمه ويصف رعمس بالجبن ..

وهكذا أصبح صليل السيوف يجلجل فى تلك القاعة التى كان

يجلجل فيها منذ لحظات صوت الغناء الجليل وصوت الموسيقى العذب .. وحل بجميع الموجودين وجوم شامل ، وتطلعت العيون إلى الفرعون ليعرفوا ما سوف يقرره ويأمر به بالنسبة لهذا العراك الدامى الذى نشب فجأة بين أميركوش والضابط رعمس ..

ولكن الفرعون كان قد ذهل منذ لحظة نشوب العراك ، وأصابه الهلع من النتائج التى يحتمل أن تترتب عليه ، ولذلك فقد غشى على الفرعون وأصابه الاغماء فأغلق عينيه وبدا كما لو كان قد دخل فى غيبوبة نوم عميق .. وهنا تحولت نظرات العيون تجاه الملكة لتعرف ماذا تقرر أو تأمر به .. ولكن الملكة لم تحرك ساكنا ولم تصدر بالتالى أى أمر .

ونسى رعمس كل شىء سوى انه محارب شجاع من سلالة ملوك قدامى أكثر عراقة من ملوك كوش الجاليين ، وأنه تعرض لإهانة بالغة من هذا الأمير النوبى المختال بنفسه وبقوته .. وهجم رعمس بكل عنف وصوب ضربة بسيفه نحو رأس الأمير ، ولكن الضربة كانت أعلى من اللازم وقطعت بعض الريش الذى كان يزين به الأمير رأسه ..

واشتد العراك بين الاثنين .. وكان من الواضح أن الأمير قوى الجسم ويتمتع بقوة جنونية ويجيد تماماً فن المبارزة والقتال ، وبالإضافة إلى أن سيفه كان أطول كثيراً من سيف رعمس .. لذلك فقد وجه بسرعة عدة ضربات نحو رعمس ، أصابته فى ذراعه وكتفه كما أصيب بجرح فى ساقه جعله يسقط على ركبتيه .

وهنا صاح أحد الجنود المصريين من الفرقة التى يقودها رعمس ليشجع قائده على مواصلة القتال .. وصاح بالتالى جميع الجنود النوبيين وأخذوا يطلبون من أميرهم أن يقطع رأس العدو ..

وجمع رعمس كل قوته ، وهب قافزاً من سقطته مصوباً ضربة قاضية إلى صدر الأمير أماتل ، ولكن سيف رعمس اصطدم بشدة فوق الدرع الحديدى الذى كان يرتديه الأمير تحت ثيابه .. وعلى الفور رد الأمير على ضربة رعمس بضربة مماثلة ألقت به على

الأرض مرة أخرى . وأوشك الأمير عندئذ أن يصوب سيفه نحو رقبة رعمس ليطيح بها ..

ولكن لأن رعمس كان خفيف الجسم وسريع الحركة ، فقد أفلت من السيف الذى كان مصوبا إلى رقبته فى لمح البصر ، ونهض واقفا على قدميه مرة أخرى ، واندفع بكل قوته نحو الأمير مصوباً سيفه إلى صدره ، وانغرز السيف فى صدر الأمير واخترقه وخرج من ظهره .. وتوقفت حركة الأمير لحظة ، ثم خر على الأرض ميتاً يغرق فى دمائه !!

وهنا اندفع الجنود النوبيون نحو رعمس يريدون الانتقام لمقتل سيدهم .. وصوبوا حرابهم نحو صدره .. وفى الحال انبرى جنود الحرس المصريون وشهروا أسلحتهم دفاعاً عن قائدهم .. ونشبت معركة عنيفة بين النوبيين والمصريين .

وبالرغم من أن الجنود النوبيين كانوا أكثر عدداً وحاربوا ببسالة .. إلا أنهم كانوا يقاتلون بلا قائد ، فى حين كان الجنود المصريون يحاربون تحت قيادة رعمس .. لذلك فقد تساقط النوبيون واحدا بعد الآخر ، ولم يبق منهم سالماً سوى ثلاثة من الجنود ألقوا أسلحتهم على الأرض وطلبوا الرحمة !

وبعد أن انتهت المعركة على هذا النحو ، أدرك رعمس مدى جسامة وخطورة الحادثة التى وقعت .. لذلك فقد أحنى رأسه إلى الأرض ، وتقدم نحو الدرجات الثلاث التى يرتفع فوقها مجلس الفرعون والملكة .. وقال بصوت هادىء خفيض :

— لقد انتقمت لكرامتى ولكرامة مصر .. ولك أن تأمر بقتلى يا فرعون مصر .. !

ولكن الفرعون ظل فى غيبوبته ولم يرد بشىء .. وعندئذ التفت رعمس نحو الملكة وقال :

— فلتأمرى بقتلى يا مليكتى .. انى انتظر حكم جلالتك !

كانت نترتوا حينئذ لم تزل واقعة تحت تأثير ما حدث وما سوف يترتب عليه من نتائج .. فبالرغم من أنها تخلصت الآن من هذا الأمير

النوبى الذى كانت ستجبر على الزواج منه ، وبالرغم من أنها فى قرارة نفسها كانت تبارك رعمس الذى خلصها من هذا المصير ، إلا أنها كانت تدرك تماماً مدى الأخطار التى تسببت فيها هذه الحادثة .. أخطار سوف تحدث حتما ولا مفر من مواجهتها والتصدى لها ..

إن الأمير الذى قتل هو الابن الأكبر لملك عظيم .. يحكم بلاداً عظيمة ذات جيش قوى .. ومنذ مائة سنة وحتى الآن لم تجسر مصر أن تشن حرباً على أراضى كوش ذات القلاع الحصينة والحصون القوية .. ولقد قتل أمير كوش وولى عهدها فى حفل استقبال أعده له فرعون مصر .. والذى قتله ضابط من حرس الفرعون .. كما أن جنود الحرس الملكى المصرى قتلوا الجنود النوبيين الذين كانوا يحرسون الأمير .. وهذا كله معناه حرب لامفر منها بين النوبة ومصر ..

ونظرت الملكة إلى رعمس الراكع أمامها وامتلأ قلبها بالحزن .. وأخذت تفكر فى وسيلة تجعله يفلت من المسئولية عن هذه الحادثة . ووضعت خطة نفذتها على الفور ، فقد أمرت بإغلاق أبواب القاعة على جميع الموجودين بداخلها ، وأمرت الأطباء منهم بأن يتولوا علاج جميع الجرحى من الطرفين . وأصدرت أمراً بأن يعقد مجلس الحكم فى الحال .

وقالت لهم الملكة :

— لقد رأيتم بأنفسكم هذا الحادث المؤلم الذى وقع .. ورأيتم كيف قتل الأمير ضيف مصر هو وحراسه .. وتعلمون أن هذا الحادث قد وقع عرضاً وبدون أى تدبير .. فقد شرب الأمير كثيراً من النبيذ حتى سكر .. كما أن الأمير هو الذى بدأ الإهانة والاعتداء على رجل نبيل عريق المولد .. هل أنا محقة فيما أقول .. ؟!

فوافق جميع أعضاء المجلس وقالوا :

— نعم ياصاحبة الجلالة .. وليس هناك أى لوم على رعمس ولا على جنود الحرس المصريين .. !

وواصلت الملكة حديثها :

— والذى يزيد متاعبنا ، أن الآلهة قد أصابت الفرعون بالمرض .. وهو راقد الآن لايستطيع أن يتكلم .. ولا يدرى أحد منا إن كان سيعيش أو يموت .. ولهذا فإنى أرى من واجبى أن أحكم بالنيابة عنه .. ألم تكن هذه هى رغبتكم فى أن أحكم نيابة عن أبى .. ؟!

فأجاب أعضاء المجلس :

— نعم .. هذه هى رغبتنا بالفعل !

وعندئذ قالت الملكة :

— إذن فكيف نواجه هذه المشكلة التى حدثت ؟ .. إن هناك أكثر من طريقة لحل هذه المشكلة وعلينا أن نختار الطريقة المثلى من بينها .. وأولى هذه الطرق أن أصدر أمراً بإعدام رعمس وجميع جنود الحرس المصريين الذين حاربوا معه .. ولكن إذا أعدمنا هؤلاء الرجال ، فسوف يقولون فى كوش أننا كنا قد أمرنا رعمس وجنوده بأن يقتلوا الأمير وحرسه ، ثم قمنا بعد ذلك بإعدامهم حتى نخفى جريمتنا .. ان هذه الطريقة ستجعلهم فى كوش يظنون أن لفرعون ملك مصر دخلا فى هذه الجريمة .. وستؤكد لديهم الفكرة الخاطئة عن قيامنا بتدبير مقتل الأمير وحرسه ثم قيامنا بالتخلص ممن قتلوهم .. أليس كذلك ؟ .. إذن فليس أمامنا إلا أن نتبع الطريقة الثانية .. وهى أن نأمر الضابط رعمس وجنود الحرس الذين اشتركوا معه فى العراك بأن يسافروا إلى مدينة نباتا عاصمة كوش ليحكوا للملك بأنفسهم تفاصيل ماحدث .. وفى هذه الحالة علينا أن نرسل إلى ملك كوش رسولا من عندنا ومعه رسالة مكتوبة نقول فيها :

هانتذا قد عرفت القصة فاحكم بما ترى .. فإذا كنت نبيل القلب وعفوت عن هؤلاء الرجال فسوف نبارك لك ونشكرك على هذا القرار .. أما إذا غضبت ولا تريد العفو عنهم فارسلهم إلينا بعد أن تقرر بنفسك الطريقة التى سوف نعاقبهم بها .. وسوف نقوم نحن

بتنفيذ حكمك بعقابهم مهما كان قاسيا .. واعتقد أن هذه الطريقة الثانية صالحة من كل الوجوه .. فلن يستطيع ملك كوش أن يدعى بأنه لم يستشر ، بل سيكون هو بنفسه الذى يصدر الحكم فى هذه القضية .. كذلك فلن تقول البلاد الأجنبية أننا فى مصر نقتل ضيوفنا .. خبرونى ما رأيكم الآن فى هذه الخطة .. ؟!

وهنا هلل جميع أعضاء المجلس وجميع الضيوف الآخرين الذين كانوا حاضرين الحفل وقالوا أنها خطة جيدة .. وأن ملكتهم الصغيرة تتقمصها روح الحكمة ! .. وعندئذ قالت الملكة :

— إذن ما دمتم قد وافقتم على هذه الخطة فإنى أصدر أمرى بتجهيز ألفين من أفضل جنود الجيش المصرى ، وأن يبحروا فوراً صعوداً مع النيل إلى بلاد كوش .. وأن يكونوا تحت قيادة الضابط رعمس .. على أن يصطحب رعمس معه جنود الحرس الذين اشتبكوا مع الجنود النوبيين .

وكان هذا الأمر الملكى يبدو تشريفا لرعمس وليس عقاباً له .. لذلك فقد بدأ رعمس يرتجف من شدة الدهشة .. وواصلت الملكة إصدار أوامرها :

— وإنى آمر كذلك بأن جيمع هؤلاء الجنود وقائدهم عليهم أن يركعوا فى خشوع على ركبهم أمام ملك كوش .. وعندما يصدر الملك حكمه فعليهم أن يعودوا راجعين إلى طيبة .. وإنى آمر أيضا بأن يتم إعداد الجنود وتجهيز السفن اللازمة لنقلهم خلال هذه الليلة !

وفى الحال كتبت وسجلت جميع هذه الأوامر الملكية ، ثم قرئت أمام الجميع بصوت مرتفع ، ثم قدمت إلى الملكة للتوقيع عليها .. كما أمرت الملكة بإعداد نسخة طبق الأصل من هذه الأوامر لإرسالها إلى ملك كوش .

وبعد ذلك فتحت أبواب القاعة ، وحمل الفرعون المريض إلى حجرته .. وقامت الملكة نترتوا إلى حجرتها وهى تشعر بالتعب ، ولذلك فقد بدأت السير بمشقة وهى تستند بذراعها على كتف أستى .. !

O—O

الفصل الحادى عشر

رعمس ونترتوا .. وحدهما

لم تكن لدى الملكة نترتوا أية رغبة فى النوم .. فجلست على أريكة ووقفت آستى إلى جانبها .. وقالت آستى بصوتها الهادىء :

— لقد فعلت أشياء غريبة فى هذه الليلة ياصاحبة الجلالة .. !

وقالت الملكة :

— نعم أشياء غريبة .. وهأنت ترين أن الآلهة قد وضعت خيوط القدر بين يدى .. وأن على أجذب هذه الخيوط لأحرك الأحداث .

— نعم ياصاحبة الجلالة .. ولكنك مازلت مبتدئة فى الحكم ومع ذلك فأنت تجذبين الخيوط بشدة .

— طبعاً يا آستى .. إن على أن أجذب الخيوط بشدة .. ألا ترين كيف جذبت ابنك من مواجهة خطر موت محقق ، وكيف وضعته موضع التشريف .. ؟!

— نعم ياصاحبة الجلالة .. وإننى مندهشة لقدرتك على اقناع مجلس الحكم بأن يوافق على إرسال الجيش إلى مدينة نباتا عاصمة بلاد كوش .. وعلى أن يكون هذاالجيش تحت قيادة الضابط الذى قتل أمير تلك البلاد .. أليس هذا إعلانا للحرب بين مصر وكوش .. ؟!

— أعتقد ذلك .. وأعتقد كذلك أن رعمس يستحق اللوم لأنه تعمد أن يدلق كأس النبيذ فوق رأس الأمير .. أعطنى كأساً من النبيذ يا آستى !

ورفعت الملكة كأس النبيذ وقالت قبل أن تشربه :

— انى أشرب هذا الكأس من أجل أمير كوش الذى يتمتع الآن

بوليمة أعدتها له الآلهة فى العالم السفلى .. وأتمنى أن يغادر مائدة تلك الوليمة قبل أن يحين أجلى وأذهب أنا بدورى إلى هذا العالم ..

ثم ألقت بالكأس على الأرض وقالت فى ثبات :

— لقد استعدت الآن قوتى .. وسوف أتوجه الآن لزيارة الفرعون للاطمئنان عليه .. تعالى معى يا أستى !

وعندما وصلت الملكة إلى غرفة الفرعون وجدته راقداً وقد زال عنه الخطر .. وقال الأطباء أنه سيعيش ، ولكن عليه أولاً أن يرقد مستريحاً لفترة طويلة من الزمن .. وألا يدخل إليه إلا بعض الذين يستريح الفرعون لرؤياهم .. وأن يبتعد تماماً عن مشاغل الحكم ومتاعبه .

وقبلت الملكة والدها الفرعون وغادرت الغرفة .. وسألتها أستى :

— ألا تخلدين إلى النوم الآن يا صاحبة الجلالة ؟

فقالت الملكة نترتوا بحزم :

— لا .. وأرجو الآن أن تستدعى زوجك مرمس ليحضر أمامى !

ووقف مرمس أمام الملكة .. كان لم يزل يتمتع بملامحه النبيلة التى كانت تتوسمها فى وجهه كلما رأته حين كانت طفلة صغيرة تلعب فى بيته .. ولكن رأسه الآن قد اشتعل شيباً كما اكتسى وجهه بملامح حزن عميق بسبب المصير الخطر الذى يتعرض له ابنه رعمس .. وبسبب المرض الخطير الذى أصبح يهدد حياة صديقه الفرعون .. وقالت له الملكة :

— لاتحزن أيها النبيل مرمس .. ولاتفقد الأمل وتجعل اليأس يتسلل إلى قلبك .. إن الأطباء يقولون أن الفرعون قد اجتاز مرحلة الخطر وسوف يظل حيا ..

وقال مرمس :

— لو كان الفرعون قد مات بسبب هذه الحادثة ، لألقيت اللوم على ابنى رعمس لأنه تسبب فى كل ذلك !

فقالت الملكة نترتوا :

— ليس الأمر كذلك أيها النبيل مرمس .. ولك ان تتخيل كيف سيكون شعورك لو أن ابنك رعمس بعد ان تلقى ضربة الأمير النوبى البدين قد خر أمامه راكعاً على الأرض يطلب منه فى ذلة أن يعفو عنه ولا يقتله !

عندئذ ابتسم مرمس وقال للملكة :

— الذى يهمنى الآن أن أعرف رأيك انت لو كان رعمس قد فعل مثل ذلك ..

فأجابت الملكة بلا تردد :

— لو كان قد فعل ذلك .. لغضبت منه وقررت ألا أكلمه بعد ذلك أبداً .. إن الشرف والكرامة أهم من الحياة نفسها .. وعندما يشفى الفرعون من مرضه ويستعيد قواه ، يكون رعمس قد ذهب بعيداً إلى بلاد كوش . .

وبعد لحظة صمت قصيرة قالت الملكة :

— والآن أيها النبيل مرمس .. إذهب واحضر رعمس إلى هنا .. واحضر معه الوزير وكبير الكتاب فى مجلس البلاط الملكى !

وما أن خرج مرمس من الغرفة ، حتى قامت الملكة بتغيير ثيابها وتغيير تسريحة شعرها .. وجلست على مقعد وكانت آستى مازالت واقفة إلى جوارها . وبعد لحظات فتح الباب ، ودخل مرمس ومعه الوزير وكبير الكتاب وكانا مازالا واقعين تحت أثر النوم .. ووراء الجميع دخل رعمس وكان لم يزل مرهقا بسبب الأحداث التى وقعت فى تلك الليلة .

وسألت الملكة الوزير عما اتخذه بشأن تنفيذ الأوامر التى أصدرتها .. وطمأنها الوزير بأن كل شىء يجرى تنفيذه طبقا لأوامرها ، وحدثها عما فعله بالنسبة لإعداد السفن وتجهيزها بالجنود والمؤونة والمعدات والأطعمة اللازمة للجيش ..

وأملت الملكة على كبير الكتاب مجموعة من الرسائل الموجهة إلى

قادة القلاع الحربية بأعالى النيل تأمرهم فيها بأن يقدموا كل عون إلى رعمس وجنوده .. وطلبت من كبير الكتاب أن ينصرف لإعداد وكتابة تلك الرسائل .

ثم التفتت الملكة إلى رعمس وأمرته بأن يكون مستعداً فى صباح الغد لقيادة الجنود .. وأن يسافر فوراً صعوداً مع النيل حتى يصل إلى قلعة تاكن سيت التى تقع على الحدود بين مصر وبلاد كوش .. وأن ينتظر هناك حتى يصل إليه بقية الجنود وهم محملين بالهدايا التى سيقدمها إلى ملك كوش ، بالإضافة إلى التابوت الذى يرقد فيه الأمير أماتل ..

وبعد أن تلقى رعمس أوامر الملكة انحنى أمامها واستدار نحو الباب لينصرف .. ولكن الملكة نادت عليه :

— تعال يارعمس .. أريد أن أعطيك رسالة خاصة لتقدمها إلى ملك كوش .

ونظرت الملكة إلى كل من مرمس وزوجته آستى وقالت لهما :

— أتركانى وحدى مع القائد .. أريد أن أتحدث معه على انفراد .. وتأكدا من أن أحداً لن يستطيع أن يتصنت إلى هذا الحديث .. وسوف استدعيكما فيما بعد .. !

وعندما أصبحت الملكة وحدها مع رعمس .. مرت فترة صمت حافلة بالمشاعر .. وقف رعمس خلالها محنى الرأس أمام الملكة التى بدأت تقول فى صوت هادىء :

— لقد مرت سنوات طويلة منذ أن كنا نلعب سوياً فى أفنية المعبد .. مرت سنوات طويلة منذ أن كان مسموحاً لنا أن نبقى وحدنا .. أليس كذلك يا رعمس ..؟!

— أجل ياصاحبة الجلالة !

— كم أود أن نعود أطفالا كما كنا .. كم أود أن تعود تلك الأيام السعيدة قبل أن يفرقوا بيننا .. لقد أخذوك لتتعلم الجندية وفنون الحرب .. وأخذونى لأتعلم شئون الحكم وتصريف أمور الحكومة

وقال رعمس فى إعجاب وتبجيل :
— لقد أثبت أنك تعلمت شئون الحكم جيدا يا نجمة الصباح !
وقالت الملكة :
— واثبت أنت أيضا أنك تعلمت شئون الحرب والقتال جيداً يارعمس .. لقد لاحظت ذلك من طريقتك فى استخدام السيف هذه الليلة .. !
— لا أدرى ماذا أقول ياصاحبة الجلالة .. لقد أنقذت حياتى هذه الليلة !
— وأنت أيضا أنقذت حياتى حين كنا أطفالا وأبعدت عنى التمساح الذى كان سيلتهمنى حين زرنا البحيرة .. كما أبعدت عنى تمساحاً آخر كان يريد أن يلتهمنى هذه الليلة .
— لقد كنت أحس ياصاحبة الجلالة بحقيقة مشاعرك نحو ذلك الأمير .. لقد كدت أصاب بالجنون حين علمت أنه طلب الزواج منك .. وأنك غير راضية بهذا الزواج .. أليس هذا سببا كافيا لأبعد هذا التمساح عنك .. إنى اعتقد أن سيدتى الملكة قد أصبحت آمنة الآن من كل التماسيح !
— ليس تماماً يارعمس .. انى اعتقد ان المشاكل قد نشبت الآن بين مصر وكوش .. ولا أعرف ماذا سيقول فرعون بعد أن يتم شفاؤه .. اعتقد أنه سيغضب كثيراً مما فعلت وأمرت به .. !
— وماذا سيكون مصيرى عندئذ يا صاحبة الجلالة .. هل سيأمر بقتلى أثناء الرحلة الطويلة إلى بلاد كوش .. أم سيطلب من ملك كوش أن يقوم بقتلى ؟!
— اسمع يا رعمس .. انك اصبحت تقود الآن جيشا قوامه ألفان من الجنود الأشداء .. وسوف ينضم إليك جنود آخرون .. مصريون ونوبيون .. وسوف أخبرك الآن بسر عليك أن تحتفظ به .. ان لدينا جواسيس يراقبون الأمور فى بلاد كوش ويبلغوننا بها أولا بأول .. ويقول هؤلاء الجواسيس أن شعب كوش يكره هذه الأسرة الملكية التى تحكمه الآن .. وأن ملك كوش عجوز وغبى .. وأصبح وحيداً

الآن بعد أن مات ولى عهده .. ومن حقك يارعمس أن تكون ملكا على بلاد كوش بعد أن ينتهى عهد هذه الأسرة الملكية .. بل ومن حقك أيضا أن تصبح ملكا على مصر إذا انتهى عهد أسرتى !

كان رعمس قد أطرق إلى الأرض وهو ينصت إلى حديث الملكة .

وبعد أن انتهت الملكة من حديثها رفع بصره إليها وتساءل :

— وماذا أفعل يا صاحبة الجلالة ؟!

فأجابت الملكة :

— ستفعل ما سوف تقرره بنفسك .. ولكنى أطلب منك ألا تعود مرة أخرى إلى مصر إلا إذا شعرت بأنك سوف تكون موضع ترحيب واحترام .. وعليك أن تبقى فى نباتا عاصمة بلاد كوش إلى أن تعيد إليها النظام والاستقرار .. وعندما تنجح فى تحقيق ذلك فإن مصر سوف تعفو عنك باعتبار أن مصر كانت صاحبة السيادة من قبل على أرض كوش ..

ولم يقل رعمس شيئا .. وحل الصمت بينهما لحظات كان كل منهما ينظر إلى الآخر ويبتسم .. وقال رعمس فى النهاية :

— لقد أرهقت نفسك الليلة يا صاحبة الجلالة .. وقد يكون من الأفضل أن أنصرف الآن !

وقالت الملكة بصوتها الهادىء :

— وأنت أيضا أرهقت نفسك الليلة أكثر منى .. ومازال أمامك الكثير لتفعله فى الصباح .. هل سيقدر لنا أن نلتقى مرة ثانية يا رعمس ؟!

— لا أدرى يا صاحبة الجلالة ..

وعلت وجهه مسحة من الحزن ، فوضع يده فوق قلبه وقال بصوت خفيض متردد :

— مولاتى صاحبة الجلالة .. هل يمكنك أن تنسى للحظة قصيرة أنك الملكة .. إن لدى سراً أريد أن أبوح به !*

— إن كل أحاديثنا أصبحت أسرارا يارعمس .. فقل ما تريد !

— ما أنا إلا أحد رعاياك .. ومع ذلك فقد تجاسرت وأحببتك من صميم قلبى يانجمة الصباح !

ولم تقو الملكة على مواصلة الكلام .. ولكنها لم تستطع أن تبعد عينيها عن عينيه .. ومدت إليه ذراعيها واحتضنته وقبلته قبلة رقيقة .. ثم سرعان ما استعادت الملكة قوة مركزها ، وقالت فى جدية وحزم :

— رعمس .. انظر إلى المستقبل الآن .. إن ملك كوش عجوز وضعيف وغير محبوب من شعبه .. وأنت أحق بالعرش منه .. فخذ تاجه وضعه فوق رأسك .. وعندما تصبح ملكا على كوش .. يمكنك أن تتقدم عندئذ وتطلب الزواج من ملكة مصر .. وداعاً يارعمس !!

وعندما استدار رعمس لينصرف .. كانت أشعة الشمس قد بدأت فى التسلل خلال النافذة ، وأضفت على كل من الملكة ورعمس نوراً ذهبيا زادهما رقة وعظمة .. !

O—O

الفصـــل الثــانى عشر

رحـــيل رعمـس

قبيل الرحيل قام رعمس بتوديع أبيه مرمس وأمه آستي . وقالت الأم :

— ان النجم الذى ظهر لحظة مولدك يا بنى نجم غريب .. ولا أدرى إلى أين يقودك .. وكل الناس يتحدثون الآن عن الشرف العظيم الذى أولته الملكة إياك ..

وقال رعمس لأمه :

— إنك يا أماه بارعة فى فنون السحر وتعرفين الكثير عن مصائر الناس فى المستقبل .. فهل لديك ما يريحنى ويدخل الاطمئنان إلى قلبى .. ؟

— لقد حاولت كثيرا يا بنى أن أعرف ما تخبئه لك الأقدار فى المستقبل ، ولكنى لم أصل إلا إلى أقل القليل من الأسرار .. وأنا على يقين من أننا سوف نلتقى مرة ثانية فى المستقبل .. ولكنك لن تلتقى مع أبيك مرمس بعد ذلك أبدا .. هذه هى آخر مرة ترى فيها أباك يا رعمس فودعه الوداع الأخير ..

واحتضن مرمس ابنه وقال :

— يابنى .. أنا لست متكالبا على الحياة .. وفى الوقت نفسه لا أخشى الموت .. يابنى انك ذاهب الآن لتواجه قدرك وتحقق مستقبلك .. وسأبقى أنا هنا أؤدى واجبى إلى أن يحين أجلى ويحملونى إلى القبر .. لقد قدر لى ألا أراك عندما تمتلك السلطة والقوة .. ولكن عليك يابنى رعمس أن تتذكر دائما أنك مهما بلغت من العظمة والجاه .. ومهما ارتفعت بك درجات المجد ، فإن مصيرك المحتوم فى النهاية هو الرقاد فى قبر مظلم .. وسوف تقدم حسابا

عما فعلته في الدنيا ، أمام المحكمة التي تعقدها الآلهة .. فكن عظيما في كل أفعالك .. وكن طيبا ورحيما بقدر ما أنت عظيم .. فلا تحكم بالموت على أحد لمجرد أنك تكرهه ولا تحبه .. ولا تمارس قوتك وسلطتك في غير محلها العادل .. تذكر دائما يابني أن أقدار الناس ومصائرهم تختلف .. وربما يكون القدر أو المصير الذي سيواجهه ابن شحاذ يلعب في الرمال أعظم كثيرا من مصيرك وقدرك .. والآن يا رعمس دعني أباركك وأقول لك وداعا !

وقبل مرمس ابنه رعمس في جبهته ، واستدار خارجا من الغرفة .. ووضعت الأم آستي يدها على كتف ابنها وقالت نصائحها الأخيرة :

— لا تبك يابني .. إن الفراق شيء طبيعي في الحياة .. وليس الموت بالأمر الجديد .. فعش حياتك سعيدا كلما طابت لك الأيام .. وكن قنوعا وراضيا إذا ساءت الأيام وتغيرت أحوالها .. ولا تأسف على شيء إلا على فعل سيء وقعت فيه .. ولا تخش شيئا دون آخر فكل الأشياء المكتوبة ستحدث لا محالة .. ولا يستطيع إنسان أن يغير ما سطره القدر .. !

وصمتت الأم لحظة ثم قالت :

— رعمس يابني .. عندي لك هدية غالية !

وأحضرت الأم شيئا ملفوفا بالقماش ومختوما بالشمع وأعطته لابنها وطلبت منه أن يفتحه .. وقام رعمس بفض الختم وفك اللفافة فإذا به يجد الخاتم الذهبي الذي كانت نترتوا تلبسه في الإصبع الأول من يدها اليمنى . وقالت الأم لابنها :

— هل تعرف من ذا الذي كان يلبس هذا الخاتم في الماضي البعيد ؟ .. لقد كان هذا الخاتم مملوكا لآخر ملك في أسرتنا جلس على عرش مصر .. وعندما مات هذا الملك قامت إحدى الأميرات بخلع هذا الخاتم من إصبعه وأعطته لأبيك مرمس .. ولكن أباك رفض أن يأخذه ، ولذلك فقد احتفظت به الأميرة لنفسها ، ثم وهبته إلى ابنتها .. وقد وهبت الابنة هذا الخاتم إليك .. فحافظ عليه

جيدا .. ولا تلبسه فى إصبعك قبل أن تخرج من حدود مصر ، إذ قد يسألك أحد عنه فيصعب عليك أن تجيب إجابة صادقة .. والآن يابنى أريد أن أسألك سؤالا أخيرا .. هل تجاسرت ووقعت فى غرام الملكة .. ؟ !

فأجاب رعمس بصدق :

— نعم يا أماه .. فى الحقيقة انى أحبها حبا جما .. وأرجوك يا أماه أن تشمليها برعايتك !

وقالت الأم فى النهاية :

— سأبذل كل مافى وسعى .. والآن يا رعمس .. فلتخف هذا الخاتم فوق صدرك .. ولتخف سره بداخل قلبك .. ونفذ جميع النصائح التى أعطتها لك الملكة .. فهى تمتلك حكمة الآلهة !

وباركت الأم ابنها وغادرت الحجرة ..

■ ■ ■

ورحل رعمس ولم يعد أحد يراه ..

ونسى الناس حكاية معركته مع أمير كوش .. وحكاية تعيينه على رأس الجنود الذاهبين إلى نباتا ..

ولكن قيلت عدة أقاويل وترددت بعض الإشاعات .. فبعض الناس يقولون أن رعمس لن يعود إلى مصر أبدا .. ويقول آخرون أن الأوامر قد صدرت إلى الجنود ليقوموا بقتله بمجرد خروجهم من الحدود المصرية وأن يقوموا بتسليم جثته إلى ملك كوش كرمز للسلام وحسن النوايا ..

كذلك فقد قيلت عدة تساؤلات : هل ياترى سيموت الفرعون ويترك نتر توا لتلبس تاجه .. لقد مرت مئات السنين منذ أن تولت امرأة حكم مصر وجلست وحدها على العرش .. ومن الطبيعى أن الملكة ستتزوج فى يوم ما .. بل ومن الضرورى أن تجد الملكة لنفسها زوجا فى الحال .. !

ولكن الفرعون لم يمت .. وإن كانت حالته تزداد سوءا يوما بعد

يوم .. وظلّ لثلاثة شهور متوالية راقدا على سريره كالطفل بلا حول ولا قوة .. يتسلى بذكرياته عن عهد الطفولة .. ويتحدث عن أطفال صغار كان يلعب معهم حين كان في مثل عمرهم ..

وفي يوم ما حدث تغير في مجرى حياة الفرعون المريض ، فقد هب من رقدته على السرير ، وأمر بعقد مجلس الحكم في الحال .. وعندما انعقد المجلس سأل الأعضاء عما حدث وعما يحدث .. وسألهم لماذا لم يعد يتذكر شيئا منذ حفل الاستقبال الذى أعده لأمير كوش ..

وأخذ الأعضاء يحدثونه بكلمات رقيقة إلى أن شعر بالتعب فجأة فأمر بانصرافهم .. كما أمر باستدعاء مرمس للحضور أمامه ..

وقال الفرعون لمرمس :

— آخر شيء أتذكره يا مرمس .. هو رؤية أمير كوش وهو يضرب ابنك رعمس الذى عينه أحد الأغبياء ليكون في خدمة الأمير أثناء الوليمة التي أقيمت في حفل الاستقبال .. كان هذا التدبير أمرا غبيا وغير عادل .. إن الدماء الملكية التى تجرى فى عروقك وعروق ابنك أقدم وأعرق من الدماء التى تجرى فى عروق أمير كوش وعروق ملك كوش .. لقد صدمت صدمة شديدة وأصابني الهلع حين رأيت العراك الدموى الذى نشب بين واحد من الضيوف الملكيين وواحد من ضباط الحرس الملكى المصرى .. وبعد ذلك لا أتذكر شيئا سوى ظلام دامس .. فماذا حدث ؟ .. خبرني يا مرمس بما حدث !

قال مرمس :

— لقد قتل ابني الأمير أماتل في معركة متكافئة عادلة .. وعندئذ هاجم الجنود النوبيون جنود الحرس الملكى المصرى فدافع هؤلاء عن أنفسهم وانتصروا على الجنود النوبيين بقيادة ابني الضابط رعمس ..

قال الفرعون مندهشا :

— هذا معناه الحرب بين مصر وبلاد كوش .. وهل أمر مجلس الحكم بإعدام رعمس .. ؟ !

ـــ لا يا صاحب الجلالة .. لقد تولت الملكة زمام الأمور أثناء مرضك .. وأمرت الملكة بكتابة رسالة سلام إلى ملك كوش حملها إليه ألفان من الجنود الذين يحملون معهم أيضا جثمان الأمير أماتل ..

صاح الفرعون :

ـــ ألفان من الجنود ؟ ! .. لماذا كل هذا العدد ؟ ! .. كان يكفى أن يحمل الرسالة عشرون جنديا .. هذا جيش .. هذه حملة عسكرية .. إذا علم ملك كوش بقدوم هذا الجيش إلى مملكته فسوف يعد العدة للحرب .. ومن هو قائد هذا الجيش .. ؟

قال مرمس :

ـــ ابنى الضابط رعمس يا صاحب الجلالة !

وبالرغم من وهن الفرعون وضعف صحته ، فقد أوشك أن يقفز من فوق كرسيه وصاح :

ـــ رعمس ؟ ! .. انه مجرد ضابط صغير .. لابد انى أصبت بالجنون ! .. ومن الذى أمر بتعيينه قائدا على هذا الجيش .. ؟ !

أجاب مرمس :

ـــ الملكة نترتوا يا مولاى !

وقال الفرعون :

ـــ أحضروا الملكة إلى الآن فورا .. !!

وجاءت الملكة .. وكانت فى كامل بهائها وترتدى أفخر ثيابها .. وما أن رأت أباها الفرعون جالسا وقد عادت إليه بعض صحته ، حتى اندفعت نحوه وأخذت تقبله .. وظلت إلى فترة طويلة تحاول أن تمنعه من التحدث فى شئون الحكم .. ولكنه كان مصرا على ذلك ، فأجلسها إلى جانبه وأخذ يسألها عن السبب الذى جعلها تأمر بتعيين الضابط رعمس لقيادة الجنود الذاهبين إلى كوش ..

وحكت الملكة نترتوا لأبيها الفرعون القصة بكل تفاصيلها .. وقالت فى النهاية :

ـــ أرجو أن تكون على يقين يا أبى بأنى لا أحكم إلا بما أراه

عدلا .. ولقد كان من المستحيل أن نحكم بقتل رعمس .. لقد كانت كل القلوب فى جانبه !

— كان من الممكن أن تحكمى بإبعاده ..

— وهذا ما حدث بالفعل .. لقد أرسلته إلى نباتا .. وهى مكان بعيد كما تعرف ..

وتساءل الفرعون :

— ولكن المهم هو ما سوف يحدث عند وصوله إلى نباتا .. فإما أن يقوم ملك كوش بقتله وقتل جميع الجنود الذين كانوا معه .. وإما أن يقوم هو بقتل ملك كوش .. ألم تفكرى فى هذه النتائج .. ؟ !

وأجابت الملكة :

— أجل يا أبى .. لقد فكرت فى ذلك كثيرا .. وعلى أية حال إذا افترضنا أن ملك كوش قد مات .. فهل سنبكى عليه بالدموع هنا فى مصر .. ؟ !

وهنا نظر الفرعون إلى ابنته ، ونظرت الابنة إلى الفرعون ، وابتسم الاثنان معا .. وقال الفرعون بصوت مطمئن :

— إنى على يقين يا ابنتى بأنك سوف تصبحين ملكة عظيمة .. ولكنى أنصحك بألا تتسرعى فى الأمور حتى لا تتعرضى للسقوط .. !

وابتسمت الملكة نتر توا ولم تقل شيئا .. فقد سمعت نفس هذه النصيحة من قبل من فم آستى .. وقال الفرعون فى النهاية :

— انك تحتاجين إلى زوج مخلص يقف إلى جانبك ويساندك .. ولابد أن يكون هذا الزوج رجلا عظيما تحبينه وتحترمينه ..

فقالت نتر توا على الفور وبصوت عذب :

— أحضر إلى مثل هذا الرجل وسوف أتزوجه بكل سرور .. ولا أدرى أين ستجد مثل هذا الرجل العظيم بعد موت الأمير أماتل .. !

ومرت أيام .. واستعاد الفرعون بعض قواه .. وأخذ يبحث من جديد عن زوج يصلح للزواج من الملكة .. ورشح لها عدة أسماء .. ولكن الملكة كانت تجد عيبا فى كل واحد منهم .. !

O—O

الفصـــل الثـالث عشر

رحلة الملكة إلى منف

بعد عدة شهور استعاد الفرعون كثيرا من صحته وقواه .. وجمع مجلس الحكم وطلب منهم المشورة .. واقترح أعضاء المجلس عليه بأن يقوم الفرعون برحلة يزور فيها المدن المصرية العظيمة وأن يصطحب معه الملكة نترتوا فى هذه الرحلة ..

وقال أعضاء المجلس أن مثل هذه الرحلة تعتبر تغييرا يفيد صحة الفرعون .. وربما تؤدى أيضا إلى عثور الملكة على زوج من دم ملكى يصلح لها ..

وسأل الفرعون ابنته عما إذا كانت تريد أن تصحبه فى تلك الرحلة .. فأجابته بأن شيئا لن يسرها أكثر من ذلك .. وأنها كانت تتوق دائما إلى زيارة المدن المصرية العظيمة خارج طيبة ..

وهكذا بدأت رحلة الحج إلى المدن المصرية والتى أمرت الملكة نترتوا فيما بعد بكتابتها على جدران المعابد العظيمة التى أنشأتها أثناء حكمها .

وكانت رغبة الملكة أن تبدأ الرحلة بالاتجاه إلى جنوب طيبة ، لعلها بذلك تسمع أخبارا عن رعمس وجنوده بعد أن انقطعت أخبارهم منذ فترة طويلة .. ولكن الفرعون لم يوافقها على تحقيق تلك الرغبة ، نظرا لعدم وجود مدن مصرية عظيمة جنوبى طيبة ، كما أن أهالى تلك المنطقة يثيرون المتاعب والقلاقل دائما وقد يقوموا بالهجوم على الموكب الملكى ..

وهكذا بدأت الرحلة بالاتجاه شمالا .. وقضى الفرعون والملكة بضعة أيام فى كل مدينة عظيمة يصلان إليها فى الطريق إلى الشمال ..

وفى مدينة أبتو [أبيدوس] حيث دفن رأس الإله أوزوريس تم الاحتفال بإعادة تتويج الملكة نتر توا .. وكان احتفالا عظيما اشترك فيه الشعب بكل البهجة والسرور ..

وكلما أوغلت الرحلة نحو الشمال ، كان الفرعون والملكة يقدمان القرابين والهدايا للمعابد الملحقة بالأهرام العظمى التى بناها الفراعنة منذ مئات وآلاف السنين .. ودخلت الملكة إلى تلك الأهرام لترى الأماكن التى رقد فيها الفراعنة العظام ..

وكانت الملكة تقوم بصحبة آستى ومجموعة صغيرة من الحرس بالدوران حول الأهرام فى ضوء القمر لعلها ترى أرواح الملوك الذين بنوها .. ولكنها لم تشاهد شيئا .. وكانت آستى تقول لها بعد الدوران حول كل هرم :

— لماذا ترغبين فى رؤية أرواحهم ؟ .. انظرى إلى أعمالهم العظيمة الفذة التى لا يستطيع أى ملك أن يبنى مثلها الآن .. ولا تقلقى راحتهم الأبدية !

وأخيرا .. وصل الركب الملكى إلى مدينة منف حيث استقبلهم شقيق الفرعون الأمير آبى ..

وكان الأمير آبى قد دعى فيما مضى لحضور حفل تتويج الملكة نتر توا ولكنه اعتذر فى اللحظة الأخيرة مدعيا المرض .. كما كان الفرعون وأعضاء مجلس الحكم مندهشين لأن الأمير آبى لم يرشح أحد أبنائه الأربعة للزواج من الملكة .. وكانوا يعتقدون أن الأمير آبى كان يخشى رفض هذا الطلب ..

وطوال تلك الفترة الماضية حكم الأمير آبى مدينة منف حكما قويا ومستقرا .. وكان يرسل الضرائب السنوية بانتظام إلى العاصمة المصرية ومركز الحكم فى طيبة .. بل وكان يرسل أكثر من القدر المفروض من الضرائب فى كثير من السنوات ..

ولأن الفرعون كان طيبا بطبيعته ولا يشك فى أحد ، فقد اطمأن إلى أخيه الأمير آبى ، واستبعد من ذهنه تماما فكرة أن أخاه يمكن أن يغدر به ، خصوصا بعد أن تبدد أمله فى الاشتراك مع الفرعون

في حكم مصر بعد مولد نتر توا واعتبارها الوحيدة صاحبة الحق الشرعى فى اعتلاء العرش .

ولكن عندما اقترب ركب الفرعون وابنته من أسوار منف .. تطرق إلى قلب الفرعون بعض الشك .. فقد لاحظ أن المدينة محصنة بأسوار عالية وبوابات ضخمة .. كما لاحظ وجود آلاف من الجنود المدججين بالأسلحة القوية الذين انتظمت صفوفهم على جانبى الطريق الذى يخترقه الركب الملكى ..

وعندما شاهد الفرعون هذه الآلاف المؤلفة من الجنود الأقوياء .. قارن بينهم وبين جنود الحرس الذين يصحبون ركبه وكان عددهم لا يزيد على خمسمائة جندى .. قال بينه وبين نفسه : ليتنى صحبت معى جنودا آخرين.. !

ودارت نفس الشكوك فى قلب الملكة نتر توا وقالت لأبيها فى صوت خفيض بينما كان الشعب يهلل ترحيبا بهذه الزيارة الملكية :

— أبى .. يبدو أن عمى قد أعد لنا استقبالا حافلا .. ان لديه عددا كبيرا من الجنود ..

فقال الفرعون :

— نعم يا ابنتى .. انه حاكم مدينة منف .. !

وقالت الملكة على الفور :

— حاكم ؟ ! .. ان أى شخص غريب سوف يظن انه ملك على المدينة وليس مجرد حاكم لها .. لو كنت أنا الفرعون لحضرت إلى هنا ومعى عدد أكبر من الجنود ..

فقال الفرعون :

— على أية حال .. فاننا نستطيع أن نعود وقتما نريد .. !

فقالت الملكة بذكاء :

— تعنى وقتما يريد هو أن يفتح لنا بوابات المدينة لنخرج .. !!

وأخيرا .. وصل الموكب الملكى إلى القاعة الكبرى التى ينتظر

فيها الأمير آبى ليستقبل الفرعون والملكة . كان الأمير ابى واقفا فى أعلى درجات القاعة .. كان ضخم الجسم ويبلغ من العمر نحو ستين عاما ..

وبمجرد أن وقع نظر الملكة عليه شعرت نحوه على الفور بكراهية أشد من الكراهية التى شعرت بها نحو الأمير أماتل .. إلا أنها لم تحس بأية رهبة أو خوف من جانب أمير كوش الغبى .. ولكنها أحست بخوف غريب من جانب الأمير آبى الذى يبدو قويا معتزا بنفسه وبذكائه .. والذى ركز نظرات عينيه طول الوقت على جمالها ..

وتقدم الأمير آبى إلى الفرعون والملكة للترحيب بهما فى « بيته المتواضع !» ..

كان الفرعون فى تلك اللحظة قد بدأ يشعر بالتعب فتكلمت الملكة نترتوا نيابة عنه . وقـالت :

— اننا نشكرك على هذه التحية .. ولكن لماذا يا عمى لم تخرج لاستقبالنا خارج بوابات المدينة .. كنا نتوقع أن يستقبلنا حاكم المدينة عند البوابة الرئيسية ويسلم الفرعون مفتاحها .. !

كان الأمير آبى يتوقع أن يرى الملكة طفلة صغيرة مدللة ألبسوها ملابس الملكات .. ولم يكن يظن أبدا أنها بهذا القدر العظيم من النضج والجمال الملكى أو أنها قادرة على التحدث بمثل هذا القدر من الذكاء والثقة بالنفس .. لذلك لم يستطع أن يقدم إجابة معقولة على سؤالها فلزم الصمت .

وتجاوزت الملكة المكان الذى كان يقف فيه الأمير آبى ، وطلبت أن تشاهد المكان الذى أعد لإقامتها هى والفرعون .. فأخذوها إلى حيث أقيم قصر عظيم فى وسط المدينة تحيط به الحدائق الغناء من كل جانب .. ولكنها بعد أن ألقت عليه نظرات فاحصة سريعة قالت أن هذا القصر لا يسرها .. !

وعرضوا على الملكة عدة قصور وأماكن أخرى رفضتها جميعا .. وفى النهاية اختارت الملكة قصرا صغيرا كان فيما مضى معبدا

للإلهة سخمت .. وكانت النوافذ المفتوحة فى أبراج هذا القصر تطل على النيل مباشرة .. وفى حقيقة الأمر كان هذا المعبد القديم جزءا من الأسوار والأبراج والقلاع التى تحيط بمدينة منف .. وكانت له بوابة ضخمة تبدو غير مستعملة وتحيط به حدائق واسعة ذات أسوار عالية .

وأقنعت الملكة أباها الفرعون بأن يقبل الإقامة في هذا المعبد القديم على أساس أن الهواء الذى يهب من ناحية نهر النيل مفيد لصحته .. كما أن الحدائق الملحقة بالمعبد تصلح لإقامة جنود الحرس الملكي وقائدهم مرمس .. ولكن الأمير آبى اعترض على ذلك بدعوى أن هذا المعبد القديم ليس به حجرات تليق بإقامة الفرعون والملكة .. فقالت له الملكة :

— هذا لا يهم .. ففى هذا البرج القديم توجد حجرتان محفورتان في سمك الجدار .. وهما تصلحان تماما لإقامتنا حتى أستطيع أن أرى من النوافذ تلك المساحات الشاسعة من الحقول المنبسطة .. كما أرى الأهرام عن بعد ..

ولم يجد الأمير آبى مفرا وأمر بتنظيف هاتين الحجرتين اللتين لم يقم فيهما أحد منذ زمن طويل .. وإعدادهما لإقامة الفرعون وابنته الملكة ..



الفصـــل الرابع عشر

الخطـــــر

وفى اليوم التالى أقيم حفل استقبال عظيم لم تشهد مثله الملكة حفلا من قبل .. وجلس الفرعون والملكة على كرسيين من الذهب الخالص .. وجلس الأمير آبى على يمين الملكة التى اندهشت من هذا التصرف وقالت له :

— لماذا تجلس إلى يمينى ؟ .. المفروض أن تجلس إلى يمين الفرعون باعتبارك المضيف وباعتبارك أحد رعاياه .. !

فأجاب الأمير آبى بخبث :

— ومن أنا حتى إنال شرف الجلوس إلى يمين الفرعون ؟ .. إن هذا المكان محجوز للكاهن الأكبر للإله أوزيريس .. !

وقالت الملكة نترتوا بسرعة :

— إن أوزيريس هو إله الموتى .. هل من أجل هذا جعلت كاهن الأكبر يجلس إلى يمين أبى .. ؟ !

— أليس معنى هذا أنك تظننين أن أجل الفرعون قد اقترب ..

— لا تراوغ أيها الأمير آبى .. إنى أستطيع أن أقرأ أفكارك وهى للأسف أفكار شريرة !

وتغافلت الملكة عن الأمير آبى وبدأت تتنقل بعينها بين المحيطين بها وأقرب المدعوين إليها .. ولاحظت على الفور أن هناك رجلا طويل القامة يرتدى ملابس الفلكيين يقف خلف الأمير آبى مباشرة .. ولاحظت أن هذا الرجل يركز اهتمامه على كل شىء يفعله أو يقوله كل من الفرعون والملكة .. وكانت كلما التفتت إليه ، تجد عينيه السوداوين متجهتين صوبها تتفحصان كل شىء فيها ..

وهمست الملكة إلى آستى التى كانت تقف وراءها :

— من هذا الرجل الطويل الأسمر .. ؟

فأجابتها آستى بهمس :

— انه الفلكى المشهور كاكو .. لقد رأيته لأول مرة حين جاء إلى طيبة في صحبة الأمير آبى قبل أن تولدى .. وسوف أحكى لك كل شىء عنه فيما بعد .. وعليك الآن أن تراقبيه جيدا ..

وراقبته الملكة بعين خفية .. واكتشفت أشياء كثيرة .. لقد كان هذا الفلكى يدون كتابة كل شىء يفعله الفرعون أو الملكة ، وكل شىء أكلاه ، وكل كلمة نطقا بها .. ولم يعد هناك شك فى أنه سوف يستخدم كل ذلك فى أعمال التنجيم التى يقوم بها .

ومن بين سيدات البلاط الملكى كانت هناك مريت رع التى تقوم بخدمة الفرعون .. لقد أصبحت الآن متوسطة العمر ومازالت تحتفظ بقدر كبير من جمالها ..

كانت الملكة لا تحب هذه المرأة بالرغم من أن الفرعون كان يستريح إليها وإلى حديثها وذكائها ، لذلك فقد خصصها لكى تقوم بخدمته ولكى تبقى فى صحبته فى أوقات فراغه .

ولاحظت الملكة سلوكا غريبا من تلك المرأة أثناء الحفل .. فقد كانت تنظر إلى الفلكى كاكو بعينين متسائلتين .. ونظر إليها الفلكى وابتسم كما لو كان قد تعرف إلى صديق قديم .. !

ولاحظت الملكة أيضا أن مريت رع قد تركت مكانها خلف الفرعون لامرأة أخرى .. وسارت بخطوات بطيئة تحاول أن تجعلها غير متعمدة ووقفت إلى جانب الفلكى كاكو .. ومن خلف مروحتها التى أخفت بها فمها ، قالت بعض كلمات سريعة كما لو كانت تحدد ميعادا أو ترتيبا معينا ..

واستمر الحفل ..

وفجأة فتح أحد أبواب القاعة ، ودخلت مجموعة من العبيد يحملون مومياء رجل ميت ، وضعوها واقفة فى منتصف القاعة وخرجوا .. !

وعندئذ وقف الأمير آبى وصاح :

— اشربوا وامرحوا أيها العظماء الذين يعيشون على الأرض .. انكم لا تعرفون متى سيصبح مصيركم مثل هذا المصير .. !

وكانت عادة وضع مومياء ميت أمام المدعوين فى الحفلات البهيجة من العادات القديمة التى كانت شائعة فى مدينة منف فى الأزمنة السحيقة .. ولكنها أصبحت الآن من العادات النادرة وأوشكت على الانقراض ..

ولأن الملكة لم تشاهد هذه العادة من قبل ، فقد شعرت بكثير من الاشمئزاز وعدم الارتياح ، ومالت نحو الأمير آبى وقالت مستنكرة :

— لماذا ياعمى أخرجتم هذا الملك الميت من قبره وتعرضون مومياءه أمام الناس على هذا النحو .. ؟

فقال الأمير آبى :

— هذا ليس ملكا .. إنه مجرد رجل بسيط أحضرنا مومياءه ووضعنا على رأسها تاجا وذلك تكريما لضيفنا الفرعون .

وعندئذ قال الفرعون غاضبا :

— ليس من الأدب أن تفعل مثل هذا أمام رجل ضعيف ومريض مثلى أصبح قريبا من القبر .. وأنا لست بحاجة أن يذكرنى أحد بمصيرى ومصير الناس كلها ..

وتنهد الفرعون وتلاحقت أنفاسه لدرجة أن الملكة أصبحت قلقة عليه ، فنظرت شذرا نحو الأمير آبى الذى أمر على الفور بإخراج المومياء من قاعة الحفل .. واعتذر إلى الفرعون والملكة قائلا :

— أرجو أن تقبلوا اعتذارى عما حدث .. انها عادة قديمة شائعة فى منف .. ومنف على العكس من طيبة ، مازالت تحافظ على عاداتها ولا تغيرها كما تفعلون هناك !

فقالت الملكة نترتوا بغضب :

— لقد آن الأوان لتغيير مثل هذه العادات السيئة .. وعلى أية حال فإن الفرعون بدأ يشعر بالتعب .. واننا نريد أن ننصرف الآن !

وهنا وقف الأمير آبى .. ورفع كأسه الضخمة المصنوعة من الذهب وقال بأعلى صوته :

— قبل أن ننصرف .. فلنشرب نخب ترحيبنا بالفرعون العظيم الذى يزور مدينتنا لأول مرة .. اننا لا نأمل فى أنه سوف يعود إلينا مرة أخرى بعد أن تنتهى هذه الزيارة ، فهو مريض وتقدم به العمر .. ولكن الآلهة أعطته ابنة جميلة سترث الملك من بعده .. فلنشرب نخب الملكة نتر توا .. ونأمل قبل أن تغادرنا أن تكون قد اختارت لنفسها زوجا يستطيع بقوته وسلطته أن يحميها ويساندها فى الساعات الحزينة حين تجد نفسها وحيدة !!

وعندما فهم المدعوون المعنى الخفى الذى تشير إليه الكلمات التى قالها الأمير آبى .. وقف الجميع [لأنهم أمروا من قبل ورتب الأمر معهم] وهللوا صائحين :

— اننا نعرف الرجل .. خذيه واحكمى إلى الأبد !!

وتساءل الفرعون فى دهشة :

— ماذا يقصد هؤلاء الناس .. أنا لا أفهم ماذا يقصدون .. وعلى أية حال فلتشكريهم يا ابنتى العزيزة .

ووقفت الملكة نتر توا .. وسطع من عينيها بريق أضفى على صوتها مزيدا من القوة والرصانة وقالت بثبات :

— اننا ـ أبى وأنا ـ نشكركم على هذا الهتاف .. بالرغم من أننا لم نفهم تلك الكلمات التى قالها الأمير آبى .. وأنا أتضرع وأصلى لكى يستمر حكم والدى الفرعون لسنين طويلة .. ومع ذلك فإذا رحل الفرعون وتوليت العرش من بعده .. فلا تخشوا أيها الناس من شىء .. ولا تظنوا أن ملكتكم ضعيفة أو عديمة الخبرة .. كذلك فانى لا أبحث عن زوج يساندنى أو يحمينى .. وعندما أريد أن أتزوج فلن يكون زوجى من أهل منف .. طابت ليلتكم جميعا .. !!

ووضعت الملكة ذراعها فى ذراع أبيها الفرعون وانصرف الاثنان إلى مكان إقامتهما ببرج المعبد ..

وهناك استدعت الملكة السيدة آستى إلى غرفتها وسألتها :

— أخبريني يا آستي .. ماذا كان يقصد الأمير آبى بكلماته تلك التى قالها فى نهاية الحفلة .. ؟

— ألم تعرفى حقا ماذا يقصد .. اننا لو ترجمنا ظاهر كلماته إلى معانيها الخفية لأدركنا مدى الخطورة التى تتضمنها هذه الكلمات .. كان يريد أن يقول لك بطريق غير مباشر أنك أصبحت رهينة لديه .. وانه لن يدعك تغادرين مدينة منف إلا بعد أن تصبحى زوجته !

وهنا امتلأ قلب الملكة رعبا . وقالت فى استنكار :

— كيف يجرؤ على أن يقول مثل هذا الكلام ؟ .. وكيف يتصور أننى اقبل الزواج من رجل فى مثل عمر جدى .. من رجل له العديد من الأولاد والبنات .. يجب أن نغادر هذه المدينة فى الحال !

— ان هذا ليس بالأمر السهل .. فسوف تقام الاحتفالات بالمدينة فى الأيام الثمانية المقبلة وذلك ترحيبا بقدوم الفرعون والملكة .. ولو غادرنا المدينة فجأة فسوف يغضب شعب منف ويظن الظنون .. كما أن للأمير آبى جيشا اقوى بكثير من جنود الحرس الملكى الذين يصحبون ركبنا وعددهم لا يزيد على خمسمائة جندى .. إن جنود جيشه مدربون جيدا على القتال المسلح كما انه يستعين أيضا بمحاربين من رجال الصحراء .. فكيف إذن نستطيع مغادرة منف دون إذنه ؟ .. بل كيف نستطيع أن نسرب رسالة إلى طيبة نطلب فيها النجدة ؟ .. وحتى إذا تمكنا من ذلك فإن النجدة لن تصل إلينا قبل خمسين يوما .. !!

وبعد أن أدركت الملكة نترتوا حجم الخطر الذى يهددها ، عاد إلى قلبها شىء من الهدوء وملكت زمام نفسها .. وبعد لحظة صمت .. قالت لآستى :

— ولكن لماذا لم تحذرى الفرعون من احتمال حدوث مثل هذا الخطر .. ؟

قالت آستى :

— لقد حذرته .. وقام مرمس أيضا بتحذيره .. ولكن الفرعون لم ينصت إلى كلامنا ولم يقتنع بقولنا ..

— وهل استمع الفرعون إلى نصيحة أحد غيركما .. ؟

— بالتاكيد .. هل تعرفين مريت رع .. الوصيفة المعينة لخدمته .. إنه يثق فيها ويستمع أحيانا إلى نصائحها .. وكانت تمده بالمعلومات عن كل ما يجرى فى مدينة منف وكل أسرارها الخفية .. باعتبارها من مواليد تلك المدينة وتعرف كل شىء عنها .

— لا شك فى انها كانت تحصل على هذه المعلومات والأسرار عن طريق كاكو .. الفلكى الذى يعمل فى خدمة الأمير آبى .

— ولا شك أيضا فى أنها كانت تبادله أسرارا بأسرار .. وكانت تبلغه بما يدور فى البلاط الملكى بطيبة . وحتى فى هذه الزيارة إلى مدينة منف .. أبلغت الفرعون أن هذا العدد الهائل من جنود الجيش التابعين للأمير آبى قد أحضروا لتكريم الفرعون وتشريفه .. بل واقنعت الفرعون بأن الأمير آبى يكن له الكثير من الولاء باعتباره أحد رعاياه المخلصين .. وقالت له أيضا انه لو كان هناك أى خطر من جانبه لكانت هى نفسها أولى ضحاياه .. لأنها كانت قد هربت من خدمته ، وأفشت سره إلى الفرعون .. لذلك كله الفرعون يصدقها فى كل ما تقول ..

وأخيرا قالت الملكة :

— اتركينى الآن يا آستى .. أريد أن انام نوما عميقا بعد أن أتوسل للإله آمون لكى يساعدنى وينجدنى .. وربما يشير إلى فى عالم الأحلام بما يجب أن أفعله .. !

O—O

الفصل الخامس عشر

تمثال من الشمع

وبعد أن انصرف الجميع بعد انتهاء الاحتفال .. ظلت مريت رع مختبئة خلف أحد الأعمدة الضخمة إلى أن جاءها الفلكى كاكو وأشار إليها بأن تتبعه .

وسار الاثنان خلال عدة ممرات ، ثم صعدا سلما ذا درجات ضيقة تؤدى إلى باب ضخم .. وفتح كاكو الباب ثم أغلقه بعد أن دخلا .. ووجدت مريت رع نفسها داخل غرفة واسعة ذات أثاث فخم .. ولاحظت وجود مجموعة كبيرة من الأدوات غريبة الشكل تستعمل فى رصد النجوم .. ولفافات كثيرة من أوراق البردى كتبت عليها نقوش وكلمات غامضة . وكانت هناك فوق إحدى المناضد كرة سحرية مصنوعة من الكريستال مما يستخدمها السحرة فى رؤية المستقبل .

وقالت مريت رع بنعومة :

— من الواضح أيها الصديق العزيز كاكو أنك تعيش بالقرب من الآلهة !

وقال الفلكى كاكو بثقة :

— نعم يا عزيزتى مريت رع .. فى هذه الغرفة أدوات أرصد بها السماء وأعرف مستقبل الآخرين وأبلغهم به إذا دفعوا المقابل الذى أحدده ..

ونظر كاكو إلى مريت رع فى اشتياق وقال :

— لقد مرت سنوات طويلة منذ أن رأيتك آخر مرة يا مريت رع .. ولكم سررت عندما رأيتك الآن وقد اكتملت شبابا وازددت جمالا ..

ابتسمت مريت رع ولم تقل شيئا .. وأعد كاكو كأسين من النبيذ أعطاها إحداهما وقـال :

— اشربى هذا النبيذ .. فليس عندكم فى طيبة ما هو أفضل منه !

وشربت مريت رع كأسها دفعة واحدة وقـالت :

— حقا انه نبيذ رائع .. ولكنه يدير الرأس بسرعة .. والآن أخبرنى أيها الصديق العزيز .. هل أنا آمنة فى مدينة منف ؟ .. انى لا أخشى جانب الفرعون فهو يثق فى إلى حد كبير .. ولكنى أخشى الأمير آبى .. أخشى أن يتذكر يوم أن ضربنى وكيف رددت له الصاع صاعين ..

فقال كاكو يطمئنها :

— انه لم يعرف أبدا يا عزيزتى مريت رع أنك أنت التى أفشيت سره وأبلغت الفرعون بالمؤامرة التى كان يدبرها ضده ..

— أتعشم ألا تخبر الأمير آبى بهذا السر .

— أنا ؟ .. طبعا لا .. مادمنا سنواصل العمل سويا .. والآن يا مريت رع .. دعينا نبدأ العمل ونتصارح بالأسرار ..

ثم اقترب كاكو وجلس على مقعد أمام المقعد الذى تجلس عليه مريت رع .. وكان الضوء مسلطا على وجهها بينما ظل وجهه فى الظل . وقـال :

— ان أمامنا مهمة كبرى يا مريت رع .. ولا أدرى هل أثق فيك أم لا .. فقد خدعتنى مرة فى الماضى .. كما كنت تخدعين الفرعون لسنين طويلة .. ولكنى أحذرك إذا خدعتنى هذه المرة فسوف تواجهين موتا مرعبا .. وعليك أولا أن تقسمى على أن تكونى مخلصة لى ..

ابتسمت مريت رع وتساءلت :

— إذا ساعدتك فى هذه المهمة الكبرى كما تقول .. فماذا سيكون نصيبى .. ؟ !

قال كاكو على الفـور :

— أنا .. !!

— شكرا ! .. ولكن هل هناك شىء آخر .. ؟

— نعم .. سيكون لك الشرف العظيم .. وستتمتعين بسلطات عظيمة فى مصر .. باعتبارك زوجة الوزير الجديد للفرعون القادم !

دارت هذه الكلمات بسرعة فى رأس مريت رع .. وقالت بعد لحظة تفكير وتدبير :

— سوف أقسم كما تريد .. ولكن عليك أن تقسم أنت أيضا بأنك سوف تحافظ على وعدك لى ..

— إذن .. قومى واقفة !

وفتح كاكو مخبأ سريا وأخرج منه صندوقا معدنيا بداخله كتاب ضخم .. وقـال لها :

— هذا الكتاب كتبه أكبر ساحر فى مصر .. بل هو أبو السحرة المصريين جميعا .. وكان يعيش قبل عصر الملك مينا موحد القطرين .. لقد نزعت هذا الكتاب من عظام موميائه .. وعندما كنت أقوم بهذا العمل ظهرت «كا » هذا الساحر وهددتنى .. والآن .. ضمى هذا الكتاب إلى صدرك ورددى كلمات القسم ورائى !

وبعد أن انتهى قسم مريت رع ، بدأ كاكو يقول كلمات قسمه إلى أن انتهى منها . ولكن مريت رع قالت :

— لا ياصديقى .. انك لم تذكر فى قسمك جزءا هاما من وعدك لى .. يجب أن تقسم على انى سأكون الزوجة الوحيدة لوزير الفرعون .. وأن أشارك الوزير فى سلطاته على قدم المساواة ..

وأقسم كاكو على ذلك ..

وهنا حدث شىء غريب .. فقد لاحظت مريت رع أن الكرة السحرية المصنوعة من الكريستال قد انبعث منها ضوء أحمر بلون الدم .. وفى وسط هذا الضوء ظهرت عين تبدو كما لو كانت توجه النظر إليها وتراقبها .. ورويدا رويدا أخذت هذه العين فى الاختفاء والتلاشى .. وخفت أيضا الضوء الأحمر إلى أن اختفى .. وأضيئت الكرة الكريستالية بضوء أبيض ، وظهرت بداخلها صورة للملكة نترتوا وهى جالسة على عرش مصر ، وينحنى أمامها وفود من

الشعوب الأجنبية .. وكانت الملكة تلبس تاجا على رأسها ، ويجلس بجانبها رجل يرتدى زى الملوك ، ولكن مريت رع لم تستطع أن تتبين ملامح وجهه .. !

وسألها كاكو :

— هاه .. ماذا رأيت فى الكرة السحرية .. ؟

وأخبرته مريت رع بكل تفاصيل الصور التى شاهدتها بداخل الكرة . وقال لها :

— هذه على أية حال علامة طيبة .. ولكن لماذا لم تكن ملامح الملك الجالس جوار الملكة واضحة .. ؟

— لا أدرى .. وأرجوك أن تخفى هذه الكرة بقطعة من القماش .. فأنا لا أريد أن أرى صورا أخرى .. وعليك الآن أن تخبرنى بخطتك .

وقام كاكو بتغطية الكرة .. ثم جلس إلى جوار مريت رع وقال لها :

— الآن سأخبرك بكل شىء .. إن سيدى البدين الأمير آبى يريد أن يصبح ملكا على مصر .. يريد أن يصبح الفرعون القادم .. وقد قرر أن أفضل طريقة للوصول إلى هذا الغرض هو الزواج من الملكة نتر توا ..

اندهشت مريت رع وعلقت على ذلك قائلة :

— ساكون حزينة على أى زوج يتزوجها دون أن تكون هى راغبة فيه .. إنها ملكة قوية وليست هينة .. إنها تملك قوة تفوق قوة كل سحرة مصر مجتمعين .. انها ابنة الإله آمون !

وقال كاكو :

— ان ما سوف يحدث بعد زواج الأمير آبى من الملكة هو أمر يخصه هو .. أما نحن فعلينا أن ندبر أمر هذا الزواج .. والآن خبرينى .. هل تشعرين بأن الملكة يمكن أن توافق على هذا الزواج .. ؟

— بالتأكيد لن توافق .. والبعض يقولون أنها تحب الضابط

رعمس الذى تعارك مع أمير كوش وقتله أمام عينيها ..

وعلق كاكو على ذلك قائلا :

— ليس من المفروض أن الملكات يقعن فى الغرام مثل سائر النساء .. ولكن خبرينى .. هل تشك الملكة فى شىء ؟

— لا أدرى .. ولكن مربيتها السيدة آستى وهى أم رعمس تشك فى أشياء كثيرة .. وهى فى نفس الوقت ساحرة كبيرة .. إنها أكثر منك قدرة على السحر يا كاكو !

— معنى هذا أن ما تعرفه آستى ستعرفه الملكة بكل تأكيد .. وانا أعرف أن الملكة أقوى من أبيها الفرعون .. وانها أكثر منه قدرة على الحركة وحسن التصرف .. ومن الجائز أنها قد تستطيع الإفلات والهرب ثم تعلن الحرب على الأمير آبى .. لذلك فمن اللازم أن نجعل الفرعون باقيا معنا لأنها لن تستطيع أن تفر وتترك أباها ..

— وكيف يمكنك أن تجعل الفرعون باقيا هنا يا كاكو .. هل .سـ ..

— لا .. لن يكون هناك دم . بل ويجب ألا نشعره انه قد أصبح سجينا ورهينة لدينا ..

— هل ستستخدم السم إذن ؟

— لا .. لن نستخدم السم .. فهذا أمر خطير للغاية .. سوف نستخدم شيئا آخر سأريه لك ..

وقام كاكو وفتح صندوقا رأت بداخله تمثالا صغيرا فى طول ذراع الرجل .. وكان التمثال مصنوعا من الشمع وله شكل يماثل تماما شكل الفرعون بكل ملامحه .. ويلبس على رأسه نموذجا مصغرا من التاج الملكى المصرى .. وقال كاكو :

— هذا تمثال سحرى .. خذيه معك .. وضعيه على سرير الفرعون بعد أن ينام حتى يتشرب التمثال بأنفاس الفرعون .. وعندئذ قولى للتمثال : « أيها التمثال المصنوع على هيئة الفرعون .. عندما تفسد أطرافك وتصبح بلا فائدة فان أطراف الفرعون ستفسد هى الأخرى وتصبح بلا فائدة » .. ثم خذى التمثال

وقربيه من حرارة المصباح حتى يسيل نصفه .. وخذى ما يتبقى منه وخبئيه فى حجرتك .. وفى خلال ساعات الليل ستتيبس ساقا الفرعون وتصبحان بلا فائدة وسيصبح الفرعون غير قادر على الحركة !

وقالت مريت رع على الفور :

— لن أستطيع أن أفعل ذلك .. ان هذا سحر أسود .. !

وعندئذ أمسكها كاكو من ذراعها ، وجعلها تنظر خلال نافذة مفتوحة وقال :

— إذا لم تفعلى ما أمرتك به ، فسوف أمارس ضدك سحرا أسود .. وسأجعلك تفقدين حواسك وعقلك .. وسوف تسقطين من هذه النافذة وتتحطم أشلاؤك على أرض الشارع ..

وعندما نظرت مريت رع من النافذة ، ورأت البيوت تحتها تبدو صغيرة كالعلب .. نظرت إلى كاكو وقالت مستسلمة :

— سأفعل .. !!

O—O

الفصـــل السادس عشر

الأمير آبى يطلب يد الملكة

وفى صباح اليوم التالى ، ذهبت آستى إلى غرفة الملكة لتساعدها فى ارتداء ملابسها ، وسألت الملكة عما إذا كان الإله آمون قد أوحى إليها بشىء فأجابت الملكة :

— لا .. كل ما رأيته كان مجموعة من الأحلام السيئة .. وفى كل حلم منها كنت أرى مريت رع خادمة أبى الفرعون .. وكنت أحس بأنها تمارس نوعا من السحر الأسود ضدنا وتحاول إيقاع الشر بنا .

فقالت آستى :

— ليس هذا ببعيد .. وإذا كان الأمر كذلك ، فإنى أعتقد أنها قد بدأت تدبير الأشياء الشريرة بالفعل .. إذ بينما كنت أنظر من نافذة غرفتى فى منتصف ليلة الأمس ، رأيتها وهى تعبر فناء المعبد ، وكانت تحمل شيئا تحاول أن تخفيه .

— ترى .. أين كانت فى مثل هذا الوقت ..

— أعتقد انها كانت قادمة من ناحية المدينة .. فقد طلبت من زوجى مرمس أن يسأل الضابط المكلف بحراسة البوابة عن ذلك ، فقال الضابط انها قد جاءت إلى البوابة فى صحبة رجل طويل القامة .. وأنا أعتقد أن هذا الرجل هو الفلكى كاكو .

— هذه أخبار سيئة .. هل لديك أخبار أخرى ؟

— نعم يا صاحبة الجلالة ... فقد تيقنت أيضا من أن بوابات مدينة منف قد فرضت عليها حراسة مشددة .. فلقد حاولت أن أرسل رسولا إلى طيبة ولكن جنود الحرس التابعين للأمير آبى منعوه من الخروج .

وهنا صاحت الملكة فى غيظ :

— عندما أحكم وحدى فى المستقبل ، سوف آمر بهدم جميع هذه البوابات .. سأهدها واحدة بعد أخرى ولن أبقى منها شيئا .. وسوف أرسل جميع هؤلاء الضباط وجنودهم ليعملوا فى الصحراء .. ولكن ماذا يفيد هذا التهديد الآن .. سأنتظر إلى أن يحين الوقت لأسدد ضربتى .. هل يمكننى أن أرى الفرعون الآن .. ؟ !

— لا يا صاحبة الجلالة .. انه الآن فى اجتماع مع علية القوم وكبار رجال المدينة إلى أن يحين موعد بدء الاحتفال بالمعبد !

وكان احتفالاً ضخما استغرق وقتا طويلا ومورست فيه مراسم وطقوس كثيرة ..

بدأ الاحتفال أولا بمرور الموكب الملكى عبر شوارع وطرقات المدينة التى اصطفت على جانبيها جموع غفيرة من الشعب تهتف تحية للفرعون ..

وقام الفرعون بعد ذلك بوضع حجر الأساس لمعبد جديد .. وكانت هناك فجوة فى هذا الحجر وضعوا بداخلها بعض الأوانى الصغيرة وبعض الأدوات التى يستخدمها العمال ، وخاتما من الذهب كان يلبسه الفرعون فى إصبعه .. وبعد إرساء هذا الحجر فى موضعه ، وضعوا فوقه كتلتين ضخمتين من الأحجار التى ستستخدم فى بناء جدار المعبد .. وبعد ذلك عرضوا رسوم التصميمات الهندسية للمعبد أمام الفرعون الذى أمر بمنح العطايا للمهندسين الذين أعدوا هذه التصميمات .

ثم تحرك الموكب الملكى بعد ذلك متجولا فى أنحاء المدينة ، وتوقف الموكب عند كل معبد من معابد الآلهة .. وبعد انتهاء تلك الجولة عاد الفرعون مرهقا وجلس فى إحدى القاعات ليستقبل المزيد من الناس ..

وعندما أوشكت هذه المقابلات على الانتهاء ، أعلن الأمير آبى أنه يرغب فى التحدث مع الفرعون فى موضوع خاص ..

كانت القاعة قد خلت تقريبا من الناس ، فيما عدا الفرعون

والملكة وبعض المستشارين من أعضاء مجلس الحكم ومرمس وبعض نساء البلاط الملكى كانت بينهن آستى ومريت رع ، وسأل الفرعون الأمير أبى :

— ما هو طلبك .. ؟

فأجاب الأمير :

— انه طلب عظيم يا صاحب الجلالة .. وهو لصالحك وصالحى وصالح مصر .. ولذلك أرجو أن توافق عليه .. إنى أطلب يد الملكة نترتوا وأريد أن أتزوجها .. !

وقال الفرعون فى هدوء :

— ها هى الملكة نترتوا جالسة إلى جوارى .. وهى تشاركنى فى تحمل أعباء الحكم .. وعقلها هو عقلى .. فإذا وافقت هى على ذلك فسوف أوافق بدورى .. عليك إذن أن تتوجه إليها بهذا السؤال !

التفت الأمير أبى نحو الملكة ، ووضع يده على صدره فوق قلبه وقال :

— ان لهيب حبى لجلالتك هو الذى يحركنى .. وهو ..

فقاطعته الملكة على الفور :

— عفوا .. أرجو أن تصحح هذه البداية وتقول : إن لهيب حبى لثروة جلالتك وسلطتها هو الذى يحركنى .. وأكمل ما تريد أن تقوله بعد ذلك .

واعترى الغضب وجه الأمير بينما ابتسم جميع الموجودين .. واضطر الأمير إلى أن يبدأ كلامه من جديد وتعثر فى نطق بعض الكلمات .. وعندئذ قاطعته الملكة للمرة الثانية وقالت بحدة :

— لست صماء أيها الأمير الفائق النبل .. لقد سمعت ما قلته لوالدى الفرعون ..

وقال الأمير بحدة مماثلة :

— لقد سألت سؤالا واضحا .. وأريد إجابة واضحة .. إنى أعتقد

أن الوقت قد حان الآن لكى تتزوجى .. وأنا أتقدم بنفسى للزواج منك .. !

ولم تلتفت إليه الملكة ، بل نظرت نحو رجل عجوز من أكبر أعضاء مجلس الحكم سنا وسألته :

— أريد أن أعرف فى أية سنة ولد الأمير آبى .. أعتقد أنها نفس السنة التى ولدت فيها أنت !

ولم يجب الرجل العجوز بشىء .. ولكنه أخفى نفسه بين الآخرين .. وازداد غضب الأمير ، وواصل حديثه بحدة أكثر :

— ان لدى الكثير لأمنحه إياك .. إن رجال الصحراء خطرون ومثيرون للقلاقل وأعمال الشغب .. وإذا أصبحت ملكا على مصر فسوف أضمن إخلاص هؤلاء الرجال للعرش .. كذلك فسوف يصبح الوجهان البحرى والقبلى أكثر اتحادا من أى وقت مضى .. فإذا لم يتم هذا الزواج .. ..

وهنا غمز كاكو الأمير آبى فى ذراعه لكى يتوقف عن مواصلة هذا الكلام الذى يتضمن تهديدا واضحا ولكن الأمير استمر فى تهديده وصاح بأعلى صوته :

— دعنى يا كاكو أقول الحقيقة مهما كانت النتائج .. إذا لم يتم هذا الزواج فسوف تحدث متاعب كثيرة أيتها الملكة .. وأنت يا فرعون مصر .. لقد استمر حكمك لسنوات طويلة .. ثم جئتنا فى النهاية بابنة لا تشبهك فى شىء .. وهناك الكثير من الهمسات تتساءل عن مدى أحقيتها فى الجلوس على عرش البلاد .. وإذا لم يتم زواجى منها ، فإن هذه الهمسات سوف تتحول إلى رياح عاصفة وستلقى بالتاج من فوق رأسها .. !

وترددت فى القاعة همهمات وصرخات احتجاج على هذه الكلمات الجريئة التى يبدو فيها بوضوح عدم الإخلاص أو الولاء .. وهمت الملكة نترتوا بأن ترد على تلك الكلمات ، إلا أن الفرعون قد هب واقفا وهو يكاد أن يجن من شدة الغضب وقال :

— لقد عانيت كثيرا من أفعالك وأطماعك .. وإنى آسف لأنى

قد عفوت عنك عندما زرتنى فى طيبة منذ سنوات طويلة .. بل لقد أعطيتك الشرف فى أن تستمر حاكما على مدينتى فى منف .. الم يكفك كل هذا أيها العجوز يا ابن الجارية يا صاحب الكبد الشرير ؟ .. ألم يكفك أن تتجرأ على طلب الزواج من ملكة مصر فتتجرأ أيضا على التشكيك فى مولدها .. ؟

ونظر الفرعون إلى مرمس رئيس الحرس الملكى وأصدر له أمرا :

— يا مرمس .. دع جنودك يقبضون على الأمير آبى .. وغدا سوف نغادر منف إلى طيبة .. وهناك سوف نحاكمه ونطبق عليه قوانينا .. !

وعلى الفور أطلق مرمس صفارته الفضية الصغيرة التى كانت تتدلى من رقبته فانقضت مجموعة من جنود الحرس مصوبة رماحها نحو الأمير وجردته من سيفه وألقت القبض عليه . وقال الفرعون لمرمس :

— أوثقه بالحبال .. دون أن تلحق به أى أذى .. فسوف نصحبه معنا إلى طيبة .

وقبل أن يلقى القبض أيضا على الفلكى كاكو .. كان قد استطاع أن يقترب من المكان الذى تقف فيه مريت رع وغمز لها بعينه وهمس :

— نفذى الليلة ما سبق أن اتفقنا عليه ولا تخشى شيئا .. !

وأبدت مريت رع إشارة تفيد بأنها سوف تفعل ..

وكان جنود الحرس الملكى قد انتهوا من ربط كاكو والأمير آبى وأبنائه بالحبال وساقوهم إلى خارج القاعة .. وبعد نحو ساعة وقف مرمس وزوجته آستى أمام الفرعون فى غرفته وتضرعا إليه أن يأمر بالرحيل من مدينة منف فورا وفى هذه الليلة نفسها دون داع للانتظار إلى صباح الغد .

ولكن الفرعون أصر على موقفه وقال :

— غدا سوف نرحل إلى طيبة .. إنى أريد أن أنام ولا داعى للعجلة .. لماذا تريدان أن أهرب من مدينتى وأخرج منها كما يخرج اللصوص .. ؟ !

وقال مرمس :

— ان لدينا سببا خطيرا لذلك .. فقد تأكدنا من أن هناك خطة قد وضعت للاحتفاظ بك رهينة فى هذه المدينة .. وكان يمكنك أن تكتشف ذلك لو كنت قد حاولت مغادرة المدينة فى عصر هذا اليوم .. أما الآن فقد قبضنا على الأمير آبى .. وأصبح الناس والجنود فى بلبلة وحيرة ، وسيفتحون لنا بوابات المدينة لنخرج سالمين .. أما إذا انتظرنا إلى الغد فقد تتغير الأمور وتتبدل الأوضاع .. وقد يظهر قائد جديد لجنود الأمير يأمرهم بإغلاق جميع بوابات المدينة علينا .. !

وهنا صاح الفرعون مندهشا :

— ماذا ؟ ! .. هل تريد أن تخبرنى بأننى أصبحت سجينا فى مصر التى أحكمها ؟ .. لا يا صديقى .. إن بوابات هذه المدينة ستفتح بأمر الفرعون .. وإذا لم يحدث ذلك فسوف آمر بهدم مدينة منف حجرا حجرا .. لقد قلت أننا سوف نرحل غدا .. ولن نرحل قبل ذلك !

وتدخلت آستى فى هذا النقاش وقالت :

— لا تغضب من مرمس يا صاحب الجلالة .. ولكن أنت تعرف أنى أملك بعض قوى السحر .. وأستطيع أن أتنبأ بما سوف يحدث فى المستقبل .. لقد جاءتنى روح الملكة أحورع ليلة الأمس وقالت : « إن هناك خطرا عظيما يهدد الفرعون وابنتنا نترتوا .. اهربوا جميعا من مدينة منف .. إن هناك امرأة قريبة من الفرعون تدبر لكم الشر بالاتفاق مع ساحر شرير » .. وأنا أعتقد يا صاحب الجلالة أن هذه المرأة هى مريت رع وأن هذا الساحر الشرير

هو كاكو .. وقد تم الاتفاق بين المرأة والساحر حين تقابلا ليلة أمس ..

ضحك الفرعون ساخرا وقال بهدوء :

— إذا كنت تقصدين هذا الفلكي العجوز كاكو الذى يرتدى غطاء ملونا للرأس .. فاعلمي انه مجرد جاسوس يعمل فى خدمتي ويمدني بأخبار منف وأسرارها مقابل أجل معلوم أدفعه له .. أما بالنسبة لمريت رع فهى خادمة مخلصة لى .. ولا تنسى أنها هى التى أفشت لى سر المؤامرة التى دبرها لى الأمير آبى منذ سنوات طويلة .. يبدو يا أستى أنك قد خدعت .. وأن الغيرة هى التى همست فى أذنك بهذا الكلام .. ولم تهمس به روح آحو رع .. !

عندئذ لم تجد أستى مناصا سوى الاستسلام فقالت بصوتها الهادىء :

— لقد تكلم الفرعون .. وعلينا ألا نعصى للفرعون أمرا .. !!

O—O

الفصل السابع عشر

كيف مات الفرعون

في تلك الليلة حاولت الملكة نتر توا أن تنام دون جدوى .. فكلما حاولت أن تغلق عينيها كانت تظهر أمام بصيرتها على الفور رؤى وأحداث صاخبة .. وفي كل رؤيا وكل حدث كان أبي يقوم بالدور الأول .. وخلال أطباق الظلام كانت تسمع أصواتا وهمهمات تتحدث عن الموت وعن الحرب ..

وحاولت الملكة أن تبعد عن أذنيها تلك الأصوات والهمهمات .. وأن تركز ذهنها في التفكير في رعمس .. وأخذت تسائل نفسها : ترى أين هو الآن ؟ .. وماذا كان مصيره في بلاد كوش ؟ .. هل مات يا ترى ؟ .. وإن كان قد مات هناك فماذا سيكون مصيرها بدونه ؟ .. وما جدوى أن تصبح ملكة على مصر دون أن يكون رعمس إلى جوارها .. ؟ !

وقامت الملكة من سريرها وخرجت من غرفتها .. وهبطت سلما ذا درجات قليلة ضيقة حتى وصلت إلى غرفة نوم آستي ، وتسلل إلى سمعها صوت آستي وهي تتلو بعض الصلوات . وفتحت الملكة باب الغرفة ودخلت .. وكان بالغرفة مصباح مضيء ، رأت على نوره السيدة آستي وهي راكعة على الأرض وتمد يديها متضرعة إلى أعلى .

وعندما رأت آستي الملكة واقفة أمامها ، قطعت صلواتها وقالت لها :

— إني أتضرع إلى الآلهة لكي يتدخلوا وينقذونا من هذا الخطر العظيم الذي يحيط بنا .. إن هذا الليل مليء بالسحر الأسود . إني

اشم رائحة هذا السحر وهى تملأ الهواء من حولنا .. لماذا أنت مستيقظة حتى الآن يا صاحبة الجلالة .. ؟ !

فقالت الملكة فى جزع :

— لم أستطع النوم .. إن الخوف يملأ قلبى .. وكم أتمنى لو أننا لم نحضر إلى مدينة منف هذه أبدا ..

فقالت آستى تطمئنها :

— لا تخافى يا سيدتى .. غدا سوف نعود إلى طيبة .. لقد أعطى الفرعون أوامره بذلك .. أما الأمير آبى فقد أصبح سجينا لدينا .. !

وقالت نترتوا :

— ان السجن لا يكفى للتخلص من شروره .. ولا أدرى لماذا لم يحكم أبى بإعدامه حتى نتخلص نهائيا من هذه الشرور التى يضمرها لنا وحتى نتخلص أيضا من تهديده بالزواج بى دون رغبتى .. !

وبينما كانت الملكة نترتوا تتحدث بهذه الكلمات ، سمعت صرخة خارج الغرفة ، وصوت وقع أقدام تهبط مسرعة فوق درجات السلم .. وفتحت آستى باب الغرفة وتساءلت :

— ماذا حدث .. ؟ !

فرد عليها صوت مضطرب ملىء بالحزن واللوعة :

— ان الفرعون يحتضر .. !

وجرت الملكة وآستى إلى حيث غرفة الفرعون ، فوجدتاه راقدا بلا حراك فوق السرير ويقف حوله مجموعة من الأطباء ..

كان الفرعون عاجزا عن الكلام .. ولكن عينيه كانتا مفتوحتين .. وتعرف على ابنته حين رآها ، وحرك الفرعون يده فى ضعف شديد وأشار إلى رجليه .. وسألت الملكة كبير الأطباء :

— ماذا حدث لأبى أيها الطبيب .. ؟ !

ورفع الطبيب طرف الغطاء المسدل فوق ساقى الفرعون وقدميه .. فرأتهما شاحبتين ذابلتين غير قادرتين على الحركة .. وتساءلت الملكة :

...

— أى نوع من المرض هذا .. ؟

فأجاب الطبيب :

— لا أدرى يا صاحبة الجلالة .. إنى لم أر طوال حياتى مرضا مثل هذا .. !

وعندئذ قالت آستى :

— إنى أعرف ما حدث .. ليس هذا بمرض .. وإنما هو السحر .. سحر أسود مارسه الأمير آبى بواسطة أحد السحرة التابعين له .. من رأى آخر شخص كان موجودا مع الفرعون قبل حدوث هذه المصيبة .. ؟

أجاب كبير الأطباء :

— لقد كانت معه السيدة مريت رع .. كانت تغنى له حتى تساعده على النوم .. وانصرفت من هنا منذ نحو ساعتين .. وكنت قد حضرت لأطمئن على صحة جلالته فوجدته فى هذه الحالة ..

وعندئذ رفعت الملكة نترتوا رأسها وتكلمت :

— إن أبى أصبح الآن عاجزا عن الحركة .. ولذلك فإنى أتولى حكم المملكة نيابة عنه .. أحضروا الأمير آبى إلى هنا فأنا أريد التحقيق معه .. وأحضروا أيضا الوصيفة مريت رع .. !

وانحنى أمامها الضابط الذى كان معينا لحراسة غرفة الفرعون ، وانصرف لينفذ ما تلقاه من أوامر .. ولكنه سرعان ما عاد وقال لاهثا :

— يا صاحبة الجلالة .. لقد هرب الأمير آبى .. وهربت أيضا الوصيفة مريت رع .. !

وتساءلت الملكة مندهشة :

— كيف حدث هذا .. ؟ !

فقال الضابط :

— منذ نحو ساعة ذهبت مريت رع إلى الضابط الذى كان يرأس جنود الحرس المعينين على البوابة وطلبت منه أن يفتح البوابه

لتخرج بعد أن أرته خاتم الفرعون .. وكان فى صحبتها رجل بدين
يتخفى فى ملابس جمال .. ومن المؤكد أن هذا الرجل المتخفى كان
هو بنفسه الأمير آبى بعد أن هرب من سجنه عن طريق سر
سرى .. !

وعندئذ أصدرت الملكة أوامرها الجديدة :

— إذن .. أغلقوا البوابة ولا تدعوا أحدا يدخل أو يخرج.
أما أنت يا آستى فخذى معك بعض الجنود وفتشى غرفة
مريت رع .. !

وذهبت آستى إلى حيث أمرتها الملكة .. وعادت بعد قليل وهى
تحمل فى يدها شيئا ملفوفا بالقماش . وقالت :

— يا صاحبة الجلالة .. لقد عثرت على هذا الشىء تحت
سريرها ..

وتساءلت الملكة :

— وما هو هذا الشىء ؟ .. هل هو مومياء طفل .. ؟ !

— لا يا صاحبة الجلالة .. إنه تمثال من الشمع على هيئة رجل ..

وما أن شاهدت هذا التمثال حتى تحققت تماما من أنه منحوت
على شكل الفرعون بكل ملامحه .. ولكن ساقى التمثال الشمعيتين
كانتا ذائبتين ..

وتوجهت الملكة إلى حجرة الفرعون فوجدته ما زال راقدا على
سريره بلا حركة .. ولكنه بمجرد أن رآها تدخل الحجرة .. فتح
شفتيه وتمتم بصوت ضعيف واهن :

— إنه السحر .. انتقمى لى يا ابنتى .. !

ومالت رأس الفرعون .. وبدا عليه سلام الموت .. فقبلته الملكة
وخرت راكعة تتلو عليه صلواتها ..

وبعد ذلك هبت الملكة واقفة وقالت بحزم :

— أعلنوا أن الفرعون قد مات .. وأنى وحدى الآن أحكم
مصر .. !

O—O

الفصل الثامن عشر

معركة فى المعبد

وفى الصباح بدأ الأطباء فى إعداد جثمان الفرعون للرحلة .. وفى نفس الوقت كانت الملكة تتشاور مع قادة حرسها حول الخطة التى يجب عليهم أن ينفذوها للخروج من منف ..

واقترح أحد الضباط أن يقوموا بعمل فجوة فى جدار سور المعبد المطل على النيل .. حيث ترسو السفن الملكية فى انتظارهم على الشاطىء .. وتمت الموافقة على تلك الخطة ..

ولكن ما أن بدأ الجنود فى تنفيذها حتى حدثت مفاجأة مذهلة .. فقد تبين لهم أن جميع السفن الملكية قد وقعت فى أسر جيش الأمير وأخذت بعيدا .. !

ولذلك فلم يعد هناك مناص من اختيار أحد أمرين : إما أن يظلوا باقين بداخل المعبد القديم ويرسلوا فى طلب النجدة .. وإما أن يسيروا فى قلب المدينة ويقتحموا إحدى بواباتها إلى أن يصلوا إلى أقرب مدينة تدين بالولاء للملكة ..

وقالت الملكة تحسم الأمر :

— إننا لن نبقى هنا لنموت جوعا قبل أن يأتينا جيش النجدة .. أشرف لنا أن نموت ونحن نحارب فى الشوارع .. اننا سنخرج من هنا عندما ينتصف الليل ،، !

وكانت أصوات الحراس فى تلك الأثناء تعلو معلنة من فوق أبراج أسوار المعبد أن الفرعون قد مات .. وأن الملكة نترتوا أصبحت وحدها ملكة على مصر ..

وانقسم الناس الذين كانوا ينصتون إلى هذا الإعلان إلى

قسمين : بعضهم أخذ يهتف تحية للملكة الجديدة .. وبعضهم خاف من الأمير آبى فلزم الصمت .

وأخيرا .. حل الليل وانتصف .. وحان الوقت الذى حددته الملكة للرحيل .. وأعطت إشارة متفقا عليها ، وفتحت بوابة المعبد وبدأ تحرك الركب ..

فى أول الركب كانت هناك مجموعة صغيرة من جنود الحرس الملكى .. ومن بعدهم سار بعض أعضاء مجلس الحكم وهم يحملون التابوت الذى يضم جثمان الفرعون .. ومن خلفهم سار الكهنة ومجموعة من المرتلين ينشدون تراتيل جنائزية حزينة .. ثم مجموعة من العبيد يحملون على رؤوسهم الصناديق التى تحتوى على الحاجيات الخاصة بأعضاء الركب الملكى .. وفى النهاية كان هناك جنود الحرس الملكى .. يحيطون بالملكة و آستى .

ووصل الركب إلى الميدان الواسع المواجه للمعبد ، وبدأ يتجه نحو الطريق الذى يؤدى إلى البوابة الرئيسية للمدينة .. وهنا حدثت مفاجأة فقد ظهرت مجموعة من الرجال .. وصاح واحد منهم :

- قف .. !!

والتف جنود الحرس حول الملكة لحمايتها .. وتقدم إلى الركب أربعة من الرجال قال أحدهم أنهم يتحدثون باسم الأمير آبى .. وطلبوا من الملكة أن تعلن استسلامها للأمير الذى سيعاملها بكل ما تستحقه من التشريف والاحترام .. وأن لجميع من هم فى صحبة الملكة الحرية فى الذهاب إلى أى مكان يريدونه .

وكان هؤلاء الرجال الأربعة هم أبناء الأمير آبى ..

ونظر مرمس إلى الملكة منتظرا أوامرها بالرد .. فقالت الملكة دون تردد :

- قل لهم أن ملكة مصر لن تستسلم لقتلة أبيها الفرعون .. إهجم عليهم واقتلهم جميعا .. !

وأعطى مرمس إشارة انطلق على أثرها سيل من الحراب وسقط

أبناء الأمير آبى على الأرض قتلى .. وعلى الفور بدأت المعركة بين جيش الأمير وجنود الحرس الملكى .

كانت معركة وحشية شرسة لم تشهد مثلها مصر منذ سنين طويلة .. وكان جنود الحرس بالرغم من قلة عددهم محاربين أشداء ومدربين على فنون القتال .. وحاربوا معركة يائسة .. يدفعهم فيها جنون الغضب .. وشاركت الملكة بكل قوتها فى هذه المعركة .. وكانت تبدو فى ضوء القمر كما لو كانت إلهة تركب عربتها وتشد قوسها لتطلق سيلا من السهام لا ينقطع ..

ولكن كل هذا الدفاع كان دون جدوى .. فقد كان جيش الأمير أكثر عددا .. وتفوق على جنود الحرس الملكى فى النهاية .. ولم يعد باقيا من هؤلاء الجنود البواسل سوى نحو خمسين جنديا ظلوا يدافعون بجنون عن الملكة .. وكانوا تحت قيادة مرمس .. وأخذ عددهم فى التناقص ويسقطون واحدا بعد الآخر حتى بقى منهم نحو عشرة أو اثنا عشر جنديا أحاطوا بالملكة للدفاع عنها حتى النهاية .. ونزلت الملكة من عربتها ووقفت آستى إلى جانبها بالقرب من الباب المؤدى إلى برج المعبد حيث كانت تقيم الملكة من قبل .. وانهمرت السهام من جانب الجيش حتى سقط جنود الحرس الملكى جميعا ولم يبق سوى قائدهم مرمس الذى أدخل الملكة وزوجته آستى إلى داخل البرج .. وقبل زوجته وانحنى أمام الملكة وقال :

— سيدتى .. لقد قمت بواجبى كما يفعل الرجال المخلصون .. وسوف أذهب الآن لأقدم تقريرا بذلك إلى الفرعون وأنا أترككما فى رعاية الإله آمون وفى رعاية ابنى رعمس الذى سيقوم بالانتقام فى يوم ما .. !

وصاح مرمس صيحة الحرب التى كان يطلقها من قبل آباؤه من الفراعنة الذين كانوا يحكمون مصر .. واندفع بكل قوته نحو جيش العدو .. وظل يعمل فيهم سيفه إلى أن سقط قتيلا فى النهاية .

وعندئذ ربتت الملكة على كتف آستى وقالت لها :

— تعالى معى يا زوجة هذا الجندى العظيم الشجاع !

وقالت آستى فى حزن ولكن بقدر كبير من الثبات :
— لم أعد زوجته .. بل ارملته !
وصعدت الاثنتان درجات السلم إلى أن وصلتا إلى أعلى البرج .. وهناك ارتمت آستى على الأرض وأخذت تبكى ، ووقفت الملكة نترتوا وحدها على الحافة العليا لسور البرج ..
فى تلك اللحظات بدأت الشمس تشرق من حافة الأفق فى الصحراء .. وانعكست شعاعاتها الحمراء على جسم الملكة وثيابها الواسعة التى أخذت تتطاير برقة هبوب نسيم الصباح .. وبدت الملكة وهى واقفة بأعلى البرج وكأنها تبرق كالمرآة وسط عالم من الظلال القاتمة ..
وصاح ألوف من أفراد الشعب الذين كانوا يسيرون فى شوارع المدينة وعلى ضفاف النيل :
— ها هى ابنة آمون .. ها هى الملكة التى تتمتع بكل عظمة الآلهة !!
وهنا ظهر الأمير آبى وسط فرقة من جنوده .. وصاح فيهم الأمير :
— اقبضوا عليها .. !
ولكن أحدا من الجنود لم يتحرك .. بل تراجعوا إلى الخلف وقالوا انهم خائفين .. وعندئذ قالت الملكة نترتوا تحذر الأمير :
— إذا تقدمت خطوة واحدة نحوى .. فسوف أقذف بنفسى من فوق هذا البرج إلى مياه النيل .. سوف أفعل ذلك أمام عينيك وأمام جميع هؤلاء الناس الذين يرونى الآن .. ولكن قبل ذهابى لألحق بأبى الفرعون .. فانى أصب عليك كل لعناتى .. وسوف تظل روح أبى وأرواح الجنود والرجال البواسل الذين قتلتهم تطاردك وتطرد النوم من عينيك .. وسيلحق بك العار طوال حياتك .. وتموت فى النهاية ميتة دنيئة خسيسة !

جعلت هذه الكلمات الأمير آبي يرتجف من شدة الرعب .. وأخذ ينتفض ويقول كما لو كان يشجع نفسه :

— لم أعد أهتم بشيء .. فقد مات الفرعون عدوى .. وإذا لم تتزوجيني بإرادتك الحرة .. فسوف تظلين سجينة بهذا البرج إلى أن تموتي من الجوع والعطش .. !

واستدار الأمير وانصرف ..

واتجهت الملكة إلى آستي وأنهضتها .. وأسندتها بذراعها وسارت بها حتى دخلت إلى حجرتها .. !

O—O

الفصـــل التاسع عشر

استحضار الـ « كا » الخاصة بالملكة

ومرت ستة أيام .. لم تذق فيها الملكة طعاما سوى قطرات قليلة من العسل كانت آستى تحصل عليها من خلية نحل فوق سطح البرج .. [وقد خلدت الملكة فيما بعد فضل النحل عليها فى تلك الأيام العصيبة بأن جعلت شعارها الملكى على شكل نحلة ، بالرغم من أنها لم تأكل عسل النحل بعد ذلك أبدا] .

وعلى أية حال فقد نضبت خلية النحل ولم تعد فيها قطرة واحدة من العسل .. كما نضبت أيضا أوانى الماء وجفت تماما .. ولم يعد هناك مفر أمام الملكة وآستى إلا أن يواجها قدرهما المحتوم ..

قالت الملكة :

— هيا بنا يا آستى نصعد إلى سطح البرج .. لقد حان الآن غروب الشمس .. وربما سيكون هذا آخر غروب نراه فى حياتنا .. !

وصعدت الاثنتان إلى أعلى البرج ، وكل منهما تستند على الأخرى ، وشاهدتا كيف أن المعبد قد أصبح محاصرا بصفوف كثيفة من الجنود المدججين بالسلاح .. وخلف هؤلاء الجنود تجمع عدة آلاف من أفراد الشعب الذين اعتادوا على مشاهدة ظهور الملكة فوق سطح البرج وقت حمرة السماء فى كل غروب .. ونظرت الملكة إلى الشعب فى أسى بالغ وقالت :

— انهم لا يستطيعون مساعدتنا بأى شكل .. هيا بنا يا آستى نعود إلى حجرتنا وننام هناك فى انتظار الموت ..

وقالت آستى :

— لا .. لن نموت يا صاحبة الجلالة .. هل تذكرين الكلمات التى

همست بها فى أذنى روح الملكة آحو رع حين رأيناها ؟ .. إن هذه الكلمات تتضمن إرشادات سحرية لا تستعمل ولا تمارس إلا مرة واحدة .. وقد حان الآن وقت استخدامها ..

وتساءلت الملكة :

— ولماذا لا تستخدميها الآن فورا مادمت تستطيعين ذلك ؟ .. هل ستقومين باستدعاء الإله آمون .. أم روح الملكة آحو رع .. أم روح الفرعون .. ؟ !

وأجابت آسـتى :

— لن استدعى أحدا من هؤلاء .. وكل ما عليك الآن أن تستغرقى فى النوم .. وسوف أقوم بعملى أثناء ساعات الظلام .. وعندما تستيقظين ستعرفين كل شيء .. !

ورقدت الملكة نتر توا على سريرها .. وأخذت آستى يدها اليمنى بين راحتيها وبدأت تغنى لها كلمات أغنية حالمة هادئة .. وأغلقت الملكة عينيها واستغرقت فى النوم .. وبدأت آستى فى تلاوة بعض الصلوات ..

وعندما أصبح الظلام دامسا ، بدأت آستى فى تلاوة الكلمات السحرية السرية التى كانت روح الملكة آحو رع قد همست بها ولقنتها إياها ..

وما أن نطقت آستى بتلك الكلمات حتى ترددت فى أطباق الظلام أصوات وحشية غامضة ، واهتز البرج كما لو كان قد ضربه زلزال .. وسقطت كرة كاكو السحرية المصنوعة من الكريستال على الأرض وتهشمت .. كما هب الأمير آبى من نومه لسبب خفى وهو يشعر بالخوف والفزع ..

وكانت شعاعات من ضياء الفجر الرمادية قد بدأت تتسلل حين استيقظت الملكة نتر توا من نومها وفتحت عينيها .. ورأت آستى نائمة على مقعد جوار سريرها وقد أسندت رأسها على يدها .. وفجأة رأت الملكة طيفا من الضوء الأبيض بدأ يسطع عند مؤخرة

السرير .. وبدأت معالمه وملامحه تتضح رويدا .. رأت الملكة الـ « كا » الخاصة بها .. روحها القرين التى تشبهها فى كل شىء .. كانت واقفة فى كامل بهائها غارقة فى هذا الضوء الأبيض الغامض .. وكانت تضع على رأسها تاجى مصر الأبيض والأحمر ..

وقالت الـ « كا » فى صوت ناعم :

— أنا خادمتك وتحت أمرك .. وعلى أن ألبى كل طلباتك .. وأحقق كل رغباتك ..

وقالت الملكة بعد لحظة تفكير :

— أوه .. دعينى أفكر قليلا .. إنى لا أرغب الآن إلا فى أن أشرب جرعة من الماء وأكل لقمة من الخبز ..

وأشارت الـ « كا » على الفور إلى منضدة جوار السرير . وقالت :

— ها هو الماء والخبز أمامك !

وشربت الملكة الماء كله ، وأكلت الخبز كله .. فقد كانت موشكة على الموت جوعا وعطشا .. ولكنها ما أن انتهت من ذلك حتى شعرت بندم صادق وقالت :

— كم أنا أنانية .. لقد شربت وأكلت كل شىء ولم أترك لأمى آستى ما يسد رمقها !

فقالت الـ « كا » تطمئنها :

— سأدبر لها ما تحتاجه من طعام وشراب .. أليس هناك طلب آخر يشغل قلبك وتريدين تحقيقه .. ؟ !

فأجابت الملكة :

— نعم .. أريد الانتقام من الأمير آبى !

وقالت الـ « كا » :

— أنا خادمتك وسوف ألبى هذا الطلب .. سوف أنتقم منه انتقاما لم تحلمى به .. سوف أجعله يتجرع هذا الانتقام نقطة نقطة .. تماما

مثل قطرات السم تمتزج بالتدرج فى دمائه .. سأجعله يشعر بمرارة وآلام حب يائس .. وسوف ألوح له بالسلطة ثم أحرمه منها .. وسوف أجعله يعيش خائفا من موت يجلله العار والخزى .. هل هناك طلب آخر يشغل قلبك .. ؟ !

— نعم .. هناك شيء لا أستطيع أن أتحدث عنه حتى فى أحلامى .. !

— إنى أعرف ذلك يا نجمة الصباح .. وأعرف أن حبيب قلبك يعيش الآن فى بلاد بعيدة .. وسوف يعود معك إلى أرض الوطن .. وسوف تجلسان سويا على عرش مصر ..

وهنا صاحت الملكة لتوقظ آستى :

— استيقظى يا آستى .. لقد ظهرت الـ « كا » الخاصة بى .. لقد ظهرت روحى القرين .. وها هى ذى تقف أمامى !!

واستيقظت آستى .. وشاهدت هذا الطيف النورانى لروح الملكة .. فهبت واقفة إجلالا واحتراما ..

وتحدثت الـ « كا » قائلة :

— والآن اسمعانى جيدا فليس أمامنا كثير من الوقت .. أنتما الآن سجينتان فى هذا البرج .. والأمير آبى ينتظر ما سوف تنتهى إليه الأمور .. فإذا ظلت الملكة على قيد الحياة فسوف يأخذها زوجة له .. ويجلس معها على عرش مصر .. أما إذا ماتت فى سجنها جوعا وعطشا فإن هذا الموت سيفتح الطريق أمامه ويجلس على العرش وحده .. وسوف يحضر إليكما الأمير آبى ليعرف رأى الملكة النهائى : هل ستقبله زوجا أم قررت أن تموت جوعا .. والآن سأخبركما بما سوف يحدث .. سأبقى أنا هنا فى هذا البرج بدلا من الملكة .. وسأصبح زوجة له .. ولكنى سأكون زوجة لم يعرفها رجل من قبل .. سأجعله يتزوج من شبح .. شبح سيعمل على تحطيمه وتدميره .. !

وتساءلت الملكة :

— أليس معنى ذلك انك ستجلسين على كرسى العرش الخاص بى .. وسيجلس آبى إلى جانبك .. ولكن ماذا عن مصر وعن شعب مصر .. ؟

أجابت الـ « كا » :

— لا تخافى شيئا .. سوف تبقى مصر وشعبها إلى حين عودتك !

— وماذا علينا أن نصنع الآن .. أنا وآستى ..؟ !

— عليكما أن تقذفا بنفسيكما إلى ماء النيل !

وأشارت الـ « كا » إلى نافذة مفتوحة بالحجرة تطل على مجرى النيل .. ولكن الملكة تراجعت وقالت :

— ان هذه النافذة عالية جدا .. ولا أعتقد أن من سيقذف بنفسه منها إلى النيل سيبقى حيا .. !

— هل تظنين أنى أخدعك يا نجمة الصباح ؟ .. لابد أن تكون لديك ثقة كاملة بنفسك .. ودون ذلك فلن أستطيع أن أعاونك فى شىء .. وعليك الآن أن تختارى : إما أن تسمعى كلامى وتنفذى ما أقول .. وإما أن تتركينى أنصرف .. هيا .. قررى بسرعة فالأمير آبى قادم فى الطريق إليك .

وسمعت الملكة وآستى صوت بوابة البرج وهى تفتح .. ثم صوت وقع أقدام تصعد درجات السلم .. وعندئذ قالت الملكة بشجاعة :

— لقد اخترت .. لن يقال أبدا أن ابنة فرعون كانت تشعر بالجبن !

وعندما اتجهت صوب النافذة المفتوحة لحقت بها آستى وهى تقول :

— أينما تذهب سيدتى سأذهب معها !

ووقفت الاثنتان سويا على حافة النافذة وقد أمسكت كل منهما بذراع الأخرى ، وقذفتا بنفسيهما إلى مجرى النيل ..

ولم تعد أى منهما تشعر بشىء .. !

O—O

الفصـــل العشـــرون

حـــلم الأمـير آبى

فى نفس الليلة التى ظهرت فيها الـ « كا » الخاصة بالملكة نتر توا .. كانت الوصيفـة مريت رع جالسة فى حجرة الفلكى كاكو وهى تنتفض بمشاعر هى مزيج من الخوف والغضب .. فسألها كاكو :

— لماذا تشعرين بالاضطراب هكذا .. لقد سارت الأمور على خير ما نرجو .. لقد أدى تمثال الشمع مهمته بكاملها .. !

فأجابته مريت رع بصوت محتد غاضب :

— نعم بكاملها ! .. لقد خدعتنى أيها الساحر .. لقد وعدتنى بأنك سوف تلحق الضرر والشلل بساقى الفرعون فقط ولم تخبرنى بأنك ستقتله .. إن آستى والملكة نتر توا تعرفان حقيقة ما حدث .. وسوف تأمر الملكة بإحراقى حية باعتبارى ساحرة شريرة .. سوف ترسلنى إلى العالم الآخر ويداى ملطختان بدماء الفرعون .. الفرعون الذى لم يعاملنى بسوء إطلاقا ولم أجد من جانبه إلا كل شىء طيب .. لماذا قتلتم الفرعون .. ؟

عندئذ وقف كاكو واقترب من مريت رع وحدثها بنعومة :

— لماذا تقلقين نفسك بالمستقبل أيتها الجميلة ؟ .. إن المستقبل مازال بعيدا .. لقد أصابنا الحزن بموت الفرعون .. وأصابنا الحزن أيضا على موت أبناء الأمير آبى الأربعة .. ولكن كل الأمور أصبحت الآن فى صالحنا .. لقد استلمت صباح اليوم خطابا بتعيينى وزيرا بمجرد أن يصبح الأمير آبى ملكا .. كما أنك اعتبارا من هذا اليوم أصبحت زوجة لى كما وعدتك .. أصبحت السيـدة النبيلة

مريت رع .. زوجة الوزير العظيم والمستشار الأول لملك مصر ..!
وبالرغم من مظهر الاستسلام الذى بدا واضحا فى ملامح مريت رع ، إلا أنها قالت فى خوف :
— اسمع يا كاكو .. إنى مازلت خائفة .. ولكن بما أنك ساحر قدير وتستطيع التنبؤ بالمستقبل .. فدع كرتك السحرية المصنوعة من الكريستال ترينى ما سوف يحدث فى المستقبل !
وكانت الكرة الكريستالية موضوعة فوق منضدة فى ركن من الغرفة .. وجلس كاكو ومريت رع أمامها يركزان النظر فى أعماقها .. ولكن مر وقت طويل دون أن يظهر شىء ..
وفجأة بدأت صورة باهتة تتضح رويدا .. إلى أن أصبحت واضحة تماما .. كانت صورة تمثل مومياء الفرعون ملفوفة فى أكفانها .. واضطربت مريت رع وأخذت تتراجع خائفة إلى الخلف .. وهى مازالت تحملق فى الكرة .. وفجأة أخرج الفرعون ذراعيه من بين أربطة الأكفان ، وضرب بيديه جدران الكرة السحرية المصنوعة من الكريستال فتهشمت الكرة وتناثرت أشلاؤها على الأرض ، واندفعت قطعة كبيرة منها نحو وجه مريت رع فجرحتها فى فمها وأسقطت اثنتين من أسنانها ..
وقال كاكو بصوت مرتعش :
— يبدو أن الآلهة لا تريد لنا أن نعرف شيئا عن المستقبل .. فكونى قانعة بحاضرك يا مريت رع !
واندفعت مريت رع نحوه هائجة .. والدم ينزف من فمها ، وصاحت فيه بأعلى صوتها :
— قانعة بحاضرى ؟ ! .. أى حاضر هذا أكون قانعة به ؟ ! .. ماذا أخذته منك سوى المتاعب والمصائب .. أنظر .. لقد كنت جميلة فيما مضى .. وها هو جمالى وقد تشوه إلى الأبد !!
ونزعت مريت رع غطاء الرأس الذى كان يرتديه كاكو وأخذت تضربه به فوق وجهه ورأسه ..

في تلك اللحظة انفتح باب الغرفة ، واندفع إلى داخلها الأمير آبى وهو نصف عريان ، ويرتعش من شدة الخوف والفزع .. وتساءل :

— ما هذا الذى تصنع ؟ .. هل هذه هى الطريقة التى ترصد بها النجوم .. ؟ !

قال كاكو :

— انها مجرد مشاجرة صغيرة أيها الأمير .. هذه المرأة المتوحشة التى تزوجتها وقع لها حادث عارض .. وهى تعبر عن غضبها بهذه الطريقة .

وقالت مريت رع :

— سحره هو السبب .. لقد جعل الفرعون يحطم الكرة الكريستالية ويلقى شظاياها فى وجهى .

فقال الأمير آبى ملتاعا :

— الفرعون ؟ .. يبدو أن روح الفرعون موجودة فى كل مكان هنا .. لقد جئت لأحدثك يا كاكو عما حدث لى مع الفرعون .. لقد حلمت حلما مرعبا .. شعرت كأن هناك شيئا ثقيلا يرقد بجوارى على السرير .. استدرت لأعرف ما هو .. ففوجئت بجثمان الفرعون راقدا إلى جانبى .. وإذا به يخبرنى بأنه يحمل رسالة إلى أرسلتها معه الآلهة .. وهذه الرسالة تقول بالنص : إذهب إلى معبد سخمت فى الصباح .. ستجد الملكة فى انتظارك .. تزوجها واحكم أرض مصر إلى أن تتقابل فى يوم ما مع رعمس .. إنه ابن مرمس رئيس حرسى الذى قمت بقتله .. وسيكون فى صحبة رعمس شحاذ عجوز يحمل إليك رسالة خاصة .. والآن عليك أن تدفننى فى القبر الذى أعددته لنفسى .. واجلس على عرشى جوار من ستتزوجها .. وعليك أن .. تطيعها وتفعل كل ما تأمرك به .. ثم أسرع بعد ذلك فى إعداد قبر لنفسك .. وليكن مجاورا لقبرى .. !!

وبعد أن انتهى الأمير آبى من سرد تفاصيل حلمه الغريب والرسالة الغريبة التى تلقاها قال لكاكو فى غيظ :

— عليك أن تخبرنى بمعنى كل هذا .. انك أنت الذى وضعتنى فى هذا الطريق وعليك أن تحافظ على سلامتى وإلا أمرت بقتلك !

فقال كاكو بخبث :

— حقا أنا الذى وضعتك فى هذا الطريق .. وحقا يجب على أن أحافظ على سلامتك .. وسوف أظل فى المستقبل كما كنت فى الماضى ، مشاركا لك .. ومعى يمكنك أن تنهض على قدميك أو تتعرض للسقوط .. أما بالنسبة لهذا الحلم الذى رأيته فله دلالة طيبة .. وتفسيره هو أنك ستتزوج الملكة .. وستحكم مصر باعتبارك زوجها .. أليس ذلك هو ما تتمناه وترغبه .. ؟ !

وأجاب الأمير آبى بارتياح ولكنه لم يزل يشعر ببعض الشك :

— نعم يا كاكو .. هذه هى رغبتى تماما .. ولكن ماذا عن رعمس والشحاذ والقبر الذى قيل لى أن أسرع فى إعداده .. ؟

— رعمس ؟ !! .. هذا الضابط الذى قتل أمير كوش ؟ ! .. إنه لا شىء .. وإذا عاد مرة أخرى إلى الظهور فيمكنك أن تشنقه هو والشحاذ الذى سوف يصحبه .. أنا لا أعير رعمس هذا أى اهتمام !

— ولكن لماذا تحدث الفرعون عن القبور ؟

— لأن الفرعون قد مات فمن الطبيعى أن يتحدث عن القبور !

— ولكن لماذا قال الفرعون اننى سأجلس على العرش جوار من سأتزوجها ولم يقل جوار ابنته الملكة نتر توا ؟

عندئذ لزم كاكو الصمت لأن السؤال كان عويصا وليس من السهل أن تكون له إجابة واضحة .. لذلك فقد فكر بسرعة وقال :

— أعتقد أن السبب فى ذلك هو أن الملكة نتر توا ليست امرأة عادية .. انها ابنة الإله آمون .. !

وعندئذ قال آبى مقتنعا :

— قد يكون كلامك صحيحا بالفعل .. ولكنى فى حيرة من أمرى .. فإذا اقتحمت عليها البرج المسجونة فيه فسوف تقتل نفسها .. وإذا تركتها فى سجنها أكثر من ذلك فسوف تموت من الجوع والعطش .. وقد بدأ الكثيرون من أفراد الشعب يتهامسون .. ولن يسمحوا بموت ملكتهم الشابة الجميلة بمثل هذه الميتة البائسة .. لقد تجمع عند غروب الشمس مساء الأمس عشرات الألوف من الناس لينصتوا إلى التراتيل التى كانت تنشدها الملكة فى صلاتها للشمس الغاربة .. ثم اتجه هؤلاء الناس بعد ذلك نحو قصرى وأخذوا يصيحون ويهتفون : اعط طعاما للملكة .. وإلا سنحطم الأسوار لننقذها .. كذلك فإنى أعتقد أن الأخبار قد وصلت الآن إلى طيبة وأنهم سيعدون جيشا قويا يهجم على منف لينقذ الملكة .. ترى .. ماذا أفعل أمام كل هذا .. ؟ !

— افعل ما أمرك به الفرعون فى الحلم .. إذهب إلى معبد الإلهة سخمت وسوف تجد الملكة فى انتظارك وطوع رغباتك !

وفى الصباح الباكر ارتدى الأمير آبى أفخر ثيابه .. واصطحب معه رجال بلاطه .. وتوجه الجميع إلى معبد الإلهة سخمت .. واجتازا الفناء الصغير الضيق ثم أخذوا يصعدون درجات السلم المؤدى إلى البرج ..

كان الفلكى كاكو فى المقدمة ، بينما كان بعض الضباط يعاونون الأمير آبى بجسمه الضخم الثقيل على طلوع درجات السلم .. وفى منتصف الطريق إلى أعلى البرج توقف الجميع حين أمرهم الأمير قائلا :

— لا تسرعوا هكذا حتى لا تخاف الملكة منا فتقذف بنفسها فى النيل كما هددتنا دائما .. لذلك دعونى أنادى عليها ..

وصاح الأمير بأعلى صوته :

— أيتها الملكة .. لا تموتى من الجوع فى هذا المكان البائس .. تعالى لتعيشى فى سعادة ورخاء مع أحد رعاياك المخلصين !

ترددت أصداء النداء فى أرجاء البرج ولا من مجيب .. وازداد

اضطراب الأمير وعلق على ذلك قائلا :

— ربما تكون قد ماتت .. وستخرج مصر كلها للانتقام .. اصعد يا كاكو إلى أعلى فأنت ساحر لا تخشى شيئا .. إذهب لترى ماذا حدث !

ولكن كاكو كان يحس بالخوف فعلا فقد أخذ يصعد درجات السلم ببطء درجة درجة وهو يتلو صلواته .. وأخيرا وصل إلى باب حجرة الملكة .. ودخل الحجرة فلم يجد أحدا .. ازداد خوفه وتضاعف وذهب إلى الحجرة الأخرى فلم يجد أحداً فصعد إلى سطح البرج العلوى فلم يجد أحدا .. عندئذ عاد إلى الأمير وأخبره بما رأى ..

وامتلأ قلب الأمير بالغيظ وصاح فى هلع :

— ربما تكون قدت تمكنت من الهرب .. وربما تكون قد ألقت بنفسها فى النيل .. هل هذا هو تفسير الحلم الذى ذكرته لى أيها الغبى !

قال كاكو :

— انتظر حتى نتأكد من كل شىء قبل أن تلقى بشتائمك .. دعنا نفتش كل مكان فى المعبد !

وهكذا بدأوا تفتيش كل ركن فى المعبد .. إلى أن وصلوا إلى القاعة التى كان يجلس فيها الفرعون لابسا تاجه أثناء الاحتفالات التى أقيمت له خلال إقامته بمدينة منف ..

كانت القاعة مظلمة تماما ولا يتسرب إليها أى شعاع من الضوء إلا من خلال نافذة صغيرة قرب السقف .. ولكن بالرغم من شروق الشمس وانتشار نورها فى الخارج ، إلا أن القاعة ظلت تبدو كما لو كانت غارقة فى ظلام أسود دامس .. فأخذ الباحثون يتحسسون أعمدة القاعة واحدا بعد آخر ومع ذلك لم يشاهدوا شيئا أو يروا أحدا ..

وفجأة سطع شعاع من نور الشمس تسلل خلال النافذة الضيقة بأعلى الجدار الشرقى للقاعة .. وسقط على عرش الفرعون وكساه بالنور .. ورأوا الملكة نترتوا جالسة على العرش وهى فى كامل

بهائها وعظمتها .. تفيض عليها أضواء متوهجة وسط الظلام ويشع من عينيها بريق بث الرعب فى قلوب الرجال فتراجعوا إلى الخلف خائفين .

ولكن كاكو جمع كل ما تبقى من شجاعته وقال للأمير :

— ها هى عروستك أيها الأمير .. تقدم وخذها .. !

وشرع الأمير أبى فى التقدم إلى الأمام نحو الملكة التى أوقفته قائلة بصوت واثق متزن :

— ماذا تفعل هنا يا حاكم مدينة منف ؟ .. وأنت أيضا أيها الساحر كاكو .. ولكن أين مريت رع .. هل مازالت هناك تنزف الدماء من شفتيها ..

فتساءل الأمير أبى وقد ازدادت حيرته :

— ومن أدراك بكل ذلك .. هل لديك جواسيس فى قصرى ؟

فأجابت الملكة بنفس الصوت الواثق :

— طبعا لدى جواسيس فى قصرك وفى كل مكان آخر فى هذه المدينة .. والآن .. لقد جئت إلى هنا لتأخذنى زوجة لك .. أليس كذلك ؟ .. إننى الآن مستعدة .. فافعل إن كنت قادرا على ذلك !

— ولماذا لا أقدر على ذلك أيتها الملكة ؟

— دعنى أذكرك .. لماذا تهشمت الكرة الكريستالية فى حجرة كاكو ليلة أمس ؟ .. ولماذا جاءك حلم غريب فى منامك وذهبت إلى كاكو لكى يفسره لك .. بالرغم من أنه لا يعرف شيئا عن التفسير الحقيقى لهذا الحلم .. إن الإله آمون يضىء بصيرتى ويجعلنى قادرة على معرفة المستقبل .. وإنى أرى فى المستقبل أشياء كثيرة لا تسرك ..

ونظر الأمير حوله كما لو كان يبحث عن شخص آخر .. وتساءل :

— ولكن قولى لى أيتها الملكة .. أين ذهبت السيدة آستى التى كانت معك ؟

— لقد أرسلتها إلى طيبة لتقوم بمهمة خاصة بى .. ولقد أمرتها بأن تنقش حكاية مصرع الفرعون كتابة على جدران مقبرته !

وعند سماع هذه الكلمات ارتاع الجميع واستداروا يريدون الانصراف .. ولكن الملكة صاحت فيهم :

— ماذا ؟ .. هل ستتركونني وحدى أيها الرجال ؟ .. هل أخافتكم حكمتي وسلطاتي ؟ .. وأنت أيها الأمير آبى .. سأذكر لك شيئا عن مستقبلك .. سوف يجرى زواج ملكى هنا فى منف .. وسوف تجلس إلى جوار ملكة مصر يفيض عليك نورها .. وسوف تنفذ جميع ما أوصاك به الفرعون حين جاءك فى الحلم .. تعال إذن لنخرج إلى شمس هذا اليوم الجديد .. انها تسطع فى كل مكان فى الخارج .. !

O—O

الفصـــل الحادى والعشـــرون

زواج آبـــى

انتشرت قصة غريبة فى جميع أنحاء مدينة منف .. قالوا أن الملكة قد استسلمت فى النهاية .. وأنها الآن موجودة فى قصر الأمير آبى فى انتظار زفافها إليه ..

وانقسم الناس حول هذه القصة واختلفوا بل وتشاجروا بسبب تضارب الآراء حول تفسير الأسباب والدوافع التى جعلت الملكة تقبل هذا الزواج .. وتساءل الرجال : هل يمكن أن تقبل تلك السيدة العظيمة الزواج من قاتل أبيها .. ألم يكن الأشرف لها أن تضحى بنفسها وتموت بدلا من الاستسلام إلى هذا المصير التعس .. لو كانت الملكة قد اختارت الموت لأصبحت قصتها حكاية تتوارثها الأجيال وتفخر بها مصر إلى الأبد !

أما النساء فقد كانت لهن وجهة نظر مختلفة تماما عما يراه الرجال .. قالت النساء : لماذا تضحى الملكة بنفسها وتموت وتترك فرصة الحياة كملكة لسنوات طويلة تتمتع فيها بالثراء والجاه والسلطة .. إن ذلك أفضل كثيرا من الرقاد فى القبر جثة هامدة .. !

ثم انتهت تلك الاختلافات فى آراء الناس حين أذيع إعلان فى المدينة بأن الزواج الملكى سيتم فى معبد الإلهة حتحور قبل ساعة واحدة من غروب الشمس .. وأن الزوجين سيستقبلان بعد ذلك المهنئين فى قاعة الاحتفالات بقصر الأمير ..

وضحكت نساء المدينة كثيرا لانتصار رأيهن .. أما الرجال فقد لزموا الصمت .

وعندما حان الوقت كانت جميع شوارع المدينة وميادينها مزدحمة بالناس .. وامتلأت قاعة الاحتفالات عن آخرها بكبار المهنئين ..

وكان هناك فى صدر القاعة كرسيان من كراسى العرش .. وكان أحدهما أكبر وأفخم من الآخر .. أما الكرسى الفخم والأكثر زينة فقد خصص لجلوس الأمير آبى .. بينما خصص الكرسى الأصغر والأكثر تواضعا لجلوس الملكة .. وكان الفلكي كاكو يقول : يجب على الملكة منذ البداية أن تعرف انه « هو » الذى يحكم وليست « هى » .. !

كانت أصوات الموسيقى تتردد فى كافة أرجاء المدينة ، وأعلن الضباط للشعب أن الأمير آبى والملكة نترتوا قد تزوجا فى معبد حتحور .. وأنهما سيخرجان من المعبد ليراهما الناس فى الطريق من المعبد إلى قصر الأمير ..

وسار موكب العرس يتصدره الكهنة وهم ينشدون أغانيهم ويرتلون أدعيتهم .. ويتبعهم أعضاء البلاط ثم الخدم .. وسار الأمير تحيط به مجموعة من الضباط وجنود الحرس .. وكان كاكو فى رفقته ويسير معه جنبا إلى جنب ..

ولاحظ الناس أن الأمير لم يكن فى حالة طيبة .. كان يحيى جماهير الشعب بوجه شاحب وشفتين أكثر شحوبا ويدين ترتعشان كلما رفعهما ليرد التحية ..

كانت أعين الناس تبحث عن الملكة .. تريد أن تراها بين كل هذا الزحام .. وأخيرا رآها أحدهم فصاح : انظروا ها هى الملكة هناك .. !

كانت الملكة تقف وحدها أمام كرسيى العرش .. وكانت ترتدى زيا أبيض اللون وفى غاية البساطة .. ولم تكن تتزين بأية حلى أو مجوهرات فيما عدا التاج الذى تضعه فوق رأسها ..

وكان الناس يتوقعون أن يروا فيها امرأة منكسرة مستسلمة ذات وجه شاحب وعينين حمراوين من شدة الحزن .. امرأة ذليلة انكسرت نفسها بتهديدها بالموت جوعا وعطشا وباضطرارها للزواج من رجل هزمها وانتصر عليها ..

وخاب ظن هؤلاء الناس جميعا .. فقد بدت الملكة موفورة الصحة

والعافية .. مشرقة الوجه ولم ينقص شيء من بهاء جمالها .. تبرق عيناها بنظرات عميقة تسبر غور كل إنسان كما لو كانتا تعرفان كل أسراره .. وكان خداها النضران فى لون الورد ..

وظل الناس يحملقون فى الملكة ويركزون نظرات أعينهم عليها .. وردت عليهم الملكة بنظرات ثاقبة من عينيها جعلتهم يحنون رؤوسهم احتراما وإجلالا .. وحل صمت عميق فى كافة أرجاء القاعة .

وتقدم اثنان من الضباط لإرشاد الملكة إلى الكرسى المخصص لها ، ولكنها أزاحت الضابطين قائلة :

— ليس لأحد هنا الحق فى إرشادى إلى مكانى .. فأنا أعرفه !

وبخطى بطيئة ثابتة اتجهت الملكة نحو الكرسى الأكبر والأفخم والأكثر زينة وجلست .. وحدثت همهمة بين الضباط التابعين للأمير آبى بعد أن جلست الملكة على الكرسى المخصص له .. واضطر الأمير إلى إصدار بعض الأوامر لتصحيح الوضع .. ولكن يبدو أن من صدرت إليهم هذه الأوامر خافوا من تنفيذها ..

وعندئذ تقدم الأمير بنفسه إلى الملكة وقال لها :

— سيدتى .. ربما لا تعرفين أنك قد جلست على الكرسى المخصص لى .. وأنك يجب أن تجلسى إلى يسارى !

فقالت الملكة بصوت هادىء :

— لماذا .. أيها الأمير آبى .. ؟

— لماذا ؟ ! .. لأن الزوج أعلى مرتبة من الزوجة .. وأن المنتصر أرفع شأنا من المهزوم !

— ولماذا لا تقول أيضا أن القاتل أعلى مرتبة من ابنة ضحيته .. لا أيها الأمير .. لقد أخطأت الفهم .. إن الملكة أعظم كثيرا من أحد رعاياها .. حتى ولو كان هذا الرجل قد منح لقب زوجها .. تعال أيها الأمير وقدم ولاءك لملكتك .. واثبت لها أنك خادمها المخلص !

وهنا حدثت ضجة فى القاعة وارتفع صوت الهمسات ، فقد كان أغلب الموجودين فى القاعة من المتورطين فى ارتكاب الجريمة التى

دبرها الأمير .. وكان معنى انتصار الملكة على الأمير هو الموت بالنسبة لهم .. لذلك فقد علت أصواتهم وأخذوا يحرضون الأمير على ألا يعبأ بها .. وأن يتقدم ويزيحها من فوق الكرسى المخصص له ليجلس هو بدلا منها وبعد أن يأخذ منها التاج ويضعه على رأسه .. !

ورفع الضباط والجنود الموالون للأمير سيوفهم معلنين التحدى .. وعندئذ انسحب من القاعة الرجال الذين كانوا موالين للفرعون وللملكة .. وهكذا أصبحت الملكة بلا صديق واحد فى تلك القاعة ..

بل وكانت القاعة ملأى بكثيرين من رجال الصحراء من أحفاد الهكسوس الذين يجرى فى عروقهم نفس الدم الذى يجرى فى عروق الأمير آبى .. ولذلك فقد كان الأمير نصيرهم .. وكانوا يأملون إذا جلس الأمير على عرش مصر أن تعود إلى أيديهم خيرات مصر وثرواتها .. ولكن ها هى امرأة عنيدة تحول بينهم وبين تحقيق آمالهم .. فأخذوا يصيحون ويصرخون فى وجه الأمير :

— اقتلها ومزقها إربا .. إنها ساحرة .. وإذا كنت خائفا فدعنا نفعل ذلك بأنفسنا !

ونظر الأمير إلى الملكة وقال :

— انظرى .. ها أنتِ ترين بنفسك .. إن الشعب لا يثق بك ولا يحبك .. وأنا لا أستطيع أن أجعلهم ينتظرون فترة طويلة .. فهل مازلت مصرة على أن أقوم بالانحناء أمامك وأن أقدم الولاء لك باعتبارى خادمك المخلص .. ؟ !

أجابت الملكة بثقة :

— ولم لا ؟ ! .. لقد قالت الملكة ذلك .. وكلام الملوك لا يرد ولا يتغير !

وعندئذ أمر الأمير حراسه بأن يتقدموا لإزاحة الملكة من كرسى العرش .. وهبت الملكة واقفة وهى تفرك يديها وتبدو كما لو كانت لا تدرى ماذا تفعل ..

وهنا صاح بها صوت ساخر :

— كونى فتاة عاقلة وأطيعى كلام زوجك !

وضجت القاعة بالضحك .. ونظرت الملكة إلى الرجل الذى تفوه بهذه السخرية .. كان أحد الضباط التابعين للأمير ممن اشتركوا فى المعركة الدموية التى شنت على جنود الحرس الملكى .. وما أن ركزت الملكة نظرات عينيها على هذا الضابط حتى أصبح شاحب الوجه حائر النظرات وأوشك على السقوط على الأرض .. وقال للقريبين منه أن الجو أصبح حارا وخانقا وأنه سيخرج ليشم بعض الهواء .. !

وصاحت الملكة بصوت قوى واضح :

— هناك سؤال بينى وبينكم أيها الشعب .. هل تريدونى أن أحكم مصر أم تريدون أن ينتقل الحكم إلى هذا الرجل الذى أصبح زوجى ؟ .. أنا أعرف رغبتكم يا من تجرى فى عروقهم دماء الهكسوس .. إنكم تريدون أن يحكم هو وأصبح أنا خادمة له .. !

وعندئذ صاح واحد من هؤلاء :

— لن تكونى ملكة علينا أبدا .. ولن نعتبرك ملكة طالما بقيت هذه الأعمدة الضخمة التى شيدها ملوك مصر من الهكسوس ثابتة فى هذه القاعة !

ورفعت الملكة نترتوا يديها وعينيها إلى السماء وتضرعت :

— اسمعنى يا آمون .. يا أعظم الآلهة .. إظهر وأعلن مشيئتك لهؤلاء الناس ليعرفوا .. !

وصوبت عينيها فى قرص الشمس الغاربة ..

وفجأة سكن كل شىء فى المدينة .. وثبت كل شىء فى مكانه لا يتحرك .. حتى الكلاب سكتت عن النباح .. وتوقف الأطفال عن البكاء أو الصياح .. ولم تهتز ورقة واحدة على غصون الشجر .. وأصبحت مدينة منف كلها تبدو كما لو كانت مدينة موتى .

وتجمعت في السماء سحب داكنة .. سرعان ما أخذت تتشكل بأشكال مخيفة تبث الرعب في قلوب الناس .. وظهرت سحابات على شكل جيوش ترفع رماحا لامعة .. وأخيرا ظهرت سحابة عالية في عنان السماء تبدو كما لو كانت امرأة سابحة في البحور السماوية ويتطاير شعرها فوق أمواج من النسيم ، وقال بعض الناس :

— ها هي إيزيس .. تحتضن قرص القمر بين ذراعيها .. !!

اقترب الفلكي كاكو من الأمير وهمس في أذنه ببعض الكلمات وأشار إلى نجمين ظهرا بوضوح على صفحة السماء ..

وفي لمح البصر هبت رياح عاصفة عاتية جعلت كل الأشجار تنحني ، وجعلت مياه النهر تضطرب وكأنها تفور .. وتخابطت سحب السماء في بعضها .. واختفى قرص الشمس وراء أفق الغرب ولم يعد ظاهرا منه سوى طرف صغير يبدو كالنيران المتوهجة ..

وصاحت الملكة في جميع الموجودين تنذرهم :

- انظروا .. ها هو سيف آمون مسلط عليكم !

وعلا البرق في السماء وارتفع صوت الرعد .. وزلزلت الأرض زلزالها .. وانطلقت صرخات الرعب والفزع مترددة في جميع أرجاء القاعة .. وتساقطت الأعمدة الضخمة التي بناها ملوك الهكسوس ووقعت أحجارها فوق رؤوس الموجودين فقتلت المئات .. وانفصلت رأس واحد من هؤلاء عن جسده وأخذت تتدحرج على الأرض إلى أن استقرت بين مجموعة من الكهنة .. فتبينوا فيها رأس الرجل الذي كان قد وجه كلماته الساخرة إلى الملكة ..

وعلى ضوء البرق الذي كان يملأ أرجاء القاعة رأى الجميع الملكة جالسة على العرش وهي تضحك منتصرة ..

واعترت جميع الموجودين موجة من الجنون والهلع جعلتهم يتدافعون ويتقاتلون في سبيل الفرار والهرب من تلك القاعة التي شاع فيها الرعب ..

أما الكهنة فقد انكفأوا بوجوههم على الأرض ، وهم يتلون

صلواتهم طالبين الرحمة .. بينما انكفأ الأمير ابى أمام عرش الملكه وقد سقط التاج من فوق رأسه ..

ثم انقشعت السحب وهدأت الرياح وتلألأت النجوم فى السماء بنور لطيف أضاء القاعة .. وعندئذ تكلمت الملكة بصوتها الهادىء المتزن :

— والآن أخبرنى يا زوجى .. من هو إله مصر .. ؟ !

فرفع الأمير أبى رأسه قليلا وأجاب بخضوع :

— أمون .. سيد الآلهة !

— ومن هو فرعون مصر .. ؟ !

— إنه أنت .. ياصاحبة الجلالة .. !

ثم وجهت الملكة كلامها إلى من تبقى بالقاعة من الكهنة والضباط وكبار الموظفين وقـالت :

— قوموا وانظروا كيف يقدم أميركم ولاءه إلى الملكة !

وقف الجميع وهم يرتعشون من الخوف .. وأشارت الملكة إلى قدمها .. وانحنى الأمير أبى راكعا وقبل حذاءها .. ثم تبعه الكهنة والضباط والموظفون وفعلوا نفس الشىء .. وفى النهاية تقدم كاكو وركع ليقبل الحذاء .. ولكن الملكة لم تسمح له بأن يلمسها وصاحت فى وجهه :

— كيف بقيت إلى الآن حيا بينما قتل آخرون ارتكبوا جرائم وشرورا أقل كثيرا من جرائمك وشرورك .. إن يديك ملطختان بدم الفرعون !

بكى كاكو وأخذ يضرب رأسه فى الأرض محاولا إنكار الجريمة .. وأخذ يتضرع ويتوسل إلى الملكة طالبا عفوها .. وقالت الملكة :

—انظر .. واعلم أنى سأنقذ حياتك إلى بعض الوقت .. حياتك أنت وحياة مريت رع .. أنظر إلى جيدا أيها الساحر الشرير لعلك تعرف من أنا .. !

وتقابلت عيونهما .. ولم يستطع كاكو أن يحول نظرات عينيه .. وفغر فاه من شدة الدهشة . فقـالت له الملكة :

— تعال أيها الساحر الشرير .. يجب آلا تكون هناك أسرار بيننا .. اقترب منى .. أريد أن أقول لك شيئا .. أريد أن تعرف من أنا .. ولكن سيكون موتك فى نفس اللحظة التى تبوح بها بهذا السر إلى أحد أيا كا ن.. والآن استمع إلى هذا السر أيها الساحر الشرير .. يا صانع تماثيل الشمع !

وهمست الملكة فى أذنه ببعض الكلمات .. وعلى الفور أخذ يرتعش مرتجفا وأوشك على السقوط على الأرض أمام عرش الملكة لولا أن سنده الأمير آبى وأمسك بذراعه ليمنعه من السقوط ..

وسأله الأمير فى همس متلهف :

— ماذا قالت لك .. ؟ !

ولكن كاكو لم ينطق بكلمة .. وانطلق يجرى خارجا من القاعة .. !

O—O

الفصـــل الثانى والعشـــرون

آبى يعرف الحقيقة

مر نحو شهر على وقوع هذه الأحداث ..

وكان الوزير كاكو يقوم بإعداد كشف بالحسابات العامة للمدينة .. ولم يكن هذا بالعمل الهين ، ففى خلال الأيام العشرة السابقة أعادت الملكة هذا الكشف الحسابى إليه مع العديد من الأسئلة والاستفسارات المتعلقة بالأموال التى تم تحصيلها والأموال التى تم إنفاقها ..

فيما مضى لم يكن الأمير آبى مدققا فى مراجعة الحسابات التى يقدمها كاكو إليه ، بل وكان يعلم أن كاكو كان يسرق بعض الأموال العامة ويضعها فى جيبه .. أما الآن فقد اختلف الأمر .. وأصبحت الملكة تراجع بنفسها كل صغيرة وكبيرة فى هذه الكشوف الحسابية .

وحتى يتمكن كاكو من تغطية اختلاساته وسرقاته استدعى اثنين من رؤساء محصلى الضرائب ، وأمر بضربهما بشدة حتى يسددوا الفروق الحسابية بما فى ذلك الأموال التى قام باختلاسها ..

وبينما كان كاكو فى الطريق إلى حجرة مكتبه تقابل مع الأمير آبى وجها لوجه .

كان الأمير قد تغير إلى حد كبير .. أصبح عجوزا بائسا لدرجة أن كاكو لم يتعرف عليه فى الضوء الخافت بالحجرة ، بل وظنه شحاذا جاء يتسول ، فأخذ يسبه ويصب عليه لعناته وطرده شر طردة !

وانفجر الأمير فى غضب .. وأمسك كاكو من لحيته وضربه فى وجهه وصاح فيه :

— يا كلب ! .. هل هذه هى الطريقة التى تخاطب بها مليكك ؟ !

عندئذ أدرك كاكو ما وقع فيه من خطأ ، وأخذ يعتذر ويطلب العفو والصفح :

— معذرة يا صاحب الجلالة .. انى لم أستطع التعرف عليك فى هذا الضوء الخافت .. لقد تغيرت كثيرا فى الفترة الأخيرة يا سيدى !

قال الأمير فى أسى :

— تغيرت ؟ .. طبعا تغيرت ! .. هل كنت تتصور أن تحدث لى كل هذه المصائب دون أن أتغير .. لقد كنت أعيش حياة سعيدة قبل أن استمع إلى نصائحك اللعينة وأتطلع إلى الجلوس على عرش الفرعون .. لقد كان لى أبنائى وزوجاتى .. وأموالى وجنودى .. والآن لم يعد لى أى شىء .. لقد ذهب كل ذلك أدراج الرياح .. مات أولادى الأربعة .. وأخذت منى كل أموالى وممتلكاتى .. وجردت من كل سلطاتى .. وأصبح جنودى يخدمون غيرى .. ومن الصباح إلى المساء فى كل يوم ، اصبحت مكلفا بالقيام بأعمال أكرهها ولا أطيقها .. على أن أشرف على بناء المعابد للإله آمون .. وعلى أن أشرف على حفر الترع والقنوات .. ويجب على أن أقدم الخدمات للناس العاديين .. وأن أشرف على تحصيل الضرائب .. وأصبحت مكلفا بأن أعاقب رجال الصحراء الذين أعتبرهم أصدقائى .. وفى الشهر القادم على أن أقود حملة عسكرية لمحاربة ملك خيتا الذى تربطنى به علاقة صداقة .. !

— وماذا بعد ذلك .. ؟

— بعد أن أحطم عرش مملكة خيتا وأجعل شعبها رعايا تحت حكم مصر فان الملكة ستأخذنى معها إلى طيبة لتبدأ فى بناء مقبرتين .. إنها تقول ان الأمر لا يقبل التأخير .. بل إنها بدأت بالفعل فى عمل التصميمات الهندسية لهذه المقبرة .. لقد رسمت تصميمات ورسومات مخيفة لم أفهم منها شيئا عندما عرضتها أمامى .. وعليك أن تعرف يا صديقى كاكو ، أن بجوار هذه المقبرة ستعد مقبرة أخرى أصغر حجما وستخصصها لك أنت وزوجتك مريت رع !

عندئذ قال كاكو :

— وكيف تسمح لها بأن تفعل ذلك ؟ .. لقد كنت أميرا قويا عظيما .. ولكنك أصبحت الآن عبدا لامرأة .. أصبحت أقل قيمة من التراب الذى تدوس عليه بقدميها .. لماذا تصبر على كل ذلك ؟ .. لماذا لا تقتلها .. ؟ !

— لأنى لا أستطيع .. ألا تذكر كيف تحطمت الأعمدة الضخمة فى قاعة الاحتفالات .. وكيف مات الرجل الذى تجاسر على السخرية منها .. ؟

— إذن .. فليس أمامك إلا أن تستسلم لقدرك إلى أن يصبح قبرك معدا لاستقبالك !

وهنا قال الأمير :

— لا .. لن يحدث ذلك .. إن لدى خطة أخرى جئت لأحدثك فيها يا صديقى كاكو .. يجب أن تمارس سحرك لتقتلها .. لقد استخدمت سحرك لقتل أبيها .. فلماذا لا تستخدم نفس السحر لقتل الابنة .. هيا اصنع لها تمثالا من الشمع .. !

— إذا فعلت ذلك فلا يمكننى أن أصف لك كيف سيكون جزائى .. سوف أواجه موتا بطيئا مرعبا .. ومع ذلك إذا كنت تعرف حقيقة هذه الملكة فسوف تعرف انها لا يمكن أن تقتل !

— ماذا تقصد أيها الغبى ؟ .. مادامت مخلوقة من لحم ودم فمن الممكن قتلها بسهولة ..

— هذا صحيح إذا كانت مخلوقة فعلا من لحم ودم .. نعم .. من لحم ودم ..

وهنا اعترى الأمير غضب جامح ، وسحب سيفه وأوشك أن ينقض به وهو يصيح :

— ما كل هذه الألغاز أيها الساحر الشرير ؟

وارتمى كاكو راكعا على ركبتيه وتضرع إلى الأمير قائلا بصوت واهن مرتعش :

— أيها الأمير .. انى لا أستطيع .. لا أستطيع . إن ذلك من أسرار الآلهة .. !

وأوشك الأمير ان يهوى بسيفه وقال :

— إذن .. فلتذهب إلى الآلهة أيها الكلب الكذاب .. !

وهنا صاح كاكو :

— انظر .. إن الملكة قادمة !

وسمع وقع خطوات تقترب .. وفتح باب الحجرة .. وظهرت أمامهما الملكة التى رأت الأمير آبى شاهرا سيفه .. فتساءلت :

— لماذا تشهر سيفك هكذا يا زوجى .. ؟ !

فأجاب الأمير فى غيظ :

— لكى أقتلك به يا زوجتى .. !!

وأخذ يسبها ويلعنها ويطلق عليها أسماء شريرة ..

وردت الملكة بصوتها الهادىء :

— انك تتكلم كثيرا ولا تفعل شيئا .. إن سيفك فى يدك .. هيا أرنى كيف تستخدمه !

وفى الحال انقض الأمير على الملكة بكل قوته ولكنه سقط على الأرض وكأنه قد اصطدم فى قوة خفية .. وقام من سقطته مستنداً على الحائط .. واندفع مرة أخرى نحو الملكة ولكنه سقط على الأرض كما سقط فى المرة الأولى ..

وابتسمت الملكة وقالت له :

— انك قاتل سىء بالرغم من تجربتك السابقة فى القتل . اعط السيف لكاكو ودعه يحاول أن يقتلنى .. !

فقال كاكو على الفور :

— يا صاحبة الجلالة .. أنت تعرفين انى أفضل الموت دون أن أرفع يدى ضدك .

— نعم إنى أعرف ذلك .. وأعرف أن الأمير آبى قد طلب منك أن تقتلنى بالسحر ولكنك رفضت لأسبابك الخاصة ..

وهنا سقط السيف من يد الأمير آبى ، وحل صمت عميق بالحجرة .. قطعته الملكة قائلة :

— قبل أن آتى إلى هنا .. سمعتك يا آبى وانت تحرض كاكو على

قتلى .. ولكنه رفض .. ولم يجسر على أن يقول لك السبب فى أنه لا يستطيع قتلى .. ولكن ما دمت ترغب فى معرفة هذا السبب ، فسوف أذكر لك الحقيقة .. انظر إلى يازوجى .. يا أيها الرجل البائس .. انظر إلى أيها العبد !

ونظر الرجلان إلى الملكة واصابهما الذهول .. وارتميا على وجهيهما وأخذا يصرخان فى خوف .. وبعد أن زالت من قلبيهما غشية الرعب .. وجدا الملكة فى حالتها الطبيعية .. جميلة رائعة الحسن .. وترفل فى بهاء العظمة الملكية ..

وضاح أبى متسائلا :

— من أنت ؟ .. هل أنت ملكة الموت ؟ .. أم أنت روح الملكة التى ماتت وجئت تريدين الانتقام منى .. ؟ !

وقالت الملكة :

— اسأل هذا الساحر .. إنى أسمح له الآن أن يخبرك من أنا ..

فقـال كاكو :

— انها الـ « كا » .. الروح القرين للملكة نترتوا .. لقد استطاعت الملكة أن تحرر وتطلق الـ « كا » الخاصة بها .. وها هى ذى قد جاءت لتنتقم من كل من أساء إليها وإلى أبيها .. إنها روح مثل الشبح ، ولكنها تمتلك قوة الآلهة !

وتساءل أبى :

— ولكن أين الملكة نترتوا الحقيقية ؟ .. هل ماتت .. ؟ !

وأجابت الملكة :

— لا .. لم تمت .. لقد ذهبت لتبحث عن رجل تحبه .. وسوف تعود مع هذا الرجل الذى سيصحب معه أحد الشحاذين .. وعندئذ سوف أختفى أنا وتبقى هى .. وفى نفس هذه اللحظة سيكون الموت مصيرا محتما على كل منكما .. وإلى أن تحين هذه اللحظة فإن عليكما أن تنفذا كل أوامرى .. !!

O—O

الفصـــل الثالث والعشـــرون

مركـب الإلـه آمـــون

ماذا حدث بعد أن ألقت الملكة نترتوا والسيدة آستى بنفسيهما فى النيل .. ؟

فى حالة بين النوم واليقظة .. تهيأ للملكة أنها تسمع الأصوات الرتيبة المنتظمة لمجاديف سفينة تشق طريقها فوق سطح المياه .. وخيل إليها أنها تحلم وهى نائمة فى غرفتها بالقصر الملكى فى طيبة .

ولكنها أخذت تتذكر ما مر بها من أحداث شيئا فشيئا .. تذكرت أنها غادرت طيبة منذ شهور مضت وأن آخر مدينة مصرية زارتها كانت مدينة منف حيث وقعت أحداث مرعبة : مصرع أبيها الفرعون .. والمعركة الدموية .. وحياتها كسجينة فى برج المعبد .. واستحضار وظهور الـ « كا » الخاصة بها .. وتذكرت أخيرا كيف وقفت على حافة النافذة وكيف ألقت بنفسها فى النيل ..

وخيل إليها أن كل ذلك قد مضى وانتهى .. وأنها الآن ميتة .. !

ولكن كيف تكون ميتة وهى تسمع صوت ضربات المجاديف فوق سطح المياه ؟ .. ورويدا رويدا بدأت تعود إلى وعيها الكامل ، وفتحت عينيها ، فوجدت نفسها راقدة على سرير بداخل خيمة من الستائر الحريرية الرقيقة .. وبجانبها كانت ترقد آستى ..

فهمست لها الملكة :

— آستى .. هل تسمعينى .. ؟ !

فأجابتها آستى وقد بدأت تفيق :

— نعم .. أسمعك يا سيدتى .. ولكن أين نحن .. ؟

— أعتقد أننا فى العالم السفلى يا آستى !

— كيف نكون فى العالم السفلى يا سيدتى ونحن نرى بأعيننا ونسمع بآذاننا ونشعر بأجسامنا وكامل حواسنا .. فلنقم لنرى أين نحن !

وقامتا .. وفتحتا الستائر الحريرية .. وعرفتا أنهما بالفعل فوق ظهر سفينة .. ولكنها أجمل سفينة فى العالم كله .. كانت جميع أجزائها مكسوة بالذهب والفضة .. وكان المجدفون على كل جانب من جانبى السفينة يجدفون بانتظام وهم يرتدون ملابس بيضاء نظيفة .. وفى مؤخرة السفينة كان يقف رجل طويل القامة .. ولكنهما لم يستطيعا رؤية ملامح وجهه .. وخلف هذا الرجل ظهر القمر بكامل بهائه .. وظهر مجرى نهر عريض واسع ذى مياه فضية .. وظهرت على ضفافه أشجار سامقة وأبراج معابد عالية ..

فقالت نترتوا :

— يبدو اننا فى مركب الإله آمون الذى يحملنا إلى مملكة الموتى وراء الشمس !

وأغمضت عينيها واستغرقت فى النوم من جديد .. ولكنها عندما أفاقت مرة ثانية كانت الشمس ساطعة وتملأ السماء بنورها .. ووجدت آستى جالسة إلى جانبها وأمامها مائدة زاخرة بأطايب الطعام والشراب .. وتساءلت نترتوا :

— أخبرينى بما يحدث لنا يا آستى .. وفى أى عالم نحن الآن .

فأجابت آستى :

— أعتقد يا سيدتى أننا فى عالم خاص بنا .. وهذا المركب ليس مركبا حقيقيا .. إنه روح مركب عظيم تسيره الأرواح وترشده .. دعينا نأكل هذا الطعام الطيب فنحن نشعر بالجوع .. وليكن بعد ذلك ما يكون ..

وأكلتا حتى شبعتا .. ثم خرجتا من الخيمة ذات الستائر الحريرية إلى سطح المركب .. لقد اختفى المجدفون واختفت المجاديف .. ونشرت أشرعة عريضة بنفسجية اللون تبرق فى نور

الشمس ويملأها نسيم لطيف .. ولم يعد المركب يشق طريقه الآن في مجرى النهر .. بل كان يسير في قناة مستقيمة طويلة تحف بها رمال الصحراء من الجانبين .. ونظرت آستي إلى تلك الصحراء وقالت :

— أعتقد أني أعرف هذه القناة .. لقد أبحرت فيها عندما كنت طفلة صغيرة .. إنها تخرج من مدينة بوبسطس وتؤدى إلى البحر العظيم .

— ربما كان معنى ذلك اننا مازلنا أحياء ونعيش في عالم حقيقي .. نادى على قائد السفينة واسأليه إلى أين يقودنا !

ونادت آستي على قائد السفينة .. ولكن لم يبدو عليه إطلاقا أنه يراها أو يسمعها ..

وعادت الملكة وآستي إلى خيمتهما ذات الستائر الحريرية بعد أن اشتدت حرارة الشمس .. وجلستا ترقبان الروابى والوديان الصحراوية التى تمر عليها السفينة إلى أن أوشكت الشمس على المغيب .. وعندئذ خرجتا إلى سطح السفينة مرة أخرى .

ولم يكن هناك جديد .. فعادتا وتناولتا عشاءهما واستغرقتا في نوم عميق ..

وأيقظهما بعد ذلك نور الصباح المبهر .. ولاحظتا أن الخيمة ذات الستائر الحريرية قد اختفت وحلت محلها حجرة صغيرة مصنوعة من الخشب .. وأن السفينة أصبحت تمخر الآن عباب البحر العريض الواسع .. وأن الأرض قد اختفت تماما .

ولأن أيا منهما لم تسافر في البحر من قبل ، فقد انتابهما شعور غريب .. وأصبحتا تنامان طول الوقت .. ولا تأكلان إلا أقل الطعام .. ومرت عليهما وهما في تلك الحال ثلاثة أيام وليال متعاقبة ..

وفي النهاية .. وقبيل مغيب الشمس واختفائها وراء الأفق .. شعرتا بأن الأمواج قد هدأت وأصبحت السفينة سابحة فوق مياه هادئة ساكنة .. فخرجتا إلى السطح ليعرفا ما حدث .. .

كانت السفينة قد خرجت من البحر ودخلت إلى مصب نهر عظيم واسع .. تظهر على شاطئيه أشجار ضخمة تتحرك بين جذورها مئات من التماسيح !

وظهر المجدفون ذوو الملابس البيضاء مرة أخرى وهم يجدفون ويوجهون السفينة إلى داخل النهر ، حتى وصلت فى النهاية إلى شاطىء رملى منبسط ، وهناك توقفت السفينة عن الحركة ..

فى تلك اللحظة ظهر رجلان وقد أخفى كل منهما وجهه .. وكانا يحملان سلتين ..

وبدأت آستى فى الحديث معهما وتوجه إليهما بعض الأسئلة .. ولكن الرجلين لم يجيبا بشىء كما لو كانا أبكمين لا يسمعان ولا ينطقان .. إلا أنهما أخذا يشيران إلى نيران متوهجة فوق صخرة عالية .. وقالت آستى :

— انهما يطلبان منا أن نغادر السفينة .. هيا بنا نجرب حظنا .. !

وتبعتا الرجلين إلى جانب السفينة المواجه للشاطىء حيث وجدتا معبرا مصنوعا من ألواح الخشب يصل ما بين السفينة وأرض الشاطىء .. وقام الرجلان بتسليمهما السلتين اللتين كانا يحملانهما ..

وما أن وصلت الملكة وآستى إلى الأرض حتى استدارت السفينة إلى الخلف وأقلعت ..

وقالت آستى :

— دعينا نذهب إلى تلك النار لنرى ما سوف يحدث لنا !

وسارت الاثنتان تجاه الصخرة العالية وجلستا قرب النار المشتعلة .. وكانت بالقرب منهما كميات كبيرة من الأخشاب والحطب تكفى لاستمرار النار متوهجة دائما .. ووجدتا أيضا بعض الأغطية الدافئة لتحميهما من لسعات البرد ..

وعندما فتحت آستى السلتين .. وجدت فى إحداهما بعض الأطعمة .. ووجدت آلة هارب موسيقية فى السلة الثانية .. فاندهشت نترتوا وقالت :

— انها آلة الهارب التى أهداها إلى آمير كوش .. لقد تركتها فى طيبة .. فكيف جاءت إلى هنا .. ؟ !

وازدادت دهشتها عندما وجدت فى نفس السلة آلافا من اللآلىء ملضومة فى خيوط من حرير .. !

وقالت نترتوا وهى تتأمل فى تلك اللآلىء :

— بالتأكيد ليست هناك أى ملكة فى هذا العالم تمتلك مثل هذه اللآلىء الثمينة الجميلة .. ولكن ما فائدة اللآلىء وما فائدة الهارب فى مثل هذه الغابة الموحشة ؟ !

وقالت آستى :

— سوف نعرف كل شىء فى حينه .. وعلينا الآن أن نوجه صلوات الشكر للآلهة على عطاياها .

وبعد الصلاة .. تناولتا بعض الطعام ورقدتا جوار النار تتأهبان للاستغراق فى النوم .. وفى تلك اللحظة حدث شىء مخيف مفزع ..

بدت الغابة الموحشة كما لو كانت قد استيقظت فجأة .. وترددت فى أرجائها أصوات حيوانات متوحشة .. اختلط فيها زئير الأسود مع أصوات الوحوش الأخرى التى تعيش فى النهر وفى البر .. ولمعت عيون صفراء خلال الظلام .. وظهرت زواحف ضخمة تتلوى على الرمال .. وتكسرت فروع الشجيرات تحت أقدام وحش هائل له قرن وحيد فى أعلى رأسه .. وعندئذ قالت نترتوا :

— لقد حانت نهايتنا .. !

ولكن آستى أسرعت بإلقاء المزيد من الأخشاب والحطب فازدادت النيران توهجا .. وقالت للملكة :

— سيدتى .. اعزفى على الهارب وغنى !!

وأمسكت نترتوا بآلة الهارب وعزفت على أوتارها .. ثم بدأت الغناء واستغرقت فيه حتى نسيت كل شىء ..

وعندما انتهت الملكة من غنائها .. كانت كل الوحوش قد اختفت .. !

الفصـــل الرابع والعشـــرون

الشحـــاذ

أشرقت الشمس بعد أن استيقظت كل من الملكة وآستى من نوم خاطف .. وتوجهت الاثنتان نحو النهر حيث شربتا واغتسلتا .. وكان الضباب كثيفا ، ومع ذلك فقد حاولتا البحث عن مكان السفينة ، ولكنهما لم يجدا لها أى أثر ، فعادتا إلى مكانهما قرب النار ، وفتحت آستى سلتها وأخرجت بعض الطعام للإفطار ..

وبعد أن فرغتا من تناول الإفطار ، قالت الملكة :

— هيا بنا يا مربيتى العزيزة .. لقد حان الوقت لنرحل عن هذا المكان .. ولكننا لا نستطيع أن نسير صعودا مع النهر أو هبوطا مع مجراه .. إن شواطىء هذا النهر مغمورة بطين كثيف ولا يمكن السير عليها .. وليس أمامنا سوى أن نَتجه صوب الغابة ونخترقها .. ولنتضرع إلى الآلهة لترشدنا إلى الطريق خلالها !

ووضعت كل منهما سلتها على رأسها .. تماما مثلما تفعل نساء الشعب فى مصر ، وعلقت نفر توا آلة الهارب خلف ظهرها ، ودخلتا إلى الغابة .

ومرت الساعات ساعة تلو ساعة ، وهما تسيران بصعوبة بين جذوع الأشجار الكثيفة الضخمة .. وبالرغم من صعوبة تحديد الاتجاه داخل الغابة ، إلا أنهما حافظتا على الاتجاه دائما نحو الجنوب ..

كانتا تريان القرود وهى تقفز وتجرى فوق الأغصان العليا بقمم الأشجار .. وبين حين وآخر كانتا تلمحان بعض وحوش الغابة وهى تسعى لاقتناص فرائسها ..

وأخيرا قلت كثافة الأشجار الضخمة وتباعدت عن بعضها .. ثم ظهرت مجموعات متباعدة من الشجيرات والأشجار القصيرة .. إلى أن وصلنا فى النهاية إلى حافة صحراء رملية مترامية الأطراف ..

ومع ذلك فقد واصلنا المسير فوق الرمال .. ومر وقت طويل حتى وصلنا إلى بقعة خضراء صغيرة تحيط بعين صغيرة يتدفق منها الماء .. وهناك شربنا حتى ارتوينا وجلسنا نستريحان .. وأخذتهما سنة من النوم ..

وفجأة هبت نتر توا مستيقظة بعد أن تناهى إلى سمعها صوت بجانبها .. وعندما فتحت عينيها وجدت أمامها رجلا عجوزا يتعكز على عصا .. كان طاعنا فى السن وله مظهر غريب .. ويتدلى شعر رأسه الأشيب فوق كتفيه .. كما يتدلى شعر لحيته ويصل إلى بطنه .. وبالرغم من أن الزمن قد أحنى ظهره إلا أنه كان يبدو طويل القامة !

وسألته الملكة نتر توا :

— من أين جئت ؟ .. وماذا تريد منا .. ؟ !

فأجابها بصوت عميق هادىء :

— جئت من الصحراء .. فهذه الصحراء هى بيتى وملاذى .. وأنا أعيش وحيدا بعد أن مات كل أصدقائى وكل أبنائى .. إنى لم أذق طعاما منذ ثلاثة أيام .. وقد شممت رائحة طعامكما من بعيد فجئت إليكما لتجودا على بشىء منه .

— مرحبا بك ! .. ما اسمك ؟ !

— إسمى كابر .

— ها هو الطعام يا كابر فى هذه السلة .. فكل ما شئت !

وعلى الفور جلس العجوز وبدأ يلتهم الطعام التهاما من شدة ما كان يبدو عليه من ملامح الجوع .

وعندئذ همست آستى فى أذن الملكة :

— سيدتى .. هذا الرجل سيأكل طعامنا كله ..
— دعيه يأكل ما يشاء فهو ضيفنا وواجب علينا أن نكرمه .
— ولكننا بعد ذلك سنموت من الجوع ..
— ليحدث ما يحدث يا مربيتى العزيزة .. يكفينا أننا أنقذنا هذا العجوز الفقير من الموت جوعا .. !

واغرورقت عينا الملكة بقطرات من الدموع حين تذكرت ما كانت تعانيه من قرصة الجوع وآلامه عندما كانت سجينة فى البرج .

وواصل العجوز التهام الطعام حتى أكله كله دون أن يبقى منه شيئا .. وقال بعد أن رفع يده معبرا عن الشكر :

— شكرا لك .. إن ملكة مصر نفسها لا تستطيع أن تولم لى أفضل من هذه المأدبة الملكية .. !

ثم عاد وسألهما :

— هل تعرفان آلام الجوع حين يصبح أعظم أمل للإنسان أن يحصل على كسرة خبز يبعد بها عن نفسه شبح الموت .. والآن .. قولا لى من أين جئتما .. ؟ !

أجابت آستى على الفور :

— هذه هى سيدة مصر وأنا مربيتها .. وقد قبض علينا بعض اللصوص حين كنا نتنزه على شاطىء النيل .. وحملونا فى مركبهم حتى وصلوا بنا إلى هذا النهر الذى يجرى وراء الصحراء وخلف الغابة .. وعندما وقف المركب بجانب الشاطىء ، هربنا أثناء الليل ، وظللنا نجرى ونبتعد حتى جئنا إلى هنا ..

هز كابر رأسه وقال بصوته الهادىء :

— هاه .. انى أتعجب .. كيف لم يلاحقكما هؤلاء اللصوص الذين هربتما منهم ؟ .. كنت أظن أنكما سيدتان أخريان .. فقد رأيت فى الحلم ليلة أمس روحا طيبة قالت لى : فلتبحث فى الصحراء عن سيدة اسمها آستى وسوف تجد معها سيدة أخرى !!

وعندئذ علت الدهشة وجه آستى ، وندت عنها شهقة سريعة ..

وواصل العجوز حديثه :

— خلال حياتى الطويلة .. عرفت أن الناس كثيرا ما يظهرون بغير حقيقتهم .. ومع ذلك دعينا نوقف الكلام فى هذا الموضوع .. والآن أخبرينى .. ما اسم هذه السيدة الصغيرة التى تصحبينها .. ؟

قالت أستى :

— اسمها نفرت .. !!

— نفرت ؟ ! .. لا أعتقد أن ذلك هو الإسم التى ذكرته لى الروح الطيبة حين جاءتنى فى الحلم .. والآن .. بعد أن فررتما من اللصوص .. أعتقد أنكما قد أخذتما معكما بعض الأشياء .. آلة الهارب هذه .. وهذه السلة أيضا التى كانت تحملها السيدة الصغيرة .. هل عرفتما يا ترى ماذا تحتويه هذه السلة ؟

عندئذ أجابت نترتوا بصدق :

— نعم .. انها ملآنة باللآلىء !

فقال العجوز :

— هاه .. هل يمكن أن أراها ؟

فوضعت نترتوا السلة أمامه وفتحتها .. فأخرج العجوز اللآلىء كلها وأخذ يفحصها بين أصابعه ويقربها من أنفه ويشمها ويلمسها بلسانه .. وبعد أن انتهى من ذلك كله قال متعجبا :

— من الغريب أن اللصوص لم يتعقبوكما أثناء الفرار وأنتما تحملان سلة ملآنة بتلك اللآلىء الثمينة التى تكفى لشراء مملكة بأكملها .. !

وقالت نترتوا :

— وماذا تفيد كل هذه اللآلىء .. اننا لا نستطيع أن نأكلها .. !

— بالطبع فاللآلىء نفسها لا تؤكل .. ولكن باللآلىء يمكن شراء الطعام !

— شراء الطعام ؟ ! .. من هنا ؟ ! من هذه الصحراء الخالية .. ؟ !

— كلا بالطبع .. ولكن هناك مدينة ليست بعيدة عن هنا .. !

فتساءلت نترتوا فى لهجة :

— هل هى مدينة نباتا .. ؟ !

— لا .. اسمها مدينة تات .. وهى قريبة من هنا .. ولكن الطريق إليها متعرج فى دروب الصحراء ، ويمر بموطن قبائل من المتوحشين .. !

— خذنا إلى هذه المدينة يا كابر ودلنا على الطريق إذا كنت تعرفه ..

— نعم أعرفه .. وسوف أصحبكما إلى هناك .. وعلينا أن نبدأ الرحيل فورا ..

وساروا فى دروب الصحراء ساعات طويلة حتى أوشكت الشمس على المغيب .. إلى أن وصلوا فى النهاية إلى تل رملى مرتفع .. ومن فوق قمة هذا التل رأوا واديا أخضر ، تتوسطه مدينة تحيط بها الأسوار ..

وقادهما كابر إلى ظلة من الأشجار على حافة الحقول التى تحيط بالمدينة خارج أسوارها .. وطلب منهما أن تستريحا هنا من عناء الرحلة . وقال لهما :

— انتظرانى هنا .. وأرخيا البراقع على وجهيكما .. وإذا جاء أحد وسألكما من أنتما .. فقولا له أنكما مغنيتان متجولتان فقيرتان .. وأنكما تستريحان قليلا من عناء رحلة طويلة .. والآن .. أعطيانى لؤلؤة صغيرة أبيعها فى المدينة وأشترى لكما بيتا تعيشان فيه .. !

وبعد أن أعطته نترتوا إحدى اللآلىء ، بدأ فى السير بخطى سريعة تجاه المدينة ..

ولأن نترتوا وآستى كانتا مرهقتين من عناء الرحلة ، فقد

استندت كل منهما إلى جذع شجرة واستغرقت فى النوم ، إلى أن استيقظا على صوت كابر وقد عاد ومعه رجلان من السود .. وقال لهما :

— هيا بنا يا صديقتى .. لقد وجدت لكما بيتا طيبا .. !

واعتلى الجميع ظهور الحمير واتجهوا صوب أسوار المدينة وبوابتها الرئيسية .. وبكلمة واحدة قالها كابر فتحت البوابة ودخلوا إلى المدينة .. وساروا فى طريق مستقيم إلى أن وصلوا إلى بيت تحيط به حديقة مسورة .

ولاحظت كل من نترتوا وآستى أن البيت لطيف من الداخل ومطقم بأثاث جيد .. وكانت هناك مائدة حافلة بالطعام الطيب الجاهز .. فأكلتا حتى شبعتا .. ثم توجهتا إلى حجرة النوم ..

O—O

الفصل الخامس والعشرون

فى مدينـــة تـــات

وعندما استيقظت نتر توا وآستي في الصباح الباكر وجدتا مجموعة من الملابس الجميلة الجديدة .. وارتدت كل منهما ما راق لها .. وقام مجموعة من الخدم بإعداد مائدة الإفطار وتجهيزها بما لذ وطاب .

وبينما كانتا تتناولان الطعام حدث شيء غريب .. لقد ظهر كابر أمامهما فجاة دون أن يدخل من باب أو يسمع لقدومه صوت . وركزت آستي عينيها عليه لعلها تتبين كنهه الحقيقي . وسألته مستفسرة :

— كيف جئت يا صديقي إلى هنا دون أن نسمع صوتا لقدومك .. إن الـ « كا » لا تستطيع أن تتحرك دون صوت مثلما فعلت .. ثم اين ظلك يا صديقي ؟ .. إني لا أرى لك ظلا .. !

ونظر كابر إلى ضوء الشمس الساقط عليه .. ونظر إلى الأرض نحو المكان الذى لابد أن يكون ظله فيه .. ثم قال بصوته العميق الهادىء :

— آه .. يبدو أنى قد نسيت ظلى .. إن عجوزا فقيرا مثلى لا يشغل نفسه بأن يكون له ظل أو لا يكون .. ومع ذلك أنظرى .. ها هو ظلى يظهر أمامك الآن ! .. والآن أخبرينى بما تعرفينه عن الـ « كا » أو الروح القرين لكل إنسان .. لقد سمعت عن امرأة فى مصر .. إسمها آستى .. تماما مثل إسمك بالمصادفة .. وسمعت أنها قادرة على رؤية الـ « كا » الخاصة بأى إنسان .. بل وتستطيع أن تستحضر هذه الـ « كا » إلى خارج جسم صاحبها .. وسمعت أيضا أنها استطاعت أيضا أن تستخرج الـ « كا » من جسم ملكة مصر ، ولم يعد أحد يمكنه أن يفرق بين مظهر هذه الـ « كا » والمظهر

الحقيقى للملكة .. وأن هذه الـ « كا » التى منحها أمون للملكة عند مولدها ، تقوم الآن بلا رحمة بتنفيذ عقاب الآلهة على كل من أساءوا إليها ودبروا لها الشر .. ألم تسمعى يا صديقتى آستى بمثل هذه الأقاويل حين كنت بمصر .. ؟ !

وركز عينيه فى عينى آستى ، وركزت آستى عينيها فى عينيه .. ورفع كابر يديه وحركها بإشارات غريبة فأحنت آستى رأسها .. وساد الصمت .. وشعرت نتر توا بالخوف بعد أن استمعت إلى ما دار بين آستى وكابر من حديث غريب .. فقد خشيت أن تكتشف فى النهاية حقيقة أمرها وأخذت تفكر فيما سوف يكون عليه الحال إذا عرف الناس هنا انها ملكة مصر .. !

وجاهدت نتر توا لتخفى خوفها .. وقالت لكابر :

— مرحبا بك يا كابر سواء أكان لك ظل أم نسيت أن تحضره معك .. والحق أننا مدينتان لك بالشكر لأنك وجدت لنا هذا البيت اللطيف .. وزودته بالخدم والطعام .. هل تريد أن تأكل شيئا .. ؟

قال كابر مبتسما :

— لا .. فأنا لا آكل إلا نادرا .. مرة كل ثلاثة أيام .. إن الحياة قصيرة ولا أحب أن أضيع وقتى فى تناول الطعام .

— هل لك أن تخبرنا أيها الأب كابر كيف سنعيش فى هذه المدينة ؟ !

— ألم أخبركما بذلك من قبل ؟ .. على أية حال ستكون آستى بائعة متجولة للآلىء وبعض الأشياء الأخرى .. وستكونين أنت مغنية متجولة تعزف على الهارب .. ولكن عندما تنشدين أغنياتك لابد أن يكون وجهك مختفيا ببرقع وتغنين من وراء ستار .. ففى هذه المدينة لابد أن تخفى جمالك عن أعين الناس ، خصوصا أعين الملك حاكم هذه المدينة .. والآن .. اعطيانى لؤلؤتين لأبيعهما واشترى لكما كل الأشياء التى تحتاجانها .. فربما لا تريانى بعد ذلك لمدة طويلة .. ولكن إذا حدثت لكما المتاعب فاذهبى إلى أقرب نافذة فى أى مكان تكونين .. واضربى أوتار الهارب .. ونادى على باسمى

ثلاث مرات : كابر .. كابر .. كابر !! .. ومما لا شك فيه أن أحدا سيسمع هذا النداء وسيبلغنى به فى الصحراء حيث أعيش ..

كانت نتر توا تنصت بامعان إلى كلماته .. وفى النهاية قالت نتر توا فى امتنان :

— إنى أشكرك يا كابر على كل شىء .. وسوف أذكر كلماتك دائما .. ولكن لو سمحت لى هناك سؤال أخير : كيف يتسنى لرجل عجوز .. ..

— .. رجل عجوز بائس يلبس ثيابا مهلهلة مثلى أن يقدم إليكما المساعدة والنجدة .. أليس هذا ما تريدين أن تقوليه بالضبط ؟ .. لا تحكمى على الأمور بظاهرها .. فربما يكون النبيذ الجيد محفوظا فى إناء ردىء !

وهزت نتر توا رأسها مصدقة على كلماته ونصائحه .. وواصل كابر حديثه :

— الآن أقول لكما وداعا .. سوف أذهب لأبيع اللؤلؤتين وأرسل لكما ما تحتاجانه .. وتذكرا كلماتى جيدا .. ولا تغادرا هذه المدينة أبدا قبل سقوط الأمطار على قمم الجبال وتمتلىء الآبار .. وداعا يا سيدتى .. وداعا يا صديقتى آستى .. وعندما نتقابل مرة ثانية فى المستقبل سنتحدث سويا عن الـ « كا » وأسرارها .. وحتى يحين هذا اللقاء فليحفظكما آمون إله مصر الأكبر من كل شر ومن كل سوء .. !!

واستدار وذهب ..

عندئذ تساءلت نتر توا :

— من هو هذا الرجل ؟ !

فأجابت آستى :

— رجل ؟ ! .. إنى أعتقد انه شبح .. بل وقد يكون إلها .. !

— أياكان هو ، فقد أحببته واعتبرته صديقا وفيا لنا ..

— سنعرف إذا كان صديقا وفيا عندما ينتهى دوره معنا ..

وظلت نتر توا وآستى أكثر من ساعة وهما تتحدثان عن هذا

العجوز كابر .. ولم تتوقفا عن هذا الحديث إلا بعد أن شاهدتا مجموعة من الرجال الحمالين يحملون على رؤوسهم وأكتافهم سلالا كثيرة مملوءة بالحرير ومشغولات الذهب والفضة وقطع الجلود والمشغولات النحاسية ..

وبعد أن وضع الحمالون أحمالهم داخل البيت ، ظهر رجل يمتطى حصانا أبيض ، وانحنى أمام الستائر المسدلة التى تختفى وراءها نتر توا وأستى وألقى على الأرض رسالة مكتوبة على لفافة صغيرة من البردى .. وأسرع بالانصراف .

تناولت نتر توا الرسالة وفتحتها فوجدتها وثيقة بأن البيت وكل هذه الأشياء قد أصبحت ملكا لهما .. وفى آخر الوثيقة قرأت جملة تقول : « قبضت ثمنا للبيت وكل هذه الأشياء عبارة عن ثلاث لآلىء ووجبة طعام جيدة » .. ووقعت هذه الجملة بخاتم كابر وكان على شكل جعران يمسك بقرص الشمس بين قدميه الأماميتين .

وعلقت أستى على ذلك بقولها :

— إذا كانت ثلاث لآلىء صغيرة قد اشتريت بها كل هذه الأشياء .. فكيف ستكون قيمة اللآلىء الكبيرة .. هيا بنا نبدأ العمل .. !

O—O

الفصل السادس والعشرون

نتر توا وملك مدينة تات

لم يمر وقت طويل حتى أصبحت نتر توا وآستى أشهر تاجرتين فى مدينة تات .

ولمدة ساعة واحدة فى كل صباح وساعة واحدة أخرى فى كل عصر ، كانت آستى تبيع بضائعها لكل من يريد الشراء .. وكانت تخفى وجهها أثناء ذلك بنقاب ثقيل .

وبعد العصر فى كل يوم كانت نتر توا تبدأ الغناء والعزف على الهارب .. وكانت تخفى وجهها هى الأخرى وتغنى من وراء ستار .. وبالرغم من ذلك فقد كان الناس يتجمعون ليسمعوا شدوها الجميل .. وحينئذ كان يتعذر السير فى الطريق المواجه للبيت من شدة ازدحام السامعين .

وشاعت شهرة هاتين التاجرتين فى كل أرجاء المدينة ، واتسعت أعمالهما وانهمرت عليهما الأرباح حتى أصبحت لديهما كميات كبيرة من الذهب لا تدريان ماذا ستفعلان بها ..

وكانتا لا تغادرات البيت أبدا .. وتكتفيان بالنزهة فى الحديقة الملحقة بالبيت ، بالرغم من أن المدينة كانت تبدو آمنة مسالمة .. ربما لأنها كانت خالية من اللصوص .. وربما لأن الناس كانوا يعتقدون أن هاتين التاجرتين تعيشان فى حماية بعض الآلهة ..

ومن طول بقائهما فى البيت لا تغادراه .. أصبحتا تفكران فى كيفية الخروج سالمتين من تلك المدينة ..

فى تلك الأثناء كان يانيس ملك مدينة تات غائبا عن المدينة بعد أن خرج للحرب ضد أحد الملوك المجاورين ، وقد استمرت هذه الحرب لأسابيع طوال . وعندما عاد الملك يانيس منتصرا أراد أن يقيم احتفالا كبيرا على شرف هذا النصر ..

وأخبره بعض رجال البلاط المقربين إليه بأمر هاتين المرأتين اللتين تبيعان اللآلىء .. وكان الملك يريد أن يشترى لنفسه بعض اللآلىء والمجوهرات ليتزين بها أثناء اشتراكه فى احتفالات النصر .. ولذلك فقد تخفى الملك فى زى أحد أفراد الشعب العاديين وتوجه إلى البيت الذى تعيش فيه تاجرتا اللآلىء ..

كان الملك قد وصل متأخرا بعد انتهاء الساعة التى كانت تخصصها آستى للبيع فى فترة الصباح .. وبعد أن أمرت آستى الخدم بأن يغلقوا صناديق البضائع بدأت نتر توا فى العزف على آلة الهارب وشرعت فى الغناء كعادتها فى كل صباح بعد انتهاء الساعة المخصصة للبيع والتجارة .

وقف الملك مشدوها وهو يستمع إلى العزف الموسيقى الرائع والغناء العذب والصوت الجميل .. وتاه الملك فى سحر النغم لدرجة أنه نسى أمر اللآلىء التى كان قد جاء ليشتريها .

وبعد انتهاء نتر توا من الغناء .. تقدم الملك المتخفى إلى آستى وقال لها :

— أريد أن أشترى بعض اللآلىء !

فقالت آستى :

— لقد انتهت الساعة التى أخصصها للبيع فى كل صباح .. وعليك أن تحضر فى العصر إذا كنت حقا تريد الشراء .

— ولكنى أريد الشراء الآن .

— حتى ولو كنت ملك مدينة تات ، فلن أبيعك لآلىء بعد انتهاء مواعيد العمل ..

فقال الملك يا نيس غاضبا :

— انك تقولين كلمات ضخمة ومتعالية !

فأجابته آستى بحزم :

— متعالية أو غير متعالية .. فهذا هو بالفعل ما أقصده .. لن أبيع اللآلىء إلا فى الساعة التى أخصصها للعمل عصر هذا اليوم ..

واضطر يانيس إلى الانصراف .. وعاد متخفيا مرة أخرى فى فترة العصر .. وكانت تدفعه الرغبة فى الاستماع إلى الموسيقى والغناء أكثر من رغبته فى شراء اللآلىء.

واستقبلته آستى وعرضت عليه مجموعة من اللآلىء .. ولكنه رفضها وقال أنه يطلب شراء لآلىء أكبر حجما .. فاحضرت إليه آستى بعض اللآلىء الأكبر حجما .. ولكنها لم تعجبه أيضا .. وعندئذ أحضرت آستى إليه لؤلؤتين من أكبر اللآلىء لديها .. كل لؤلؤة منهما كانت فى حجم عقلة إصبع الرجل .. !

زاغت عينا الملك يانيس عندما شاهد هاتين اللؤلؤتين اللتين لم ير فى مثل ضخامتهما لآلىء من قبل .. وسأل آستى عن ثمنهما فقالت له أنه ثمن قد لا يستطيع أن يدفعه لأنهما لؤلؤتان نادرتان ولا يوجد مثلهما فى هذا العالم .. وحددت الثمن بكمية ضخمة من الذهب جعلت الملك يفغر فاه من شدة الدهشة وقـــال :

— لابد أنك تمزحين .. وتقبلين بالتأكيد ثمنا أقل !

فقالت آستى بثقة :

— هذا موضوع لا يقبل المزاح .. وانى جادة فيما أقول .. ولن أقبل ثمنا أقل مما حددته .

اعترى الغضب وجه الملك يانيس وصاح قائلا :

— لابد أن تعرفى إذن أنى ملك مدينة تات .. وأنى أستطيع أن آخذ منك كل لآلئك دون أن أدفع ثمنا .. !

فردت عليه آستى ببرود :

— إذا أخذت اللآلىء دون أن تدفع ثمنها فلن تكون عندئذ ملك مدينة تات .. وإنما ملك اللصوص !

ضج جميع من سمعوا هذا الرد بالضحك ، واضطر الملك أيضا أن يشارك فى هذا الضحك .. واستمرت المفاوضات بينه وبين آستى حول تحديد ثمن اللؤلؤتين .. ولكن قبل أن تنتهى هذه المفاوضات بين الطرفين ، حان الوقت الذى تبدأ فيه نترتوا

بالعزف والغناء . وهنا حسم يانيس موضوع الثمن وقال لآستي :

— غدا سأرسل إليك الثمن الذى تطلبينه والآن دعيني أستمع إلى هذا العزف الجميل وهذا الصوت الشجي الذى لا يقدر بثمن !

كان يستمع إلى الغناء وهو مبهور .. وأخذ يقترب خطوة خطوة إلى حيث علقت الستارة التى تغنى نترتوا وراءها .. وأخيرا أمسك بأطراف تلك الستارة ، وتظاهر بمرض مفاجيء وسقط على الأرض ، وانخلعت الستارة من مكانها .. وفى لمح البصر اختفت نترتوا .. !

وعندما قام يانيس من سقطته المفتعلة تقدم إلى آستي وسألها :

— هل هذه الفتاة جاريتك ؟

فأجابت آستي على الفور :

— هذه السيدة هى ابنتي .. ولم يكن لك حق فى التجسس عليها .. هذا سلوك سيىء للغاية !

وفاجأها الملك يانيس قائلا :

— انى أريد أن آخذها زوجة لى .. وسوف تصبح ملكة .. وسوف أعطيك من الذهب أضعاف ما اتفقنا عليه ثمنا للؤلؤتين .. !

وقالت آستي دون اهتمام :

— كثير من الملوك عرضوا الزواج منها .. وعرضوا أضعاف أضعاف ما تعرضه من الذهب .. ولكنها لا تقبل الزواج منك ولا من ملوك غيرك .. !

وأوشك الملك على أن يهم بضربها ، ولكنه تماسك وقال فى غيظ :

— هذه إجابة جافة وعنيفة على سؤال بسيط وطبيعى .. ولأن أحدا فى هذه المدينة لا يعرف من أنتما بالضبط وما هى حقيقة أمركما .. ولا يعرف أيضا من أى مكان جئتما .. فسوف يكون لى معكما حديث آخر .. فى صباح الغد !

وانطلق منصرفا بسرعة ..

وبحثت آستى عن نتر توا فوجدتها فى الحديقة ، وأخبرتها بما دار بينها وبين يانيس ملك مدينة تات .. وقالت نتر توا معلقة على ذلك :

— إنى أرغب فى استدعاء كابر لينقذنا .. فأنا أشعر بأن المتاعب بدأت تحيط بنا .. لقد كرهت يانيس هذا أكثر مما كرهت الأمير آبى وأمير كوش من قبل ..

وقالت آستى :

— أعتقد أن من الأفضل أن نهرب إلى الصحراء ونبحث عن كابر هناك .. فإنى على يقين من أن الملك يانيس سيدبر لنا كثيرا من المتاعب ..

ووافقتها نتر توا على ذلك .. وذهبت إلى بعض خادمات البيت وسألتهن عما يدور فى الخارج ، ثم عادت مسرعة إلى آستى وقالت لها :

— يبدو أنه لم تعد هناك فائدة .. إن الجنود يحيطون بالبيت من كل جانب .. وقد حاولت بعض الخادمات الخروج فمنعهن الجنود من ذلك وأعادوهن إلى داخل البيت قائلين أن الملك قد أصدر أوامره بمحاصرة البيت وعدم السماح لأحد بالخروج منه أو الدخول إليه ..

ومرت لحظات من الصمت والتفكير ، قطعتها نتر توا بقولها :

— هل أقوم الآن بالعزف على أوتار الهارب وأنادى على كابر ثلاث مرات ليحضر وينقذنا مما نحن فيه ..

— لا .. ليس الآن يا سيدتى .. فقد يمر هذا الخطر ونتغلب عليه .. وعندئذ سيغضب منك كابر لأنك استدعيته دون سبب .. هيا بنا الآن نتناول طعامنا !

وقبل أن ينتهيا من تناول الطعام سمعتا ضجة بخارج الحجرة ، ثم ظهر أمامهما رجلان عجوزان من رجال الملك يتوج الشعر الأشيب رأس كل منهما ..

وقال أحدهما :

— سيدتى .. لقد أمر ملك المدينة بأن نصحبكما إلى قصره ومعكما كل ما لديكما من خدم وكل ما تمتلكانه من لآلىء وذهب ومجوهرات .. إن الملك يريد أن يتحدث معكما ..

فقالت آستى :

— مادام ليس لنا خيار فى ذلك .. فسوف نذهب معكما إلى قصر الملك !

وأرخت كل منهما النقاب على وجهها .. وخرجتا مع رجال الملك .. وبعد أن دخلتا إلى القصر وأغلقت البوابات .. ووصلتا فى النهاية إلى قاعة واسعة وشاهدتا الخدم وهم يضعون كل ممتلكاتهما على أرض القاعة . وعندئذ همست نترتوا لآستى :

— هل أضرب أوتار الهارب وأستدعى كابر ليحضر الآن ؟ !

فقالت آستى تطمئنها :

— لم يحن الوقت بعد لكى نضطر إلى طلب النجدة .. دعينا نرى ما سوف تؤول إليه الأمور ..

كان هناك حوض واسع مبنيا من الحجر وممتلئا بالماء يتوسط تلك القاعة .. وعلى طرف هذا الحوض وقفت نترتوا وآستى .. وجاء ملك مدينة تلت ووقف عند الطرف المقابل ..

انحنى الملك أمام نترتوا وقال :

— سيدتى .. لقد قالت لنا خادمتك أن اسمك نفرت .. وأنك سيدة مصر .. وحيث انى لا أعرف حتى الآن ما هو إسمك الحقيقى ، فإنى سأكتفى باستخدام إسم نفرت .. وأرجو أن تعذرينى فى هذا الإجراء الذى اتخذته .. إن عذرى هو انى للأسف لم أجد أى إجراء آخر غيره .. وأنا لا أريد بكما شرا ولا أذى .. بل إنى أعرض عليك نصف مملكتى .. أريد أن أتزوجك وتصبحين ملكتى !

وعندئذ قالت نترتوا :

— أيها الملك يانيس .. أى روح شريرة تلك التى تقمصتك وجعلتك ترغب فى الزواج من مغنية متجولة وتجعلها ملكة .. دعنى

اذهب لأترك هذا الشرف لمن هى أجدر به منى .. أرسل إلى أبى الذى يحكم مصر الآن واطلب منه أن يزوجك إحدى بناته .. أو ارسل إلى ملك كوش تسأله عما إذا كان لديه إبنة لزواجك .. ولكن دع هذه المغنية المتجولة تذهب إلى حال سبيلها .. !

قال الملك :

— ان هذه المغنية المتجولة الفقيرة تمتلك من اللآلىء إذا بيعت فانها تشترى هذه المملكة كلها ،، وتمتلك آلة هارب موسيقية موشاة بتاج مصر المصنوع من الذهب الخالص .. وتمتلك من الجمال أكثر مما كانت تمتلكه الأميرات من بنات الملوك القدماء .. وتمتلك علامة على صدرها يعتبرونها فى أرض النيل علامة مقدسة .. وانى أشكرك على تحذيرك لى .. ومازلت مصرا على الزواج بك !

قالت نترتوا معتذرة ببرود :

— هذا شرف كبير ولكنه لن يحدث .. إنى أحب رجلا آخر .. ولن أتزوج أحدا غيره !

فقال الملك كما لو كان يريد أن يحسم الأمر :

— لا تنطقى باسم هذا الرجل وإلا قتلته على الفور ! .. لقد قلت إنى أريد أن أتزوجك وأجعلك ملكة .. وسوف أعطيك ثلاثة أيام لتفكرى فى الأمر .. فإذا لم توافقى على رغبتى ، سأستولى عليك بالقوة وتصبحين جاريتى !!

اشتد الغضب بنترتوا فقالت متحدية إياه بصوت مرتفع :

— إذن فلتعلم الحقيقة أيها الملك .. إنك تعتقد أنى سيدة عظيمة .. وأنت على حق فى ذلك .. ولكن لابد أن تعلم أيضا أن الآلهة تحمينى وتمنحنى قدرة هائلة .. فإذا لم تدعنى أذهب إلى حال سبيلى .. فسوف أصب عليك غضب الآلهة !

وقال الملك يانيس متحديا :

— أمامك ثلاثة أيام لتفكرى .. ولعلك تستجيبين إلى ما قلته لك !

وهنا تدخلت آستى وقالت :

— لا أيها الملك .. لن تستجيب لك أبدا .. وإذا كنت تريد أن تعرف نهاية كل ذلك .. فإنى أمتلك قوى السحر وأستطيع أن أجعلك ترى النهاية بنفسك !

فقال الملك :

— إذا كانت لديك خدعة .. أرينى إياها !

— سوف أجعلك ترى النهاية .. ولا تلمنى إذا كانت هذه النهاية لا تعجبك .. أو إذا رأيت مالا يسرك .. قف حيث انت .. وانظر إلى سطح الماء فى هذا الحوض لترى النهاية بنفسك !

والتفتت آستى نحو نترتوا وقالت لها :

— اعزفى على الهارب .. وانشدى الأغنية المقدسة التى علمتك إياها .. ودعينى أصلى للآلهة .. !

وركعت آستى إلى جوار الحوض المملوء بالماء ومدت يديها فوق سطح الماء وهى تتلو صلواتها .. وبدأت نترتوا فى العزف والغناء بنغمات عذبة وبطيئة وقورة .. ولكنها جعلت الدماء تتجمد كالثلج فى عروق الملك الذى انحنى بوجهه نحو سطح الماء ليرى ما يحدث ..

ظهر له فى البداية ضباب كثيف .. ثم بدأ هذا الضباب ينقشع ببطء .. وظهرت صورة واضحة المعالم .. رأى الملك صورته وهو يرقد ميتا عارى الجسد وسط قاعة قصره التى دمرتها نيران حريق هائل .. ولم يكن هناك أحد جوار جثة الملك سوى كلبه الذى ظهر فاتحا فمه كما لو كان مستغرقا فى النباح ..

وتلاشت هذه الصورة تماما بمجرد أن انتهت كلمات الأغنية التى كانت تنشدها نترتوا بعذوبة . وعندئذ هب الملك يانيس منتصبا وابعد عينيه عن سطح الماء . وقال مهددا آستى :

— أيتها الساحرة الشريرة .. لولا انك ضيفة على لأمرت بقتلك هذه الليلة عقابا لك على هذه الخدعة التى خدعتنى بها !

فقالت آستى :

— إنى لا أعرف ماذا رأيت .. وربما كان خيالا أو غير حقيقى .. والآن دعنا لننام أيها الملك فنحن مجهدتان ونريد أن نحصل على شىء من الراحة .. ودع المستقبل يأخذ مجراه الذى حددته الآلهة .. !

وتركهما الملك وخرج ..

وعندئذ قالت نترتوا :

— ماذا رأى على سطح المياه يا آستى .. إنى لم أر شيئا .. ؟ !

أجابت آستى :

— اعتقد انه رأى خيالا لرجل ميت .. يبدو يا نترتوا أن الرجال الذين يحبونك سيئو الحظ ولهم مصير تعس ونهاية مؤلمة !

فقالت نترتوا بسرعة :

— هذا ليس صحيحا .. فهل انا التى قتلت أمير كوش .. وهل انا التى جعلت الملك يانيس يرى نهايته بنفسه .. إن هؤلاء الرجال يتعرضون إلى هذا المصير لأنهم يستخدمون قوتهم ضدنا ويريدون ان يوقعوا بنا الشر ..

واتجهت نترتوا إلى أقرب نافذة واطلت منها وهى تمسك بآلة الهارب .. وضربت أوتار الهرب ونادت : كابر .. كابر .. كابر ! .. وامتلأت الأرض والسماء بأصداء هذا النداء .. !!

O—O

الفصل السابع والعشرون

الملك والشحاذ

حان موعد انتهاء مهلة الأيام الثلاثة التى حددها الملك لنترتوا لكى تبت فى أمر نفسها .. وكانت نترتوا وآستى تطلان من نافذة الحجرة التى حددت فيها إقامتهما بداخل القصر الملكى .. وتريان قاعة العرش وقد جلس الملك ليحكم بالقضاء بين شعبه ..

كان القلق باديا فى صوت نترتوا وهى تقول :

— فى عصر هذا اليوم سيحضر إلينا يانيس لينفذ تهديده .. وليست هناك أية علامة تدل على حضور كابر .. ولم يرسل الإله آمون أية إشارة تدل على أنه قد استجاب لصلواتى .. اخبرينى يا آستى ماذا على أن أفعله !

قالت آستى بلا تردد :

— ثقى بالآلهة !

— إنى أثق بهم جميعا .. ولكنى مندهشة من تلاحق كل هذه الأحداث التى وقعت منذ خروجنا من مدينة منف .. وتزداد دهشتى حين أتخيل الـ « كا » الخاصة بى وقد تركناها هناك لتنتقم من أبى .. ليتنى أمتلك « كا » أخرى لتنقذنى من يانيس ! .. إنه أوشك أن ينتهى الآن من مجلس حكمه .. وها هو يقوم من مجلسه ليحضر إلينا .. ولكن انظرى يا آستى من ذا الذى جاء أخيرا .. أنظرى !!

ظهر عبر الممر رجل عجوز طويل القامة وله لحية طويلة بيضاء ويسير متوكئا على عصا .. وقد أغمض عينيه كما لو كان يريد أن يتقى ضوء الشمس ..

وتقدم نحوه بعض الجنود يريدون إيقافه ، ولكنه رفع عصاه فى

الهواء فإذا بهم ينقلبون على ظهورهم كأن قوة سحرية خفية قد قذفت بهم .. وواصل العجوز سيره نحو العرش ، ووقف أمامه مستندا على عصاه ..

وعندئذ قال الملك ياتيس :

— من هذا الرجل الذى يقف أمام الملك دون أن ينحنى احتراما وإجلالا .. ؟ !

قـال كابر :

— هل أنت الملك إذن ؟ .. أعذرنى لأنى لا أرى جيدا .. لقد ظننت أنك مجرد إنسان عادى مثلى ولكن ثيابك أفخم من ثيابى .. قل لى ما هو إحساسك وانت تشعر بأنك ملك .. هل تحس بالأمل والعناء والخوف من الموت .. وهل تعرف طعم الحزن واليأس مثل الناس العاديين .. ؟ !

فقال الملك فى غضب :

— وهل تظن أيها الغبى أنى جالس هنا لأجيب على أسئلتك البلهاء ؟ .. أخرجوا هذا الرجل من هنا فلدى عمل أريد أن أفعله !

وعلى الفور قفز عليه بعض الجنود يريدون القبض عليه ، ولكن كابر لوح بعصاه فى الهواء فسقط هؤلاء الجنود على ظهورهم . وقال كابر :

— حقا لديك عمل أيها الملك .. ولكنه ليس عملا من أعمال الحكم .. هو عمل يتعلق بسيدة تعيش فى هذه الحجرة .

قال كابر ذلك وهو يشير إلى نافذة الحجرة التى تطل منها نتر توا واستى .. ثم واصل حديثه :

— إن الوقت الذى حددته كمهلة لها لم يحن بعد .. إذ عليك الانتظار إلى ما بعد العصر .. وعليك الآن أن تستمع إلى ..

وتساءل الملك يانيس فى دهشة :

— ولكن ماذا تعرف عن هذه السيدة ؟ !

— إنى أبوها .. وقد جئت لأخبرك بأن الدماء التى تجرى فى

عروقنا أعرق كثيرا من الدماء التى تجرى فى عروقك .. ولأخبرك كذلك بأنى لا أوافق على زواجك منها .. وهى أيضا لا يمكنها أن توافق على الزواج منك !

ضحك بعض الموجودين بالقاعة ، ولكن يانيس لم يشاركهم هذا الضحك ، بل صاح وهو ينتفض من شدة الغضب :

— أخرجوا هذا الرجل المجنون من هنا .. أخرجوه واقطعوا لسانه !!

وهجم عليه الحراس مرة أخرى ولكن صوته انطلق كالرعد قائلا :

— إياكم أن يلمسنى أحد منكم باصبعه .. إنكم لا تعرفون من أنا .. يا يانيس .. يا من تدعو نفسك ملكا .. استمع إلى أوامر ملك أعظم منك شأنا وأعلى قدرا .. ملك عرشه فوق الشمس .. استمع جيدا .. فقبل ظلام هذا الليل ، عليك أن تطلق سراح العذراء التى تحتبسها .. وتطلق سراح السيدة الأخرى التى معها .. وعليك أن ترد إليهما كل ممتلكاتهما .. وأن توصلهما حتى البوابة الجنوبية لهذه المدينة .. وإياك أن تلحق بهما أى أذى .. !!

— لن أسمع كلام هذا الملك الذى يثير السخرية .. !

— إياك أن تسخر منه .. وتذكر ما رأيته مرسوما على سطح الماء .. تذكر النهاية التى شاهدتها بنفسك !

— هذه كانت خدعة من ساحرة مصرية .. ويبدو أنك ساعدتها على ذلك .. والآن أغرب عن وجهى وخذ معك خدعك السحرية .. هذه الليلة سأستولى على هذه السيدة وأجعلها جاريتى !

عندئذ قال كابر كلماته الأخيرة :

— إذن فلتسمع يا يانيس ما سوف يؤول إليه قدرك ومصيرك .. هذه الليلة هى ليلة موتك .. وسوف تأخذ معك الكثيرين من شعبك إلى العالم السفلى المظلم .. وغدا سوف يجلس على عرش بلادك ملك جديد ليس من بيتك ولا من أسرتك ..

وتوقف كابر عن الكلام واستدار إلى الخلف وانصرف بخطوات بطيئة دون أن يجسر أحد على إيقافه أو على التقدم نحوه وكأن قوة خفية قد ألجمت الجميع وأفقدتهم السيطرة على أنفسهم .

ولكن الملك يانيس استطاع أن يصيح فى النهاية :

— أحضروا هذا الساحر إلى هنا واقتلوه .. وعندما أسرع بعض الجنود لتنفيذ أوامر الملك كان كابر قد اختفى عن الأنظار .. وقالت امرأة أنها شاهدته فى مكان .. وقال طفل أنه شاهده فى مكان آخر .. وقال بعض العبيد أنهم فروا من أمامه بعد أن رأوه يسير دون أن يكون له ظل .. وأخيرا قال حراس البوابة الجنوبية للمدينة أنهم شاهدوه وهو يفلت من البوابة قبل أن يقفلوها .. وأنه اختفى وسط عاصفة من الرمال .. !

وقبل أن تختفى الشمس وراء أفق الغرب ذهب الملك إلى الحجرة التى خصصها لكل من نتر توا وآستى .. وكانت مصابيح الحجرة مضاءة كلها ، وأغلقت جميع نوافذها لأن عاصفة قوية كانت تهب بعنف فى الخارج وملأت الهواء بذرات التراب والرمال .

وكانت نتر توا وآستى واقفتين تنتظرانه .. وبمجرد أن دخل يانيس إلى الحجرة ووقف أمامهما .

قال لنتر توا يسألها :

— لقد انتهت المهلة .. وأنا الآن أنتظر إجابتك !

قالت نتر توا :

— اسمع أيها الملك ! .. اسمعنى لأجل صالحك .. إن لدى أصدقاء فى الأرض وفى السماء .. وقد زارك اليوم أحدهم حين كنت جالسا فى قاعة العرش .. أبعد هذا الجنون عن عقلك واتركنى لحالى .. فأنا أريد صالحك ولا أريد أن ألحق بك أذى أو شرا .. !

قال الملك ساخرا وبصوت بارد :

— أيتها السيدة .. أوقفى هذه التهديدات الغبية فأنا مازلت منتظرا إجابتك !

عندئذ قالت نترتوا تحذره :

— أيها الملك .. للمرة الأخيرة أطلب منك أن تكون حكيما عاقلاً .. إنك تظن أنى أقول الأكاذيب لأنقذ نفسى .. إن الأمر ليس كذلك .. وأنا أريد أن أنقذك !

ونزعت نترتوا النقاب عن وجهها ، وكشفت صدرها لتريه العلامة المقدسة وقالت :

— أنظر إلى هذه العلامة المقدسة .. هل يمكنك أن توقع الأذى بسيدة تحمل هذه العلامة ؟ !

أجاب يانيس بلا مبالاة :

— لقد سمعت أن السيدة التى تحمل هذه العلامة قد ولدت فى طيبة من أب غريب وغير طبيعى .. وأن هذه السيدة قد أصبحت ملكة على مصر .. فكيف جاءت هذه السيدة إلى هنا ؟

— إن ما سمعته هو الحق بعينه .. والآن عليك أن تدع ابنة هذا الأب الغريب غير الطبيعى لتخرج من هذه المدينة ..

— إنك لست ابنة هذا الأب .. لقد جاءنى رجل آخر وادعى أنه أبوك وأنك ابنته .. هذا الرجل العجوز الشحاذ .. دعك من هذا الهراء واسمعى كلامى .. هل تريدين أن تصبحى ملكتى أم أنادى على جوارى قصرى ليقتلن هذه المرأة الساحرة التى تقف بجانبك غرقا أمام عينيك ثم آخذك أسيرة وأضمك إلى تلك الجوارى ..

وهنا لم تعد نترتوا راغبة فى استمرار الحديث معه .. وصرخت «أستى فى وجهه متحدية :

— إذن .. نادى على جواريك أيها الملك .. !

وصاح يانيس بدوره :

— يا جوارى القصر الملكى ! .. تعالين وتفذن أوامرى .. !

وفتح باب الحجرة .. ودخل منه كابر الذى لم يكن مرتديا ملابسه المهلهلة هذه المرة ، بل كان يرتدى رداء أبيض .. ودخلت خلفه مجموعة من الجنود الأشداء يرفعون سيوفا حمراء .. جنود ذوو

لحى طويلة ووجوه سوداء فاحمة ويتدرعون بدرع من الذهب .. جنود لا يعرفون شيئا عن الخوف أو الرحمة ..

وعندما رفع الملك يانيس سيفه ، أحاط به هؤلاء الجنود وحاصروه من كل جانب ، واتجهت أنظارهم إلى كابر ينتظرون ما يأمر به ..

عندئذ تقدمت نتر توا إلى كابر وسألته أن يعفو عنه إذا كان ذلك ممكنا .. ولكن كابر أجابها :

— لقد فات الوقت .. إن الذين لا يستجيبون إلى تحذيرات الآلهة يستحقون العقاب ..

والتفت كابر إلى يانيس وقال :

— إن قصرك قد أضرمت فيه النيران .. وكل الرجال الذين كانوا حولك قد ماتوا وانتهى أمرهم .. وغدا سوف يجلس على عرش بلادك ملك جديد ..

وهنا أشار كابر إلى كل من نتر توا وآستى لكى تتبعاه .. وسار إلى الخارج .. وكانت الاثنتان تتبعان خطواته خطوة خطوة .. ولكنه اختفى من أمامهما فجأة .. وظلتا تسيران وحدهما .. وعبرتا باب القاعة الكبرى .. وهبطتا درجات السلالم .. وخرجتا من البوابة الرئيسية للقصر ..

وطوال هذا الطريق كله .. لم يكن هناك شىء سوى الموت والدمار .. !

O—O

الفصل الثامن والعشرون

لقاء بين نتر توا ورعمس

أخيرا .. وصلت نتر توا وآستى إلى الميدان الفسيح الذى يقع أمام القصر .. وعندما نظرتا إلى الخلف ، شاهدتا النيران العالية وهى تأكل القصر وتلتهمه التهاما ..

وفى طرف الميدان وجدتا جملين قويين مجهزين للركوب ، فركبت كل منهما فوق ظهر جمل .. ونهض الجملان استعدادا للسير .. وبدأت رحلة طويلة تجاه الصحراء دون أن تعرف إحداهما إلى أين تنتهى تلك الرحلة التى استمرت طول الليل .. وبالرغم من أن النوم كان يداعب أجفانهما بين حين وآخر ، إلا أنهما ظلتا شبه مستيقظتين إلى أن لاح فى الأفق نور الصباح ..

برك الجملان .. ونزلت نتر توا وآستى .. ونظرتا حولهما فى دهشة .. كان المكان عبارة عن واحة خضراء صغيرة فى قلب الصحراء .. وكانت هناك مجموعة كبيرة من الجنود الصحراويين الأشداء .. وصحبهما قائد هذا الجيش إلى خيمة صغيرة أعدت لهما .. وبداخل تلك الخيمة وجدتا آلة الهارب وجميع ممتلكاتهما من الذهب واللآلىء .. !

وتحت ظلال النخيل قرب الخيمة ، كان كابر واقفا وقد انحنى أمامه قادة جيوش الصحراء .. يستمعون إلى ما يلقيه إليهم من أوامر .. ثم تقدم كابر بعد ذلك إلى الخيمة ، وخاطب نتر توا وآستى قائلا :

— لقد حان الآن وقت رحيلى .. وسأترككما فى حراسة هذا الجيش الصحراوى فلا تخافا من شىء أيا كان .. إن هذا الجيش وقادته سيصبحون خدما لكما طوال الرحلة التى ستقومان بها الآن إلى مدينة نباتا .. وهى رحلة طويلة شاقة ومضنية .. وسيحرسكما

هذا الجيش طوال الطريق خلال دروب الصحراء ووديانها وحتى بوابة المدينة الرئيسية .. وليس عليكما إلا أن تحسنا الظن بهذا الجيش وقادته .. وإذا حدثت لكما أية متاعب أو تعرضتما للخطر فعليك أن تضربي أوتار الهارب وتنادى على باسمى ثلاث مرات كما تعرفين .

ووعدهما كاير .. وانصرف وسط صفوف الضباط والقادة الذين ظلوا منحنين احتراما له حتى اختفى .. وكان القائد الأعلى للجيش الصحراوى واقفا إلى جوار آستى ، فسألته :

— من هو هذا الرجل .. ؟ !

أجاب القائد الأعلى للجيش :

— لن أستطيع أن أقول لك من هو يا سيدتى .. ولكنه منذ قديم الأزل وهو سيد الصحراء وكل ما يعيش فيها من مخلوقات .. وبكلمة واحدة منه تهب عواصف الرمال .. وبكلمة أخرى تنبع الينابيع وتتدفق المياه من العيون وتمتلىء الآبار .. وبإرادته تزداد القبائل قوة وعظمة أو تباد بعض القبائل عن آخرها .. إننا نعتقد أنه روح عظيم .. !

فأجابت آستى مصدقة على كلامه :

— شكرا لك .. أنا أيضا أعتقد انه روح عظيم .. عظيم لدرجة انى لا أستطيع أن أذكر اسمه !!

وبدأت الرحلة الشاقة الطويلة نحو الجنوب ..

ومرت أسابيع كثيرة وشهور طوال ، والرحلة نحو الجنوب لا تتوقف فى الطريق إلا طلبا للراحة .. كما حدثت بعض المتاعب عندما هاجمهم رجال التلال فانبرى لهم جنود الجيش الصحراوى وانتصروا عليهم .. وتعرضوا للهجوم مرة أخرى من جانب بعض القبائل الصحراوية المعادية ، ووقعت معركة كبيرة انتهت بهزيمة هذه القبائل هزيمة منكرة .

وأثناء الطريق أيضا ، اضطرت القافلة أن تتوقف لمدة طويلة

قاربت الشهرين وذلك انتظارا لسقوط المطر .. ثم عاودت القافلة السير الحثيث نحو الجنوب بعد أن سقط المطر وحصلوا على الماء .. واخترقت القافلة آفاق الصحراء التى تبدو مترامية ولا حدود لها ..

وفى إحدى الأمسيات وصلت القافلة إلى قمة تل مرتفع ، وهناك أقام الجنود معسكرا لقضاء فترة الليل حتى الصباح .

وعند انبلاج أول شعاع من نور الفجر ، خرجت نتر توا وآستى من خيمتهما وأطلتا على الوادى من فوق قمة التل .. وهناك شاهدتا نهر النيل العظيم .. وشاهدتا الأسطح والأطراف العليا من بيوت ومعابد مدينة نباتا .. !

كانت فرحتهما عارمة بطبيعة الحال عند رؤيتهما لهذه المدينة وهى تتألق فى أشعة الشمس الحمراء التى تملأ بها أفق السماء قبل أن تشرق ..

وتقدم إليهما القائد الأعلى للجيش الصحراوى وانحنى أمامهما احتراما وتحية وقـــال :

— سيدتى ! .. لقد انتهى الآن دورنا .. ونفذنا جميع الأوامر التى تليقناها من كابر .. ونحن لا نستطيع أن نقترب من أسوار مدينة نباتا أكثر من ذلك ، لأننا مازلنا فى حالة حرب مع هذه المدينة .. لقد أدينا مهمتنا على خير وجه .. ونريد الآن أن نعود إلى أوطاننا .. !

وردت نتر توا على كلمات القائد الأعلى قائلة :

— إنى أشكرك أنت وجيشك على ما قمتم به من واجب .. عودوا الآن إلى أوطانكم وأسركم .. وسوف تمنحكم الآلهة كل جزاء طيب .. ولكن قبل أن ترحلوا لكم عندى هدية ..

ومنحتهم كل كميات الذهب التى ربحتها هى وآستى من أعمال التجارة والغناء فى مدينة تات .. واحتفظت نتر توا باللآلىء وكمية قليلة من الذهب ..

ووقفت نتر توا وآستى ترقبان الجيش الصحراوى وقد بدأ رحلة العودة مثيرا خلفه سحابات هائلة من ذرات التراب .. !

وبعد ذلك اتجهت نتر توا وآستى نحو شاطىء النيل .. وانضمتا إلى مجموعة من الناس كانوا يسيرون نحو بوابة المدينة .. وكانت بين هؤلاء الناس امرأة تقود ثلاثة من الحمير محملة بالخضراوات التى تنوى المرأة بيعها فى أسواق المدينة .. وتجاذبت تلك المرأة أطراف الحديث مع آستى وسألتها :

— من أين جئتما .. وماذا تعملان .. ؟

فأجابتها آستى :

— نحن قادمتان من مدينة مروى فى الجنوب .. ونحن مغنيتان متجولتان ونبيع اللآلىء ..

فقالت المرأة على الفور :

— هذا شىء طيب .. لقد جئتما إلى المكان الصحيح .. فإن أهالى نباتا مغرمون باللآلىء ولا يوجد بالمدينة إلا كمية قليلة من تلك اللآلىء .. كذلك فقد سمعت البعض يقولون أن الملك الشاب الذى يعيش فى المدينة ويحكم جميع بلاد كوش يحب الاستماع إلى الغناء .

فسألتها آستى متلهفة :

— ما اسم هذا الملك الشاب ؟ .. وأين ذهب الملك العجوز .. ؟ !

أجابتها المرأة وقد بدأت تشك فيما قالته لها آستى من قبل :

— يبدو أنكما لستما قادمتين من مدينة مروى كما تقولون .. ألم تسمعى هناك بأخبار ما وقع هنا من حوادث غيرت نظام الحكم فى نباتا وفى بلاد كوش كلها .. ؟ !

— لا .. أخبرينا بما حدث ..

— لقد مات الملك العجوز القديم .. وقام الضابط المصرى الذى أوفده فرعون مصر إلى هنا بدفن الملك بعد أن انتصر عليه فى معركة كبيرة حاسمة .. وكان هذا الضابط المصرى قد جاء على رأس قوة من الجيش المصرى .. يحملون معهم جثمان أمير كوش وولى

عهدها بعد أن قتله هذا الضابط المصرى-فى إحدى الاحتفالات فى مدينة طيبة .. لقد قيل أن هذا الضابط يحب ملكة مصر وأنه قتل الأمير لأنه تقدم إلى طلب الزواج منها .. وقد أوفد هذا الضابط إلى هنا ليقدم نفسه إلى ملك كوش ليحكم عليه بما يرى .. وقد اشتد غضب الملك عند سماعه لخبر مقتل ابنه وولى عهده .. فأمر الملك بشنق الضابط فورا .. وقال هذا الضابط الشجاع أنه مستعد للشنق إذا كان الملك يستطيع أن يشنقه .. وقامت معركة حامية بين جيش كوش بقيادة الملك وبين القوة العسكرية الصغيرة التى كان يقودها الضابط المصرى .. ولكن الكثيرين من جنود كوش انضموا إلى القوة المصرية لأنهم كانوا يكرهون قائدهم .. وانتصر المصريون فى النهاية .. وأصبح الضابط المصرى ملكا على كل بلاد كوش من أقصاها إلى أقصاها ..

وكررت آستى سؤالها للمرأة :

— ما اسم هذا الضابط المصرى الذى أصبح ملكا على كوش .. ؟ !

فقالت المرأة بفرح :

— انظرى .. لقد فتحت الآن بوابة المدينة .. !

ووجهت المرأة حميرها الثلاثة نحو بوابة المدينة وأسرعت بالدخول ..

ودخلت وراءها نترتوا وآستى .. وهكذا أصبحتا الآن فى مدينة نباتا .. وسارتا فى طريق مزين بالأشجار على الجانبين .. ويؤدى إلى ميدان واسع ظهر خلفه قصر فخم عظيم .. وهناك توقفتا لأنهما لا تعرفان إلى أين تذهبان ..

وفتحت بوابة القصر الكبرى ، وخرجت منها مجموعة من الفرسان ، ما أن شاهدتهم آستى حتى صاحت مندهشة :

— انظرى .. إن اسمك مكتوب على الدروع التى يحملها هؤلاء الفرسان ، ولقبك أيضا مكتوب تحت اسمك : ملكة مصر العليا ومصر السفلى .. وسيدة مدينة نباتا .. !!

وأجابت نترتوا وهى تشعر بكثير من الفخر والفرح :
— يبدو أن لى رعايا فى هذه المدينة !
وفى تلك اللحظات خرج من بوابة القصر فارس يرتدى ملابس فخمة ويمتطى حصانا مزينا بأطقم فاخرة .. وتساءلت نترتوا :
— ترى من يكون هذا الفارس .. ؟ !
فأجابتها آستى بثقة :
— قلبى يحدثنى انه ابنى رعمس !!
وبالفعل كان هذا الفارس هو رعمس بعينه .. ولكنه الآن أكبر سنا ويكتسى وجهه بملامح حزينة .. فقالت آستى :
— هل نخبره الآن من نحن ؟
وقالت نترتوا :
— لا .. ليس الآن وليس هنا .. إنه لن يصدقنا فى البداية .. كما أننا لا نستطيع أن نكشف النقاب عن وجهينا أمام كل هؤلاء الناس .. كذلك فإنى أريد أن أعرف بعض المعلومات أولا وقبل كل شىء .. دعيه يمر دون أن تحدثيه فى شىء .. !
واقترب رعمس من المكان الذى كانتا تقفان فيه .. ويبدو أن شيئا جذب نظره إليهما .. فألقى عليهما نظرة غير مبالية وواصل طريقه .. ثم ألقى نظرة ثانية وواصل طريقه .. أما النظرة الثالثة فلم يستطع أن يحيد بها .. وظلت عيناه متجهتين نحوهما .. إلى أن وقف بحصانه أمامهما مباشرة .. وكانت كل منهما فى تلك اللحظة جالسة على جملها البارك على الأرض .. وقال لهما :
— من انتما .. ومن أين حصلتما على هذين الجملين الرائعين .. ؟ !
أحنت نترتوا رأسها وأجابت آستى :
— نحن تاجرتان .. وتجيد إحدانا الغناء والعزف على آلة الهارب .. ولقد جئنا إلى هنا بعد أن علمنا أن اللآلىء نادرة فى مدينة نباتا .. ولدينا لآلىء كثيرة نريد أن نبيعها .. وقد سمعنا أن ملك هذه

المدينة يحب الغناء والموسيقى .. وزميلتى هذه تعملت الموسيقى فى طيبة .. ولكن قل لنا أولا : من أنت .. ؟ !

أجـاب رعمس :

— انا ضابط مصرى .. أحكم هذه البلاد الآن باسم ملكة مصر .. أو بالأحرى باسم فرعون مصر .. فقد أبلغنى جواسيسى بأن نجمة الصباح قد تزوجت الأمير آبى حاكم مدينة منف .. وأبلغونى كذلك بأن الملكة تعامل زوجها بقسوة .

قال رعمس ذلك وهو يبتسم بمرارة .. وقالت آستى :

— سيدى .. لقد غادرنا مدينة طيبة منذ وقت طويل ولا نعرف شيئا عن هذه الأخبار .. ولكن بما انك حاكم هذه المدينة فاننا نرجوك أن تدلنا على مكان آمن نأوى إليه .. وان تسمح لنا بأن نحضر إليك عصر هذا اليوم لنعرض عليك لآلئنا ولتستمع إلى غناء زميلتى وعزفها الموسيقى ..

فقال رعمس :

— إنى جندى .. ومن الأفضل لى أن أشترى السيوف والأسلحة بدلا من الحلى واللآلىء .. وأنا أعيش وحدى فى هذا القصر الذى لا توجد فيه امرأة واحدة .. ولكن لأنكما من أهل وطنى فسوف أحقق لكما كل ما تطلبان .. وأنا ذاهب الآن لأقوم بتدريب هؤلاء الفرسان على فنون القتال .. وسوف أعود بعد الظهر .. وتستطيعان بعد غروب الشمس أن تزورانى فى القصر لأرى اللآلىء وأسمع الموسيقى والأغانى ..

والتفت رعمس إلى أحد الفرسان وقال :

— أيها الضابط .. خذ هاتين السيدتين المصريتين إلى بيت الضيافة .. وعند الغروب إصحبهما إلى قصرى .. !

O—O

الفصل التاسع والعشرون

نترتوا تغنى

وقبيل مغيب الشمس ، ارتدت نترتوا ثوبا جميلا أبيض اللون وله أطراف بنفسجية .. كما لبست حول رقبتها عقدا من اللؤلؤ .. وغطت وجهها بالنقاب وحملت فى يدها آلة الهارب واستعدت .. أما آستى فقد ارتدت ثوبا أسود وغطت وجهها بنقاب أسود .

وفى الموعد المحدد بالضبط ، جاءهما الضابط المكلف باصطحابهما إلى القصر ، وقال بأدب بالغ :

— جئت لأصحبكما إلى القصر لمقابلة نائب الملكة !

اندهشت آستى وسألته :

— نائب الملكة ؟ ! .. كنت أظن أنه الملك .. !

فقال الضابط :

— إنه الملك بالفعل .. ولكنه يصر على أن يسمى نفسه : نائب الملكة نترتوا زوجة أبى إنه إصرار غريب مع أن فى استطاعته أن يسمى نفسه ملك بلاد كوش وينتهى الأمر !

وسار بهما الضابط إلى باب جانبى ، دخلوا منه إلى مجموعة من الممرات والقاعات .. وأثناء السير ، تعرفت نترتوا على ضباط مصريين كثيرين ممن تم اختيارهم لمصاحبة الجيش الذى قاده رعمس إلى بلاد كوش بناء على أمرها . ووصلوا أخيرا إلى حجرة صغيرة وطلب الضابط منهما أن يجلسا وينتظرا قليلا .

وبعد لحظات قصيرة دخل رعمس من باب الحجرة ، وكان يرتدى الزى الرسمى لضباط الجيش المصرى ، ولم يكن يرتدى أو يضع على ملابسه أية علامة أو إشارة أو شعار يدل على أنه ملك .. وذلك

فيما عدا الخاتم الملكى الذى يلبسه فى أحد أصابع يده اليمنى .. هذا الخاتم الذى أهدته نتر توا إليه ..

وكان يسير خلفه بعض الضباط الذين كان يتحدث معهم فى شئون الجيش .. وعندما شاهد نتر توا وآستى انحنى أمامهما بأدب واحترام وطلب منهما العفو إذا كانتا قد انتظرتاه لفترة طويلة .. وقال رعمس فى النهاية :

— والآن ماذا ستعرضان على أيتها السيدتين .. آه لقد تذكرت .. ستعرضان بعض اللآلىء .. أخشى ألا أستطيع أن أشترى منكما شيئا ، فأنا لا أتقاضى سوى مرتبى كضابط فى الجيش المصرى .. وعلى أية حال فإنى استطيع أن أدلكما على من فى إمكانه أن يشترى منكما اللآلىء الثمينة .

وعندما استمعت كل من نتر توا وآستى إلى كلمات هذا الشاب النبيل وتمتعتا برؤية وجهه وملامحه الفائقة النبل ، لم تستطع أى منهما أن تنبس بكلمة ، بل وأخذ قلب كل منهما يدق بشدة فى صدرها .. وأخيرا تمالكت آستى زمام نفسها وقالت :

— ربما كانت السيدة العظيمة زوجتك تريد أن تشترى شيئا من لآلئنا .. !

فقال رعمس بصوت غاضب :

— لقد قلت لكما من قبل .. ليس لى زوجة !

وهنا فتحت آستى صندوقا خشبيا جميلا ، وأخرجت منه تاجا مصنوعا كله من حبات اللؤلؤ على شكل التاج الملكى المصرى .. وكانتا قد صنعتاه بنفسيهما حين كانتا فى مدينة تات .. وقدمت آستى هذا التاج إليه ، فقال على الفور :

— هذا تاج جميل وثمين .. ولكن ليس لأحد الحق فى أن يلبسه فوق رأسه سوى ملكة مصر ..

— لا ياسيدى .. إن من حق زوجها أيضا أن يضع هذا التاج فوق رأسه .

ضحك رعمس بمرارة وقال :
— سيفقد هذا التاج جماله حين يوضع فوق رأس الأمير أبى !
فقالت آستى :
— وسيزداد هذا التاج جمالا لو أعطى للقائد الشجاع الذى انتصر على دولة كبيرة .. إذا كان يجرى فى عروقه دم ملكى .
نظر رعمس إلى السيدتين بعمق وحيرة ، ثم قال :
— إنك ياسيدتى تقولين كلمات غريبة .. ان لآلئكما ثمينة جدا ولا أستطيع أن أشتريها .. أغلقى صندوق جواهرك ، ودعى زميلتك تسمعنا صوتها .. أريد أن أستمتع بالأغانى المصرية القديمة !
قالت آستى :
— نرجو أن تقبل منا هذا التاج كهدية .. لقد صنعناه من أجلك أنت وسيكون مفيدا لك .. ان ثمن هذا التاج هو أن تسمح لنا بحرية التجارة فى هذه البلاد .. وإذا لم تقبل هديتنا فان ابنتى لن تغنى لك .
فقال رعمس ليحسم الأمر :
— إذن دعيه جانبا وسوف نتحدث فى شأنه فيما بعد .. ودعينى الآن أسمع الغناء والموسيقى !
وهنا وقفت نترتوا وأمسكت آلة الهارب وبدأت تلعب على أوتارها .. ومن خلف النقاب الذى تغطى به وجهها شدت بصوتها العذب الجميل اغنية قصيرة ولكنها فى غاية اللطف ..
وعندما انتهت الأغنية قال رعمس معجبا :
— أغنية فى غاية الجمال والروعة .. انها تثير فى نفسى أحلى ذكرياتى .. غنها لى مرة ثانية .. !
وفى هذه المرة غنت نترتوا بصوت أعلى وأكثر عمقا وقوة .. وهب رعمس واقفا من شدة الانفعال ووقع المشاعر التى جاشت فى صدره .. واستند على أحد الأعمدة واستغرق فى السماع .. لقد كانت هذه الأغنية هى نفس الأغنية التى شدت بها نجمة الصباح فى

نفس ليلة الاحتفال في طيبة والتي قتل فيها أماثل أمير كوش .. !

وظل رعمس يحملق في نتر توا أثناء الغناء ولم يستطع أن يبعد عينيه عنها .. وما أن انتهت نتر توا من الغناء حتى ارتمت جالسة على كرسيها ، وانزلقت آلة الهارب من يدها . وعندئذ أمسك رعمس آلة الهارب وأخذ يتفحصها .. ثم قال :

— من أين حصلت على هذه الآلة التي لا يوجد له مثيل آخر في هذا العالم ؟ .. لابد أنك سرقتها أيتها المرأة .. ولكن إذا كنت سرقت الهارب ، فكيف سرقت أيضا نفس الموسيقى ونفس الصوت العذب الجميل الرائع .. اعذريني يا سيدتي وسامحيني على هذا الظن السيىء .. هل تسمحين لي بأن أرى وجهك ؟ !

عندئذ فكت نتر توا طرفي النقاب ورفعته عن وجهها ، كما خلعت العباءة التي كانت تغطي زيها الذي كانت ترتديه باعتبارها ملكة مصر ..

وتلاقت العيون .. وأخذ كل منهما ينظر في وجه الآخر كما لو كان الأمر قد تحول إلى حلم جميل في منام هادىء ..

ومثلما يفيق الإنسان من حلمه الجميل ويعود إلى الأمر الواقع .. أفاق رعمس من حلمه واستعاد زمام نفسه وقال :

— أية خدعة هذه ؟ .. أمامي الآن نجمة الصباح ملكة مصر .. وهذه هي آلة الهارب التي أهداها إليها أمير كوش قبل أن أقتله بسيفي .. والصوت الذي سمعته هو نفس صوت الملكة .. والموسيقى موسيقاها والأغنية أغنيتها .. ومع ذلك فإني أعرف أن نجمة الصباح ملكة مصر هي الآن على بعد مئات الأميال تجلس على عرش مصر ومعها زوجها الأمير أبي .. لابد أنك ساحرة أيتها المرأة فاخرجي من أمامي وإلا أمرت الكهنة أن يقذفوا بك في نار حامية !

وهنا كشفت نتر توا عن صدرها ، وأرته علامة الحياة المقدسة وقالت :

— عندما يرى كهنة آمون هذه العلامة المقدسة ، هل تظن أنهم يجسرون على أن يلقوا بي في النار .. ؟ !

قــال رعمس :

— ان من تقول الأكاذيب مرة واحدة ، تستطيع أن تفعل ذلك عدة مرات .. وإن من استطاعت ان تسرق من الملكة جمالها وصوتها تستطيع أن تسرق ايضا علامة من علامات الآلهة !

فقالت نترتوا :

— إذن أجبني يارعمس .. هل سرقت هذا الخاتم الذى تلبسه فى أصبعك أم ان الملكة هى التى أهدته لك ؟ .. وهذا الإصبع الصغير المبتور من كف يدك الم يكن نتيجة لعضة تمساح البحيرة فى معبد طيبة ؟ !

وظل رعمس صامتا حائرا كما لو كان لا يريد أن يصدق شيئا .. وعندئذ قالت نترتوا لآستى :

— يا مربيتى العزيزة .. لقد فشلت فى إقناعه بأنى نجمة الصباح ملكة مصر .. حاولى أن تقنعيه أنت .. !

وأزاحت آستى النقاب عن وجهها ، فصاح رعمس من شدة الدهشة :

— أمى !! .. لقد أخبرونىّ بأنك قتلت فى مدينة منف !!

وقالت آسـتى :

— نعم يا ابنى .. أنا أمك .. وهذه هى نجمة الصباح ملكة مصر التى واجهت بشجاعة عظيمة طوال عامين كاملين أخطارا وأهوالا لا حد لها .. لأنها تحبك أنت .. فهل صدقت الآن كل شىء .. ؟ !

أجاب رعمس فى سعادة غامرة :

— نعم .. إنى أصدق كل شىء .. !

O—O

الفصـل الثـلاثـون

آستى تعطى أوامرها لـ « كا »

جلس الثلاثة نتر توا وآستى ورعمس يتحاكون ويتجاذبون أطراف الذكريات .. واستمع رعمس بدهشة إلى القصة التى روتها نتر توا وأمه آستى منذ استطاعتا الإفلات من الأمير آبى والهروب من مدينة منف .. وقالت آستى فى النهاية :

— هذه هى حكايتنا يا رعمس .. فاحك لنا ما حدث لك طوال هذه المدة !

قال رعمس :

— باختصار شديد لقد نفذت كل أوامر الملكة ، ورحلت بجيشى صعودا فى النيل حتى وصلت إلى هذه المدينة .. وأمر ملك كوش السابق بشنقى .. فدافعت عن نفسى ونشبت بيننا معركة حربية قتل فى أثنائها وانتصرت على جيشه نصرا مؤزرا .. وكان الملك مكروها من جيشه الذى انضم إلى قواتى ، ومكروها من الشعب الذى عرف أصلى ونصبونى ملكا على البلاد .. ومنذ تلك اللحظة وأنا أحاول تحقيق العدل وتنظيم الأمور فى تلك المملكة .. ولقد كان من المفروض أن أعود إلى مصر بعد تحقيق المهمة التى كلفتنى بها الملكة .. ولكن جواسيسى أخبرونى بما حدث فى مصر أثناء غيابى .. وعلمت أن الفرعون قد قتل .. وأن نجمة الصباح اضطرت إلى الزواج من الأمير آبى لتنقذ حياتها ولتستمر فى الاستمتاع بسلطاتها .. !

وهنا سألته نتر توا معاتبة :

— وهل صدقتهم يا رعمس ؟

فقال رعمس :

— ماذا كان فى وسعى غير أن أصدقهم .. لقد قالوا أنهم رأوك بنفسك .. وكيف لى أن أعرف أن ما رأوها كانت الـ « كا » الخاصة بك ولم تكن أنت بشخصك ؟ !

وقالت نترتوا :

— على أية حال فإن علينا الآن أن نفكر فى المستقبل .. ماذا سنصنع بعد ذلك ؟

وقال رعمس مبتسما :

— أقترح أن نتزوج أولا .. ثم نفكر فى المستقبل بعد ذلك ..

فقالت نترتوا مبتسمة أيضا :

— سنتزوج فى مكان مقدس وليس فى أى مكان آخر غيره .. سنتزوج فى معبد الإله آمون بطيبة عاصمة بلادى .. وعليك أولا أن تستعيد إلى عرشى .. ثم تقوم بعد ذلك بطلب يدى .

وقال رعمس بكل ثقة :

— سوف يحدث .. !

■ ■ ■

وبعد منتصف الليل ركعت كل من نترتوا وآستى على ركبتيها وبدأتا صلاة طويلة للإله آمون ..

وبعد انتهاء الصلاة وقفتا على أقدامهما ، ووضعت آستى يدها اليمنى فوق رأس نترتوا .. وتمتمت بتلك الكلمات السحرية التى لقنتها إياها روح الملكة آحورع ..

وحل صمت عميق فى أركان الغرفة ، يعقبه صوت خفيف لحفيف أجنحة .. وظهرت سحابة صغيرة من الدخان خلف المصباح .. وشيئا فشيئا بدأت تظهر فى وضوح معالم الـ « كا » الخاصة بالملكة نترتوا وهى ترتدى زى الملكات وتضع فوق رأسها تاجى مصر ، وتبرق عيناها ببريق ذكى لماع ..

سألتها أستى :

— كيف حال الأمير آبى ؟ .. وكيف تسير الأمور فى مصر .. ؟ !

وأجابت « كا » الملكة نتر توا :

— لقد جعلته يتعذب ويعانى طول الوقت ، ولم تمر عليه لحظة واحدة شعر فيها بشىء من السعادة .. أما بالنسبة لمصر فقد أصبحت الأمور فيها على خير ما يرام .. وعم الرخاء والعدل فى كل أرجاء البلاد .. لقد نفذت كل أوامرك وعملت بكل نصائحك .. وانا الآن أريد أن أستريح ! .. لقد تعبت .. !!

فقالت أستى :

— لم يحن بعد وقت راحتك أيتها الـ « كا » .. فما زال أمامك عمل عليك أن تؤديه .. عودى الآن إلى مصر .. وأخبرى الأمير آبى ومستشاريه بأن الضابط رعمس قد اعتلى عرش كوش ، وأعلن نفسه أيضا ملكا على مصر ، وأعلن كذلك أنه زوجك الشرعى لأن فرعون قد وافق على زواجه منك قبل أن يموت .. واقنعى آبى بأن يعد جيشا عظيما يكون هو قائده .. وأن يتجه هذا الجيش إلى الجنوب للقضاء على رعمس .. ولكن عليك قبل ذلك أن تتفقى سرا مع قادة وضباط هذا الجيش بأن ينقلبوا على الأمير آبى عندما يصل الجيش إلى بوابة مصر الجنوبية حيث يندفع النيل خلال صخور الجندل ، واقنعيهم بأن الفرعون قد وافق بالفعل على زواج ابنته نتر توا من رعمس .. وبأن الإله آمون غاضب على الأمير آبى بسبب كل ما ارتكبه من جرائم .. وبمجرد أن يصل الجيش المصرى إلى البوابة الجنوبية ، يكون دورك قد انتهى .. وستذهبى لتستريحى فى عالمك الخاص ..

وبعد أن استمعت « كا » نتر توا إلى هذه الكلمات ، قالت وهى تتأهب للطيران :

— سمعا وطاعة .. سانفذ كل أوامرك !

o—o

الفصل الحادى والثلاثون

حلم من مشهدين

في صباح اليوم التالى فى مدينة طيبة ..
كان أبى جالسا فى قاعة العرش غارقا فى الأعمال المرهقة المتعلقة بشئون حكم المملكة ..
وكان الفلكى كاكو جالسا إلى جواره ..

لقد تغير الاثنان كثيرا عن ذى قبل .. فقد أصبح أبى عجوزا سقيما يعانى الكآبة والتعاسة والتعب .. كما أصبح كاكو عجوزا هده كبر السن وترتعش خطواته عندما يسير على قدميه ..

وتساءل أبى :

— متى ينتهى عملنا أيها الوزير ؟

فأجاب كاكو :

— مازال أمامنا عمل كثير حتى فترة الظهر ، ثم عليك بعد ذلك أن ترأس مجلس الحكم .

— لا .. لن أترأس المجلس هذا اليوم .. ودع أعضاء المجلس ينصرفون عندما يجتمعون .. إنى أريد أن أذوق طعم الراحة التى حرمت منها تماما منذ أن أصبحت ملكا على مصر .. !

— سيدى .. هل نسيت أن الملكة هى التى أمرت بعقد هذا المجلس برئاستك هذه المرة .. ؟

— الملكة .. الملكة .. ليتنى لم أر هذه الملكة من قبل .. وليتنى لا أراها بعد الآن أبدا .. إنها ليست امرأة .. بل هى شيطانة ولها قلب من الثلج .. لقد طلبتنى ليلة الأمس وأخذت تملى على أوامرها .. وفجأة رأيتها تختفى من أمامى دون أن تترك لها أى أثر .. فوقفت مشدوها لا أدرى ماذا أفعل .. وبعد فترة عادت إلى الظهور أمامى مرة أخرى .. وعندما سألتها أين كانت .. قالت أنها ذهبت إلى مكان بعيد تستغرق الرحلة إليه نحو عام .. وأنها ذهبت إلى هذا

المكان لتقابل رجلا تحبه .. فما هو تفسير كل ذلك أيها الوزير كاكو .. ؟ !

أجـاب كاكو يائسا :

— يبدو انها ذهبت إلى نباتا لتقابل حبيبها رعمس .. وعلى أية حال فإننا مازلنا تحت سيطرتها وفى قبضة يدها .. وليس علينا إلا تنفيذ أوامرها ..

فقال أبى بصوت أكثر يأسا :

— انت محق فى ذلك ولم تقل سوى الحقيقة المؤلمة .. هيا بنا ننفذ أوامرها واطلب حضور الكتبة ..

واستدار كاكو لينفذ أوامر أبى .. ولكن فجأة ظهر أحد حجاب القصر وصاح :

— إن صاحبة الجلالة الملكة ومعها كبار المسئولين ، جاءت لتتحدث إلى صاحب الجلالة ملك مصر العليا ومصر السفلى !

نظر كل من أبى وكاكو إلى بعضهما وقد ازدادت حيرتهما واشتد خوفهما .. وقال أبى :

— إنى فى انتظار تشريف جلالتها وحضورها إلى هنا .. !

وفتحت الأبواب الرئيسية للقاعة الكبرى .. ودخلت الملكة رافعة الرأس وفى كامل بهائها وجمالها .. ودخلت خلفها الوصيفة مريت رع حيث أمرت الملكة منذ البداية أن تصبح مريت رع خادمة لها فى الليل وفى النهار دون راحة .. ولذلك فقد تغضن وجه تلك المرأة من كثرة ما كانت تعانيه من إرهاق وتعب .

ثم دخل بعد ذلك رؤساء الحرس وكبار الكهنة يتبعهم أعضاء مجلس الحكم وكبار قادة الجيش .. واتجهت الملكة صوب العرش الذى كان أبى جالسا عليه وقالت بصوت متواضع :

— لقد جئت كزوجة وفية مخلصة لأقدم صلواتى وطقوس الولاء والطاعة لملك مصر ..

ثم صمتت لحظة قالت بعدها :

— سيدى .. لقد حلمت ليلة الأمس حلما خطيرا .. لقد رأيت رعمس الذى أصبح الآن ملكا على بلاد كوش .. رأيته وقد اعد جيشا قويا هجم به على مصر .. وهزمك وقتلك وأعلن نفسه فرعونا على مصر واخذنى زوجة له .. !

فقـال أبى :

— لا شك فى أن رعمس يفكر فى مثل ذلك .. ولكنه الآن فى مدينة نباتا وهى بعيدة جدا عن هنا . كما أن جيشه صغير ولا يستطيع الهجوم على مصر .

ولكن الملكة واصلت حديثها :

— أيها الملك .. إن حلمى لم يكتمل بعد .. وما زالت له بقية .. فقد رأيت مشهدين : الأول هو أن رعمس قد دخل إلى مدينة طيبة وقتلك وتزوجنى .. والمشهد الثانى رأيتك فيه على رأس الجيش المصرى متجها إلى بوابة مصر الجنوبية .. وعندما وصلت إلى هناك قبضت على رعمس وقتلته واستوليت على مملكة كوش ووضعتها تحت حكم مصر .. !

وتساءل أبى وقد ازدادت حيرته :

— ولكن اى المشهدين هو الصحيح ياصاحبة الجلالة .. فكل مشهد منهما مناقض تماما للمشهد الآخر .. ؟ !

قالت الملكة :

— وكيف لى أن أعلم ياصاحب الجلالة .. ولكن هاهو الفلكى كاكو .. إنه ساحر ويستطيع أن يجلو لنا الأمر ويفسر لنا هذا الحلم بمشهديه ..

اعترى الخوف وجه كاكو وحاول أن يتحاشى الكلام ولكنه اضطر أن يقـول :

— ان تفسير هذا الحلم بمشهديه أمـر صعب للغايـة بالنسبة لى ..

والتقت عيناه بالبريق الآسر الذى يخرج من عينى الملكة ..

فاستسلم على الفور وأخذ يفسر الحلم على النحو الذى تريده الملكة وتأمره به ، فقـــال :

— إنى أعتقد أن المشهد الثانى من الحلم هو المشهد الصحيح .. ويجب عليك أيها الملك أن تقود الجيش إلى البوابة الجنوبية لمصر !

فقـال أبى محتدا :

— لقد خضت ثلاثة حروب طوال العامين الماضيين .. حاربت السوريين .. وحاربت رجال الصحراء .. وحاربت رجال الأراضى الواطئة الذين يعيشون على تخوم البلاد .. فهل كتب على أيضا أن أقود الجيش المصرى مرة رابعة لأحارب بلاد كوش ؟ ! .. فليحضر رعمس إلى هنا إذا تجاسر على ذلك .. وسوف أشنقه على بوابات طيبة !

فقال كاكو محاولا تهدئته وإقناعه :

— لا ياسيدى .. عليك أن تشنقه فى الصحراء عند بوابة مصر الجنوبية .. هذه إرادة الآلهة !

وقالت الملكة مؤمنة على كلام كاكو :

— ومادامت الآلهة قد أمرت بذلك فإن علينا تنفيذ إرادتها .. وعليك الآن ياصاحب الجلالة أن تقوم بإعداد الجيش وتقوده إلى بوابة مصر الجنوبية وهناك تشنق رعمس وتستولى على جميع ثروات بلاد كوش لصالحنا ..

وانتهى الموقف على ذلك ..

وفى أثناء الليل جلس أبى وكاكو وجها لوجه .. وقـال أبى معاتبا :

— ماهذا الذى قلته ياكاكو ؟ .. ألا تذكر تلك الكلمات التى قالها لى الفرعون الميت حين جاءنى فى الحلم ؟ .. ألا تذكر أنه قال لى أنى سأظل ملكا إلى أن أقابل رعمس ومعه شحاذ عجوز يحمل رسالة لى .. ؟ !

قـال كاكو :

— نعم .. إنى اتذكر هذا الكلام كلمة كلمة !

وتساءل أبى مذعورا :

— ترى أى رسالة تلك التى يحملها الشحاذ .. هل هى رسالة موتى وموتك ؟ ! .. ألا تدرى أن أعمال البناء فى قبرينا قد توقفت منذ الأمس .. لقد أصبح القبران جاهزين تماما ولم يعد باقيا إلا أن نموت وندفن .. !

وقـال كاكو يائسا :

— هذا صحيح ياسيدى !

— إذا كان هذا صحيحا فلماذا قلت ما قلته فى تفسير حلم الملكة .. ؟

— قلت ذلك لأنى لا أستطيع أن أقول غيره .. لقد كانت الملكة مسيطرة على تماما وأملت على التفسير كلمة كلمة .. إسمع يا أبى : ليس أمامنا أى سبيل للفرار أو الهرب .. لقد وقعنا فى حبائل القدر .. !!

O—O

الفصل الثانى والثلاثون

عند بوابة مصر الجنوبية

مرت ثلاثة شهور منذ قيام الجيش المصرى من طيبة حتى وصل إلى البوابة الجنوبية .. وهناك توقف الجيش وأقام معسكره .. وتراصت السفن الحربية التابعة للأسطول الملكى المصرى على ضفتى النيل ، وبدأت الاستعدادات للمعركة الحربية الفاصلة ..

وقال الجواسيس أن رعمس يتقدم بجيشه نحو الشمال وأن جيشه صغير وقليل العدد ويمكن تحطيمه بسهولة ..

وقبيل غروب الشمس فى إحدى الأمسيات وصلت أخبار عن ظهور رعمس وجيشه بين الجبال القريبة وأنه يسير محاذيا الضفة اليمنى لنهر النيل .. وعندئذ قالت الملكة لأبى :

— إذن .. فى صباح الغد ستبدأ المعركة .. وعليك أيها الملك أن تدخلها وتنتصر حتى نتخلص نهائيا من الأخطار التى تهدد مصر .. أليس كذلك أيها الملك ؟ !

فقال أبى مترددا :

— نعم نعم .. سيحدث ذلك إن عاجلا أو آجلا .. ولكنى أحس ببعض الشكوك فى هذه الحرب .. ولا أدرى لماذا .. هل يمكنك يا كاكو أن ترصد النجوم الآن لتخبرنا بما سوف يجرى .. ؟

وأشار كاكو إلى ما فوق الشفق الأحمر الذى يملأ أفق الغرب .. ونظر الجميع إلى حيث أشار .. وقال :

— انظروا .. !!

ورأى الجميع نجما ساطعا يتلألأ نوره فى السماء وبجانبه نجم صغير آخر يتضاءل فى حجمه ويتقلص نوره ويخبو ..

وقـال كاكو :

— ها هو نجم آمون يا أبى يلتهم نجمك .. لقد تنبأت لك بذلك من قبل .. منذ سنوات طويلة .. هل تذكر ؟ .. إن نجمك سيختفى من صفحة السماء ولن يراه أحد من الأحياء بعد ذلك أبدا .. لقد حان حينك يا آبى !

فقال آبى غاضبا ولكن قلبه كان ينتفض خوفا :

— إذا حانت لحظة نهايتى .. فسوف تشاركنى أنت نفس المصير يا كاكو !

وفجأة حدث شىء غريب ، فقد سمعت صرخات خوف عالية واندفعت مريت رع نحو آبى وكاكو وقالت لهما وهى تبكى وتواصل صراخها :

— انه انتقام الآلهة ! .. انه انتقام الآلهة ! .. لقد ظهرت لى روح الفرعون الميت فى الحلم .. وقالت لى : أخبرى القاتل آبى وشريكه فى الجريمة الساحر كاكو بأن يحضرا لمقابلتى .. وتعالى أنت أيضا معهما !

وهنا جن جنون آبى وأخذ يصيح :

— أنت ساحرة يا مريت رع .. وأنت أيضا ساحر يا كوكو .. إنكما تمارسان سحركما ضدى .. !

والتفت إلى بعض الجنود وقال لهم :

— اقبضوا على هذين الساحرين .. واجلدوهما واحتفظوا بهما أحياء حتى صباح الغد .. فغدا سوف أشنقهما بعد أن أقتل رعمس !

وابتسمت الملكة ابتسامة ساخرة وهى تقول بينها وبين نفسها :

— غدا سوف أشنقهما بعد أن أقتل رعمس !! .. هه !! .. سوف نرى يا آبى ماذا سيحدث !!

■ ■ ■

وبينما كانت مريت رع راقدة تنتظر مصيرها فى صباح الغد ، شعرت بأن أمامها امرأة أخرى .. وفتحت مريت رع عينيها فرأت الملكة نتر توا فى كامل زينتها - وقالت لها الملكة :

— اسمعينى ونفذى ما آمرك به .. أخبرى آبى بأن مهمتى قد انتهت الآن .. وسوف أتركه وأرحل .. وإذا أراد أن يرى نتر توا مرة ثانية فسوف يجدها هناك فى معسكر رعمس .. سيجدها بداخل معبد آمون المقام فوق الجبل الذى يتوسط المعسكر !

واختفت الملكة من أمامها فى لمح البصر ..

وهبت مريت رع واقفة وأخذت تصرخ فى الحراس بأعلى صوتها طالبة منهم أن يأخذوها إلى آبى فورا .. وكان صراخها عاليا لدرجة أن آبى نفسه هو الذى جاء ليرى ما حدث . وقال :

— هاه أيتها المرأة .. هل رأيت حلما آخر من أحلامك التعيسة .. ؟ !

فأجابته على الفور :

— لا أيها الأمير .. لقد هربت الملكة وذهبت إلى رعمس !!

— أهذه أكذوبة أخرى من أكاذيبك ؟ .. كيف تهرب الملكة والحراس يملأون المكان .. ؟ !

— فتش عنها لتعرف الحقيقة !

وقلب آبى كل مكان بحثا عن الملكة فلم يجدها .. وعندما انتصف الليل كان البحث لم يزل مستمرا .. ولكن آبى شاهد رجلا عجوزا طويل القامة ويلبس ثيابا مهلهلة ويتعكز على عصا ، فسأله آبى مندهشا :

— من أنت .. ؟ !

ولكن العجوز لم يلتفت إليه ، بل نادى على الجميع بأعلى صوته :

— إسمعوا أيها المستشارون وياقادة جيش مصر .. إسمعوا رسالة الإله آمون التى ينقلها إليكم رسوله كابر الجوال .. لا ترفعوا

سيوفكم ضد رعمس لأنه خادم الإله وزوج الملكة الحقيقى .. اقبضوا على أبى قاتل الفرعون وعلى شريكه الساحر كاكو .. واحضروهما عند شروق الشمس إلى معبد الإله ليعلن الإله حكمه وقضاءه .. !!

سحب أبى سيفه واندفع نحو العجوز .. ولكن العجوز اختفى قبل الوصول إليه ،، وأخذت أصداء صوته تتردد فى كل أركان المعسكر .. وأمام كل سفن الأسطول سفينة سفينة .. وعندئذ قال الكهنة :

— انها أوامر الإله .. وعلينا أن نطيع أوامر الآلهة !

واندفع جميع الكهنة وضباط الجيش نحو أبى وقبضوا عليه .. وقبضوا أيضا على الساحر كاكو وعلى الوصيفة مريت رع وكتفوهم جميعا بالحبال انتظارا لمشرق الشمس فى الصباح ..

O—O

الفصل الثالث والثلاثون

قضاء الآلهة

في نفس الليلة كانت نتر توا نائمة في إحدى حجرات معبد آمون المقام فوق الجبل ، وكانت آستى جالسة آلى جوار سريرها وتتأملها .. وبهدوء شديد ظهرت أمامها الـ « كا » الخاصة بنتر توا .، فسألتها آستى :

— ماذا تريدين أيتها الـ « كا » .. ؟ !

أجابت الـ « كا » :

— أريد أن أستريح فقد تعبت .. أريد أن أعود إلى صاحبة نفس الجسم الذى خرجت منه .. !

وعندئذ قالت آستى كلمات صلاة قصيرة .. ثم نطقت بالكلمات السرية التى علمتها إياها روح الملكة آحو رع .. رويدا رويدا بدأت الـ « كا » تتلاشى كضباب ينقشع .. وفجأة جلست نتر توا على سريرها وأخذت تتمطى بذراعيها ثم رقدت على السرير مرة أخرى واستغرقت فى النوم .

وعندما استيقظت نتر توا فى الصباح سألت آستى عما حدث لها أثناء النوم فقد شعرت بإحساس غريب . فقالت آستى :

— لقد عادت الـ « كا » الخاصة بك وسكنت فى جسمك مرة أخرى ! .. هيا الآن انهضى من نومك فاليوم هو يوم نصرك ويوم عرسك .. !!

وعند البوابة الرئيسية للمعبد ، كان رعمس ينتظرها .. وما أن تم اللقاء حتى سمعا جلبة عالية وأصوات جيش يتقدم .. فتساءلت نتر توا :

— ما هذا الذى يحدث .. ؟

أجـاب رعمس :

— يبدو أن أبى قد بدأ هجومه ضدنا .. !

وهنا وصل اثنان من ضباط رعمس وأخبراه بأن هناك مجموعة من الرسل التابعين لجيش أبى قد جاءوا يعرضون السلام ! .. فقال لهما رعمس :

— اذهبا واستدعيا جميع الضباط والقادة .. واحترسوا فقد يكون الأمر خدعة ..

والتفت رعمس إلى الملكة نترتوا وقال لها :

— استعدى للتفاوض مع هؤلاء الرسل .. فأنت صاحبة الحق فى التفاوض معهم ، أما أنا فلست سوى قائد لجيشك !

ودخلوا جميعا إلى إحدى القاعات الداخلية بالمعبد ، وجلست الملكة مستعدة لاستقبال الرسل .

وعندما دخل الرسل لاحظ رعمس بينهم كبار قادة الجيش المصرى وكبار الكهنة المعروفين .

وقال الكاهن الأعلى للإله آمون مخاطبا الملكة :

— بعد أن غادرت ياصاحبة الجلالة معسكرنا ليلة أمس ، جاءنا رسول من الإله آمون !

فقالت الملكة على الفور :

— عفوا أيها الكاهن الأعلى للإله آمون .. إنى لم أغادر معسكركم ليلة الأمس .. بل ولم أكن فى معسكركم أبدا .. فطوال العامين الماضيين كنت خارج مصر منذ أن غادرت مدينة منف لأنقذ حياتى ولأهرب من الزواج من أبى !

التفت الكاهن الأعلى إلى من حوله مندهشا وقال :

— عفوا .. كيف كان ذلك ياصاحبة الجلالة .. فطوال العامين الماضيين كنا نراك تعيشين معنا كملكة .. وكزوجة لأبى .

وعندئذ نظرت نتر توا إلى آستى .. ونظرت آستى إلى الكاهن الأعلى .. وقالت له :

— هل تعرفنى .. ؟ !

أجاب الكاهن الأعلى :

— طبعا .. كلنا نعرفك يا سيدتى .. فأنت زوجة مرمس وأم رعمسْ .. ونحن نعرف أنك واحدة من أعظم الساحرات فى مصر .. والحقيقة أننا كنا نعتقد أنك قتلت فى المعركة التى نشبت بمعبد الإله سخمت بمدينة منف .. أما الآن فقد أدركنا أنك اختفيت فقط ولم تقتلى ..

وسألته آستى :

— ولكن ماهو الغرض الذى جئتم من أجله ؟

وأجاب الكاهن الأعلى :

— لقد أحضرنا معنا السجناء .. !

وأشار الكاهن الأعلى إلى بعض الجنود فدخلوا وهم يسوقون أمامهم السجناء مربوطين بالحبال .. وكان هؤلاء السجناء هم أبى وكاكو ومريت رع الذين وقفوا فى ذل وخضوع أمام الملكة التى نظرت إليهم فى احتقار وقالت :

— إذن .. هاهم أولاء قتلة الفرعون والدى .. ان عينى تشعران بالاشمئزاز من النظر إليهم !

وقال الكاهن الأعلى :

— لقد أمرنا رسول الآلهة الذى كان يرتدى ملابس شحاذ أن نحضر هؤلاء السجناء إليكم ليحاكموا على جريمة قتل الفرعون .

وهنا قال أبى :

— هل يجوز للزوجة أن تحاكم زوجها .. ؟ !

فقالت الملكة :

— إنى لم أكن زوجة لك أبدا .. بل ولم أرك منذ أن غادرت مدينة

منف بعد موت الفرعون .. لقد كنت زوجا للـ « كا » الخاصة بى .. وفى ليلة الأمس عادت الـ « كا » إلى جسدى .. أستى أرجوك أن تشرحى لهم الأمر كله ..

وشرحت أستى موضوع الـ « كا » الخاصة بنتر توا بكل التفاصيل .. وساد الصمت والوجوم فى كل أرجاء القاعة وعلى كل من كان فيها ..

وفى النهاية رفع الكاهن الأعلى يديه وقال :

— يا آمون ! .. يا والد هذه الملكة العظيمة .. أرنا مشيئتك .. وأبلغنا بحكمك وقضائك !!

وعاد الصمت من جديد ..

ثم سمع وقع خطوات ودقات عصا رتيبة على أرض المعبد الحجرية .. ثم ظهر الشحاذ العجوز وقال بصوت جهورى تردد صداه فى أرجاء المعبد :

— أنا كابر .. المتجول فى الصحراء .. أنا صوت آمون أعظم الآلهة .. والآن إليكم ما قرره الإله : فليتزوج رعمس ونتر توا .. وليحكما مصر لسنوات طويلة يعم فيها السلام والرخاء .. أما بالنسبة لأبى وكاكو ومريت رع فدعوهم هنا فى معبد آمون لينظر الإله فى أمرهم !

وبعد هذه الكلمات مباشرة اختفى كابر العجوز ولم يعد أحد يراه بعد ذلك أبدا ..

ثم أخذوا القتلة السجناء وأدخلوهم إلى القاعة الداخلية للمعبد ووضعوهم تحت أقدام تمثال الإله .. وأغلقوا عليهم الأبواب ..

وأمسك الكاهن الأعلى يد رعمس ووضعها فى يد نتر توا أو نجمة الصباح .. وعقد بينهما زواجا مقدسا كرجل وامرأة ..

وانضم الزوجان الملكيان إلى الجيش المصرى فى طريق العودة إلى عاصمة البلاد فى طيبة ..

وهناك أقيم الاحتفال الرسمى بالزواج الملكى فى معبد الإله

آمون .. وعزفت نجمة الصباح على آلة الهارب .. وأنشدت الأغنيات المصرية القديمة ..

وفى الصباح الباكر .. حين فتحت آستى أبواب القاعة الداخلية لمعبد الإله آمون فى طيبة .. رأت أبى وكاكو ومريت رع راقدين موتى تحت أقدام تمثال الإله ..

وصدر الأمر بدفنهم فى المقابر التى بنوها لأنفسهم .. !

o—o

رقم الإيـداع بـدار الـكتب والوثـائـق القومية ٩٠/٤٣٤٨

الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧ ـ ٠٨ ـ ٠٠١٩ ـ ٨



طبعت بمطابع الأه